السلسلة الأكثر مبيعًا في قائمة نيويورك تايمز

المئة 100
العودة

المئة 100
Book #3

كاس مورجان



ترجمة: مي أشرف

السلسلة الأكثر مبيعًا في قائمة نيويورك تايمز

100

العودة

NETFLIX
يعرض الآن على نتفليكس

كاس مورجان

ترجمة: مي أشرف





إدارة التوزيع

00201150636428

لمراسلة الدار:

email:P.bookjuice@yahoo.com

Web-site: www.aseeralkotb.com

- العنوان الأصلي: The 100 (Homecoming)
- العنوان العربي: الـ 100 (العودة)
- طُبِع بواسطة: Little, Brown and Company

- ترجمة: مي أشرف
- تحرير: محمد الجيزاوي
- تدقيق لغوي: أسماء أبو المجد
- تنسيق داخلي: معتز حسنين علي
- الطبعة الأولى: فبراير/ 2023م
- رقم الإيداع: 4388/ 2023م
- الترقيم الدولي: 978-977-992-231-7

إلى جويل حُبيقة، التي يضفي خيالها الحياةَ على القصص،

ويجعل الأحلام الجنونية تستحيل إلى حقيقة.

وإلى آني ستون، المحرر الرائع.

الفصل الأول

جلاس

كانت يدا جلاس دبقتين بدم والدتها. أتاها الإدراك ببطء، كما لو كان من خلال ضباب كثيف.. وكأن اليدين كانتا لشخص آخر، وأن الدم كان جزءًا من كابوس. ولكنهما كانتا يديها، والدم كان حقيقيًّا.

كان باستطاعة جلاس أن تشعر بكفها اليمنى ملتصقةً بذراع مقعدها في الصف الأول من سفينة الإنزال. شعرت بشخص ما يضغط على يدها اليسرى بقوة. لقد كان لوك. فهو لم يتركها لحظة واحدة منذ أن سحبها بعيدًا عن جثة والدتها وحملها إلى مقعدها. كانت أصابعه تتشبث بها بشدة، وكأنه يحاول امتصاص الألم النابض من جسدها وتخزينه بداخله.

حاولت جلاس أن تُبقي تركيزها على دفء يده من فوق يدها. ركزت على قوة قبضته، وكيف أنه لم يُظهِر أي علامات على التراخي حتى عندما بدأت سفينة الإنزال في الاهتزاز والانحدار العنيف في مسارها نحو الأرض.

قبل بضع دقائق قليلة فقط، كانت جلاس جالسة على مقعد بجوار والدتها، مستعدتين لمواجهة العالم الجديد معًا. ولكن الآن والدتها قد ماتت، لقد أُطلِقَ عليها النار من قِبل حارس مضطرب يحاول يائسًا الحصول على مكان على متن آخر مركبة للهروب من المستوطنة المحتضرة. أطبقت جلاس جفنيها بشدة، في محاولة لمنع المشهد من الظهور مرة أخرى في ذهنها: أمها وهي تسقط، بصمت، على الأرض. انهارت جلاس بجانبها بينما كانت تلهث وتتأوه، غير قادرة على فعل أي شيء لوقف النزيف. سحبت جلاس رأس والدتها

على حِجرها، وصارعت نحيبها وتنهداتها لتخبرها كم كانت تحبها. تشاهد البقعة الداكنة على فستانها وهي تنتشر بينما كانت الحياة تتوارى عنها. أخذت تراقب وجه أمها وهو يتراخى، مباشرة بعد سماع كلماتها الأخيرة: *أنا فخورة بكِ جدًا.*

لم تكن هناك طريقة لجعل ذلك المشهد يغيب عن ذهنها، تمامًا كما لم يكن هناك أي شيء من شأنه تغيير الحقيقة. لقد ماتت أمها، وها هي جلاس ولوك يندفعان بسرعة كبيرة عبر الفضاء على متن سفينة قد تصطدم بالأرض في أي لحظة.

اهتزت سفينة الإنزال مُصدرةً صوتًا عاليًا وأخذت تتأرجح مندفعةً من جانب لآخر. بالكاد لاحظت جلاس ذلك. كان لديها شعور غامض بحزام ينخر في ضلوعها بينما كان جسدها يتّبع حركات السفينة، ولكن ألم موت أمها كان ينخر في داخلها أعمق من الإبزيم المعدني.

لطالما تخيَّلَتِ الحزن كثقل.. كان يبدو لها كذلك، كلما فكرت فيه. لم يكن من طبع جلاس سابقًا أن تقضي وقتًا طويلًا في التفكير في معاناة الآخرين. تغير ذلك بعد وفاة والدة صديقها المقرب، ورأت كيف كان ويلز يجلس منحنيًا كما لو كان يحمل عبئًا هائلًا غير مرئي. لكن شعور جلاس كان مختلفًا.. شعرت وكأنها أصبحت مجوفة، فارغة، وكأن جميع المشاعر قد انتُزِعت من داخلها. كان الشيء الوحيد الذي ذكَّرها بأنها ما زالت على قيد الحياة هو يد لوك المطمئِنة فوق يدها.

كان الناس مزدحمين من حول جلاس في جميع الاتجاهات. جميع المقاعد كانت مشغولة، رجال، ونساء، وأطفال يقفون في كل شبر من المقصورة. تمسكوا ببعضهم بعضًا لكي يحافظوا على توازنهم، على الرغم من أنه لم يكن هناك مجال لسقوط أحد.. فقد كانت المقصورة مكتظة عن آخرها وكان جميعهم متلاصقين، كتلة متموجة من الأجساد البشرية والدموع الصامتة. همس البعض بأسماء أشخاص من الذين تركوهم وراءهم، بينما هز الآخرون رؤوسهم بعنف، رافضين قبول حقيقة أنهم قد ودَّعوا أحباءهم للمرة الأخيرة.

إن الشخص الوحيد الذي لم يبدُ مذعورًا كان الرجل الجالس على يمين جلاس مباشرةً، نائب المستشار رودس، يحدق إلى الأمام في ثبات، إما غافلًا

أو متجاهلًا للوجوه الفزعة من حوله. وللحظة، غطت موجة من الغضب على ألم جلاس. فقد كان والد ويلز، المستشار، سيفعل كل ما في وسعه لتهدئة مَن حوله لو كان موجودًا هنا. ولم يكن ليقبل بمكان على متن آخر سفينة إنزال من الأساس. لكن جلاس كانت بالكاد في وضع يسمح لها بإطلاق الأحكام. فقد كان السبب الوحيد لوصولها إلى السفينة هو أن رودس قد أمر بجلبها ووالدتها معه عندما شق طريقه بالقوة إلى السفينة.

دفعت هزة قوية جلاس إلى الخلف على مقعدها بينما كانت السفينة تنحرف جانبًا، ثم مالت نحو خمس وأربعين درجة قبل أن تعدل نفسها وتستقيم مرة أخرى بسرعة كبيرة متسببةً في شعور مغث.

قطع نحيب طفل صوت اللهاث الجماعي. صرخ عدة أشخاص عندما بدأ الإطار المعدني لسفينة الإنزال في التغضن، كما لو أنه قد وقع داخل قبضة عملاقة. انطلق صوت صرير ميكانيكي عالي النبرة عبر المقصورة متوعدًا بتفجير طبلات آذانهم، طاغيًا على كل صرخات الرعب والفزع.

أمسكت جلاس بذراع مقعدها وضغطت على يد لوك، في انتظار أن تصيبها موجة من الخوف. لكنها لم تأتِ قط. كانت تعلم أنها يجب أن تخاف، إلا أن أحداث الأيام القليلة الماضية تركتها شبه مخدرة. لقد كان من الصعب بما يكفي مشاهدة موطنها ينهار عندما نفد الأكسجين من المستوطنة. ومن الصعب بما يكفي المخاطرة بالقيام بجولة جنونية غير مُصرَّحٍ في الفضاء بها للانتقال من والدِن إلى فينيكس، حيث كان لا يزال هناك هواء صالح قابل للتنفس. عندما صعدت جلاس، وأمها، ولوك على متن سفينة الإنزال، بدا الأمر أنه استحق كل هذا العناء. ولكن الآن، لم تعد جلاس مهتمة ما إذا كانت سترى الأرض مطلقًا أم لا. كان من الأفضل إنهاء كل هذا الآن بدلًا من الاضطرار إلى الاستيقاظ كل صباح وتذكر أن والدتها قد ماتت.

نظرت إلى جانبها ورأت لوك يحدق إلى الأمام مباشرةً، بوجه متصلب بالعزيمة والإصرار. هل كان يحاول أن يتحلَّى بالشجاعة من أجلها؟ أم أن تدريبه المكثف على الحراسة قد علمه كيف يحافظ على هدوئه تحت وطأة الضغط؟ كان يستحق ما هو أفضل من هذا. فبعد كل ما جعلته جلاس يمر به، أهذه هي الطريقة التي سينتهي بها الأمر؟ هل نجوَا من الموت المحقق على

المستوطنة فقط لكي يُلقى بهما بتهور نحو مصير مروع آخر؟ لم يكن من المقرر أن يعود البشر إلى الأرض لمدة قرن آخر على الأقل، حيث إن العلماء على يقين من أن الإشعاع المتبقي الذي خلَّفته الكارثة سيكون قد انحسر بحلول ذلك الوقت. هذه عودة سابقة لأوانها، ونزوح يائس لا يعد بشيء سوى الغموض وعدم اليقين.

نظرت جلاس إلى صف النوافذ الصغيرة على جانب المقصورة. كانت الغيوم الرمادية تملأ كل النوافذ. *إن المنظر جميل على نحو غريب*، قالت في قرارة نفسها، في اللحظة ذاتها التي انفجرت فيها النوافذ وتحطمت، وتناثرت شظايا الزجاج والمعدن الساخنة في جميع أنحاء المقصورة. اندلعت ألسنة اللهب من خلال ألواح الزجاج المكسورة. حاول الأشخاص الأقرب إلى النوافذ متلهفين أن يتفادوا كل هذا ويبتعدوا، ولكن لم يكن ثمة مكان للذهاب إليه، لم يكن هناك أي مفر. مالوا إلى الوراء، حتى سقطوا على الأشخاص من خلفهم. حرقت الرائحة النفاذة للمعدن المحترق أنف جلاس، ولكن ما لبثت أن قاطعتها رائحة أخرى أثارت غثيانها... ومع تصاعدٍ للرعب، أدركت جلاس أنها كانت رائحة لحم محترق.

وفي اندفاع قوي ضد سرعة السفينة، أدارت رأسها لتنظر إلى لوك. وللحظة، لم تستطع جلاس سماع أصوات النشيج والبكاء أو الأزيز المعدني. لم تستطع الشعور بآخر أنفاس والدتها. لم تستطع سوى رؤية جانب وجه لوك، تلك الملامح الجانبية المثالية، والفك القوية التي لطالما استحضرت صورتهما في ذهنها ليلة بعد ليلة طوال تلك الأشهر الرهيبة في الحبس، بعدما حُكِمَ عليها بالموت في عيد ميلادها الثامن عشر.

أعاد الصوت الفظيع للصرير المعدني جلاس إلى الواقع. اخترق الصوت طبلتَي أذنيها مسببًا رعشة بدءًا منهما نزولًا إلى فكها، ومرورًا بعظامها، وحتى داخل أحشائها. صرَّت أسنانها، وأخذت تراقب ما يحدث في رعب وعجز عندما انخلع السقف وتطاير بعيدًا، وكأنه لم يكن سوى خرقة من القماش.

أجبرت نفسها على الالتفات إلى لوك ثانيةً، الذي كان قد أغلق عينيه، ولكنه ضغط على يدها بقوة. قالت: «أحبكَ».

لكن الصراخ من حولهما ابتلع كلمتها. وفجأة، ومع صوت ارتطام يهز الأبدان، اصطدمت سفينة الإنزال بالأرض. واستحال كل شيء إلى سواد.

***

من على بُعد مسافة، سمعت جلاس أنينًا منخفضًا، صوتًا يملؤه الألم أكثر من أي شيء آخر قد سمعته من قبل. حاولت أن تفتح عينيها، لكن حتى ذلك الجهد شديد الضآلة جعل رأسها يدور. استسلمت وسمحت لنفسها بالعودة إلى الظلمات. مرت بضع لحظات. أم كانت بضع ساعات؟ ثم مجددًا، عادت تكافح ضد الهدوء المريح، وتصارع في طريقها نحو استعادة وعيها. ولجزءٍ من ثانية حلو من الهذيان، لم يكن لديها فكرة أين كانت. كل ما استطاعت التركيز عليه هو وابل الروائح الغريبة. لم تكن جلاس تعرف أنه يمكن للمرء شَم أشياء كثيرة كهذه في آن واحد، كان هناك شيء تعرفت عليه نوعًا ما من الحقول الشمسية -مكانها المفضل لمقابلة لوك- ولكن هنا كانت الروائح أقوى ألف مرة. ثمة رائحة شيء حلو ولكن ليس كالسكر أو العطر. كانت أعمق، وأغنى. كان كل نفَس تأخذه يجعل دماغها يعمل بسرعة كبيرة مكافحًا للتعرف على الروائح المختلطة. رائحة شيء حار. وشيء معدني. ثم رجت رائحة مألوفة دماغها وأعادتها إلى انتباهها؛ الدم.

اتسعت عينا جلاس. كانت في مساحة شاسعة لدرجة أنها لم تستطع رؤية أي جدران تحيط بها، وبدا السقف الشفاف المملوء بالنجوم وكأنه على بُعد أميال. ببطء، استعادت وعيها. وتحول ارتباكها إلى حالة من الدهشة. لقد كانت تنظر إلى السماء -السماء الحقيقية، على الأرض- وكانت على قيد الحياة. لكن ذهولها لم يستمر سوى للحظات قليلة قبل أن تنبثق فكرة مُلحة في دماغها، وينتشر الذعر في جسدها. *أين لوك؟* استجمعت نفسها سريعًا ودفعت جسدها إلى وضعية الجلوس، متجاهلةً الغثيان والألم اللذين حاولا إجبارها على الاستلقاء على الأرض.

صرخت قائلة: «لوك!».

أخذت تدير رأسها من جهة لأخرى، وتصلي من أجل رؤية شكله المألوف من بين كتلة الأشخاص الغرباء التي تغطيها الظلال.

- لوك!

ابتلعت جوقة التأوه والصيحات المتزايدة صرخات ندائها. *لماذا لا يشعل شخص ما الأضواء؟* تساءلت في حيرة، قبل أن تتذكر أنها كانت على الأرض. لم تبعث النجوم سوى ببصيص خافت، ولم يقدم القمر سوى ضوء بالكاد كان كافيًا لإخبار جلاس أن الأجسام السوداء التي تتساقط منوِّحة كانت أجساد رفقائها من الركاب. لا بد أن يكون هذا كابوسًا. ليس هذا ما كان من المفترض أن تكون عليه الأرض. لم يكن هذا مكانًا يستحق الموت من أجله. نادت على لوك مرة أخرى، لكن لم يكن هناك رد.

كانت بحاجة إلى النهوض، لكن بدا أن دماغها لم يعد متصلًا بعضلاتها، وشعرت بأن جسدها كان ثقيلًا على نحو غريب، كما لو كانت هناك أوزان غير مرئية تشد أطرافها. بدا شعورها بالجاذبية مختلفًا هنا، كانت أقوى من الجاذبية التي اعتادتها سابقًا.. أم أنها أصيبت؟ وضعت جلاس يدها على ساقها وشهقت. كانت ساقاها مبللتين. هل كانت تنزف؟ نظرت إلى أسفل، خائفةً مما قد تجده. كانت رجلا بنطالها ممزقتين، والجلد من تحتهما به خدوش كثيرة، ولكن لم تكن ثمة جروح ظاهرة. وضعت يدها على الأرضية، لا، على الأرض، وشهقت. لقد كانت جالسة في المياه.. المياه التي امتدت أمامها على مسافة شاسعة لا تُصَدَّق، مع ظلال خافتة من الأشجار على ضفتها البعيدة. رمشت جلاس، في انتظار أن تتكيف عيناها وتكشفا عن شيء أكثر منطقية، لكن الصورة لم تتغير. بُحيرة. انزلقت الكلمة بسلاسة إلى عقلها. كانت تجلس على الحافة، على الشاطئ، شاطئ بحيرة على الأرض.. وهي حقيقة بدت سريالية بالنسبة إليها تمامًا كالدمار الذي أحاط بها من كل جانب. عندما التفتت لتلقي نظرة، لم تر إلا رعبًا: أجسادًا لقتلى وجرحى ملقين على الأرض. كان الجرحى يبكون ويتوسلون استجداءً للمساعدة. يتصاعد الدخان من حطام سفن الإنزال التي قد هبطت جميعها على بُعد أمتار قليلة من بعضها بعضًا، وقد تحطمت هياكلها وتحولت إلى شظايا، والناس يركضون إلى الحطام الذي كان لا يزال يحترق، ثم يخرجون مرة أخرى حاملين أجسامًا ثقيلة لا تصدر عنها أي حركة فوق أكتافهم.

من الذي حمل جلاس إلى الخارج؟ وإذا كان لوك، فأين هو؟

عانت جلاس في محاولتها للوقوف على رجليها، إذ كانت ساقاها ترتعشان بشدة. ضمت ركبتيها حتى تمنعهما من الانهيار، ولوَّحت بذراعيها لاستعادة توازنها. وقفت في المياه المُثلَّجة، وقد تسلل البرد إلى ساقيها. أخذت نفسًا عميقًا وشعرت بأن رأسها قد تَيقَّظ قليلًا، رغم أن ساقيها كانتا لا تزالان ترتعشان. خطت بضع خطوات متذبذبة للأمام واصطدمت قدماها ببعض الصخور تحت سطح الماء.

نظرت جلاس إلى أسفل وشهقت بحدة. كان ضوء القمر كافيًا ليُبيِّن أن الماء كان مصبوغًا باللون الوردي الغامق. هل تسبب التلوث والإشعاع الناجمان عن الكارثة في تغيير لون البحيرات؟ أم أن هناك منطقة من الأرض تكون المياه فيها وردية اللون بشكل طبيعي؟ إنها لم تولِ يومًا الكثير من الاهتمام في أثناء دروس جغرافيا الأرض.. وهي حقيقة بدأت تندم عليها أكثر فأكثر مع مرور كل ثانية. لكن صرخة يائسة انفجرت من جسد متكوم على الأرض بالجوار وجلبت الإجابة المؤلمة إلى ذهنها: لم يكن هذا أثرًا جانبيًّا طويل الأمد للإشعاع.. لقد كانت المياه مُعَكَّرة بالدم.

ارتجفت، ثم خطت بضع خطوات مترنحةً تجاه المرأة صاحبة الصرخة. كانت ملقاة على الشاطئ، والجزء السفلي من جسدها مغمورًا في المياه التي كانت تزداد احمرارًا بشكل سريع. انحنت جلاس وأمسكت بيدها، وقالت آملةً أن تبدو أكثر ثقة مما تشعر به في داخلها: «لا تقلقي، ستكونين بخير».

اتسعت عينا المرأة من الخوف والألم، ثم قالت وهي تلهث أنفاسها: «هل رأيتِ توماس؟».

- توماس؟

رددت جلاس، وهي تتفحص المكان المظلم من حولها بما فيه من جثث ومصابين وحطام. كانت بحاجة للعثور على لوك. كان الشيء الوحيد المرعب أكثر من الوجود على الأرض هو التفكير في أن لوك كان يرقد في مكان ما هناك، مصابًا ووحيدًا.

قالت المرأة وقد شدت قبضتها على يد جلاس: «ابني، توماس، لقد كنا على سفينتَي إنزال مختلفتين. جارتي..».

قاطعت نفسها بشهقة حزينة وأردفت: «قد وعدتني بأنها ستعتني به».

قالت جلاس وقد جفلت إذ تغلغلت أظافر المرأة في جلدها: «سنجده».

كانت تأمل ألا تتحول أول جملة تفوهت بها على الأرض إلى كذبة. عادت للتفكير مرة أخرى في المشهد الفوضوي الذي بالكاد تمكنت من الهرب منه على متن السفينة: تزاحم الأشخاص المختنقين الذين يملؤون منصة الإطلاق، متلهفين للحصول على أحد المقاعد المتبقية من أجل الهرب من المستوطنة المحتضرة. الآباء المذعورون الذين انفصلوا عن أبنائهم. والأطفال الذين قد ازرقت شفاههم وسيطر عليهم الذعر الشديد وهم يبحثون عن عائلاتهم الذين ربما لن تراهم أعينهم مرة أخرى.

لم تتمكن جلاس من الفرار إلا عندما صرخت المرأة من شدة الألم وتركت يدها تسقط في الماء. قالت جلاس مرتجفة عندما بدأت في الابتعاد: «سأبحث عنه، سنجده».

كان الشعور بالذنب الذي ينمو بداخل جلاس كفيلًا لشل حركتها، لكنها كانت تعلم أن عليها الاستمرار في التحرك. لم يكن بوسعها فعل أي شيء للتخفيف من معاناة هذه المرأة. فهي ليست الطبيبة كلارك، حبيبة ويلز. كما أنها لم تكن حتى شخصًا اجتماعيًّا، مثل ويلز أو لوك، اللذين يعرفان دائمًا كيف يقولان الشيء الصحيح في الوقت المناسب. لم يكن هناك سوى شخص واحد على الكوكب لديها القدرة على مساعدته، وكان عليها أن تعثر عليه قبل فوات الأوان.

التفتت جلاس للخلف لتنظر إلى المرأة التي كان وجهها يتلوى من الألم، وهمست جلاس قائلة: «أنا آسفة. سأعود من أجلك. أنا بحاجة لأن أجد... شخصًا ما».

أومأت المرأة بفكها المتشنج وهي تكز على أسنانها، ثم أطبقت جفنيها، وسالت الدموع من تحتهما.

أجبرت جلاس نفسها على أن تشيح بنظرها بعيدًا وواصلت المشي. حَشَّفَت عينيها، محاولةً إدراك المشهد الذي أمامها. فقد جعل المزيج من الظلام، والدوار، والدخان، وصدمة الوجود على الأرض كل شيء يبدو مشوشًا وضبابيًّا. كانت سفن الإنزال قد هبطت على حافة البحيرة، تاركةً أكوامًا من الحطام المشتعل في كل مكان يمكنها رؤيته. وعلى بُعد مسافة بعيدة، كان

باستطاعتها رؤية ظلال خافتة لأشجار، لكنها كانت في حالة من الاضطراب الشديد لدرجة أنها لم تمنحها أكثر من لمحة عابرة. فما فائدة الأشجار أو حتى الزهور إذا لم يكن لوك موجودًا ليرى أيًّا من ذلك معها؟

أخذت عيناها تندفعان بين الأشخاص الناجين من المصابين واحدًا تلو الآخر. كان ثمة رجل عجوز يجلس على قطعة حديدية كبيرة من شظايا السفينة، واضعًا رأسه بين يديه. وكان هناك فتى صغير وجهه ملطخ بالدم يقف وحيدًا، على بُعد أمتار قليلة فقط من مجموعة متشابكة من الأسلاك المحترقة. رأته واقفًا يحدق إلى السماء مشدوهًا، غافلًا عن الخطر، كما لو كان يبحث عن طريقة للعودة إلى بيته.

الجثث المشوهة ملقاة في كل مكان. أشخاص لا تزال أشباح كلمات الوداع التي تدمي القلب على شفاههم، أشخاص لم يتمكنوا حتى من إلقاء نظرة خاطفة على السماء الزرقاء التي ضحوا بكل شيء من أجل رؤيتها. كان من الأفضل لهم لو بقوا هناك، يأخذون أنفاسهم الأخيرة وهم محاطون بأصدقائهم وعائلاتهم بدلًا من أن ينتهي بهم الأمر هنا، وحيدين.

لم تزل جلاس غير متوازنة بعض الشيء في أثناء سيرها. تقدمت مترنحةً نحو أقرب الجثث الممددة على الأرض، وهي تدعو من كل قلبها ألا يكون لأيٍّ من الوجوه الميتة ذقن لوك القوي، ولا أنفه الرفيع، أو شعره الأشقر المجعد. تنهدت بارتياح مُر عندما نظرت إلى الشخص الأول. لم يكن لوك. وبقدرٍ متساوٍ من الخوف والأمل، انتقلت إلى الجسد التالي. ثم الذي يليه. كانت تحبس أنفاسها وهي تقلب الأشخاص على ظهورهم أو تدفع قطعًا ثقيلة من الحطام بعيدًا عنهم. ومع كل غريب مصاب وملطخ بالدماء كانت تزفر نَفَسها وتسمح لنفسها بأن تصدق أن لوك ربما لا يزال على قيد الحياة.

- هل أنتِ بخير؟

في ذهول، أدارت جلاس رأسها بسرعة في اتجاه الصوت. كان ثمة رجل بجرح كبير فوق عينه اليسرى ينظر إليها متسائلًا.

قالت تلقائيًّا: «أجل، أنا بخير».

- أمتأكدة؟ يمكن للصدمة أن تصيب البدن بأشياء رهيبة.

- أنا بخير. أنا فقط أبحث...

سكتت فجأةً، غير قادرة على ترجمة ما بصدرها من أمل ورعب كبيرَين إلى كلمات.

أومأ الرجل برأسه قائلًا: «حسنٌ. لقد تفقدتُ هذه المنطقة بالفعل، ولكن إذا وجدتِ أي ناجين نادي بصوتٍ عالٍ فحسب. نحن نجمع الجرحى هناك».

أشار بإصبعه إلى الظلام، على بُعد مسافة، لم تستطع جلاس سوى رؤية أشكال لأشخاص منحنين يحومون فوق أجساد ثابتة على الأرض في غير حراك.

– هنالك امرأة، بالقرب من الماء. أعتقد أنها مصابة.

– حسنًا، سنذهب لإحضارها.

أشار إلى شخص لم تتمكن جلاس من رؤيته، ثم انطلق يهرول مترنحًا. شعرت برغبة غريبة في مناداته، لإخباره أنه من الأفضل أن يبحث عن توماس المفقود أولًا. شعرت جلاس بأنها واثقة أن المرأة تفضل أن تنزف في المياه حتى الموت على مواجهة الحياة على الأرض لعمر كامل دون الشخص الوحيد الذي جعل حياتها تستحق العيش. لكن الرجل كان قد ذهب إليها بالفعل.

أخذت جلاس نفسًا عميقًا وأجبرت نفسها على مواصلة السير. لكن قدميها لم تعودا تستجيبان لأوامر دماغها. لو كان لوك سالمًا، ألم يكن ليجدها الآن؟ فحقيقة أنها لم تسمع صوته العميق ينادي باسمها وسط هذا الضجيج كانت تعني، في أحسن الأحوال، أنه كان مستلقيًا في مكانٍ ما، متألمًا جدًّا لدرجة أنه لا يستطيع الحركة. أما في أسوأ الأحوال فـ...

حاولت جلاس مقاومة الأفكار القاتمة، لكنها كانت كمحاولة إبعاد ظل بالقوة. لا شيء من شأنه إبعاد السوداوية عن عقلها. سيكون شيئًا قاسيًا بشكل لا يمكن تصوره أن تفقد لوك بعد ساعات من لمِّ شملهما. لم يكن باستطاعتها الافتراق عنه مرة ثانية، ليس بعد ما حدث لأمها. لا. ولمنع نفسها من البكاء، نهضت على أطراف أصابعها ونظرت حولها. أصبح هناك مزيد من الضوء الآن. كان بعض الناجين قد استخدموا الشظايا المحترقة من السفينة كمصابيح مؤقتة، لكن الضوء الوامض المرتعش لم يكن مريحًا للغاية. فأينما نظرت جلاس، كانت ترى لمحات من جثث مشوهة ووجوه مذعورة تنبثق من

الظلام. أصبحت الأشجار أقرب الآن. صار باستطاعتها رؤية اللحاء، والأغصان المتعرجة، ومظلة الأوراق. بعد أن أمضت حياتها بأكملها تحدق إلى شجرة وحيدة فقط، كان من المذهل رؤية هذا العدد الكبير من الأشجار معًا، كان الأمر كالانعطاف من زاوية ورؤية عشرات الاستنساخات من صديقك المفضل أمامك فجأة.

التفتت جلاس لإلقاء نظرة على شجرة كبيرة جدًّا وشهقت. كان ثمة فتى بشعر مجعد مستلقٍ على الجذع. فتى في زي حارس.

صاحت جلاس مناديةً وقد اندفعت تركض نحوه: «لوك!».

ولما اقتربت، رأت أن عينيه كانتا مغمضتين. أكان فاقدًا الوعي أم...

صاحت مناديةً مرة أخرى قبل أن تكتسب أفكارها زخمًا: «لوك!».

شعرت جلاس بأن أطرافها غشماء ومُكَهرَبة، وكأنها جثة قد أُعيد إحياؤها. حاولت أن تُسرِع، ولكن الأرض بدت وكأنها تسحبها إلى الأسفل. حتى من على بُعد اثني عشر مترًا، كانت متأكدة أنه لوك. كانت عيناه مغمضتين، وجسده متراخيًا، ولكنه كان يتنفس. كان حيًّا. سقطت جلاس على ركبتيها بجانبه، وقاومت رغبتها في إلقاء نفسها فوقه، فلم تكن ترغب في إيلامه أكثر أو إصابته بأي ضرر.

همست قائلة: «لوك، أيمكنك سماعي؟».

كان شاحب الوجه، وثمة جرح عميق فوق عينه، والدم يسيل على عظمة أنفه. شدت جلاس كُمَّها لأسفل وسحبته على يدها وضغطت بها على الجرح. تأوه لوك قليلًا ولكنه لم يتحرك. ضغطت بقوة أكبر، على أمل أن يتوقف النزيف، ونظرت إلى أسفل لتتفحص بقية جسده. كان معصمه الأيسر أرجواني اللون ومتورمًا، لكن بخلاف ذلك، بدا أنه بخير. ترقرقت دموع الارتياح والشُّكران في عينيها، وتركتها تنهمر على خديها. وبعد بضع دقائق، أبعدت كُمَّها وتفحصت الجرح مرة أخرى. بدا وكأن النزيف قد توقف. وضعت جلاس يدها على صدره، وقالت بلطف وهي تمرر أصابعها برفق فوق ترقوته: «لوك، لوك. هذه أنا. أفِق».

تحرك لوك قليلًا عند سماعه صوتها، وأطلقت جلاس صوتًا مضطربًا، مزيجًا من الضحك والنحيب. أخذ يئن، بينما جفناه كانا يرفرفان لينفتحا، ولكن لا يلبثان حتى يغرقا مرة أخرى.

كررت جلاس قائلة: «لوك، أَفِق».

ثم قرَّبت فمها إلى أذنه، تمامًا كما اعتادت أن تفعل في الصباحات التي كان يواجه فيها خطر التأخر عن موعد الذهاب إلى العمل، وقالت بابتسامة صغيرة: «سوف تتأخر».

فُتِحَت عيناه مرة أخرى، ببطء، وتسمَّرتا عليها. حاول التحدث، ولكن صوتًا لم يخرج، فابتسم إليها بدلًا عن ذلك. قالت جلاس وقد شعرت بخوفها وحزنها يتلاشيان للحظة: «ها أنت ذا، مرحبًا. كل شيء على ما يرام. أنت بخير. ها نحن هنا يا لوك. لقد فعلناها. مرحبًا بك على الأرض».

الفصل الثاني

ويلز

قالت ساشا وهي تُميل رأسها إلى الجانب حتى انساب شعرها الأسود الطويل على كتفها: «تبدو مرهقًا، لمَ لا تذهب للنوم؟».

- أُفضِّل أن أكون هنا معكِ.

قمع ويلز تثاؤبه بتحويله لابتسامة. لم يجد صعوبة في الأمر، ففي كل مرة ينظر فيها إلى ساشا كان يلاحظ شيئًا يجعله يبتسم. الطريقة التي تتوهج بها عيناها الخضراوان في الضوء الخافت لنيران المخيم. وكيف كان من الممكن للنمش المتفرق على عظمتَي وجنيتها الحادتين أن يضاهي في روعته بالنسبة إليه روعة الأبراج النجمية في الليل بالنسبة إليها. كانت تحدق إليها في تلك اللحظة، وذقنها مرفوع لأعلى وهي تنظر في ذهول إلى السماء.

قالت في هدوء: «لا أصدق أنكَ عشت هناك بالأعلى».

ثم خفضت عينيها لتقابلا عينَي ويلز وأردفت: «ألا تفتقد هذا؟ أن تكون محاطًا بالنجوم».

- إنها تبدو أجمل مِن هنا بالأسفل.

ثم رفع يده، ووضع إصبعه على خد ساشا، ثم تتبع بلطف المسارات بين كل بقعة نمش وأخرى.

- يمكنني أن أحدق إلى وجهك طوال الليل عوضًا عن ذلك. لم أكن أستطيع فعل ذلك مع كوكبة الدب الأكبر.

- سأفاجأ لو تمكنت من الصمود لخمس دقائق أخرى. بالكاد تستطيع إبقاء عينيك مفتوحتين.

- لقد كان يومًا طويلًا.

رفعت ساشا حاجبها، وابتسم ويلز. كان كلاهما يعرف أن هذا أقل ما يقال في وصف اليوم. فخلال الساعات القليلة الماضية، قد طُرِدَ ويلز من المخيم لمساعدته ساشا -الأسيرة السابقة للمئة- في الهرب. كان ذلك قبل أن يصادف كلارك وبيلامي، اللذين كانا قد أنقذا أخت بيلامي لتوهما، أوكتافيا، مما يثبت أن قوم ساشا، الأرضيين، ليسوا أعداءً للمستوطنين، كما كان يبدو من قبل. كان هذا وحده يشرح الكثير لبقية أفراد المخيم، الذين إذ كان أغلبهم لا يزالون يتخوفون قليلًا بالقرب من ساشا، لكن هذه لم تكن سوى البداية فقط. ففي ذلك المساء نفسه، اكتشف ويلز وبيلامي اكتشافًا صادمًا. فعلى الرغم من أن ويلز، نجل المستشار، قد نشأ على فينيكس متمتعًا بامتيازات خاصة، وفي الوقت نفسه كان بيلامي، اليتيم، يكافح للبقاء على قيد الحياة على والدن، كانا في الواقع أخوين غير شقيقين.

كان هذا أصعب مما يمكن استيعابه. وعلى الرغم من أن ويلز كان سعيدًا بالأغلب، فإن الصدمة والارتباك منعاه من استيعاب أبعاد الخبر بشكل كامل. هذا بالإضافة إلى حقيقة أنه لم يحظَ بنوم جيد في أثناء الليل منذ وقت طويل. ففي خلال الأسابيع القليلة الماضية، قد أصبح القائد الفعلي للمخيم. لم يكن منصبًا يسعى إليه بالضرورة، لكن تدريبه كونه ضابطًا جنبًا إلى جنب مع افتتانه بالأرض طوال حياته قد منحه مجموعة من المهارات. ومع ذلك، وعلى الرغم من أنه كان سعيدًا بقدرته على تقديم المساعدة، وممتنًّا لثقة المجموعة به، فقد جاء هذا المنصب مع قدر هائل من المسؤولية.

قال وهو يخفض مرفقيه على الأرض ويستلقي على ظهره حتى يتمكن من إراحة رأسه في حِجر ساشا: «ربما سأرتاح لدقيقة».

ورغم أنه كان هو وساشا يجلسان بعيدًا عن بقية المجموعة المحتشدة حول نيران المخيم، فإن صوت طقطقة ألسنة اللهب لم يُخفِ بشكل كامل صوت الجدالات المسائية المعتادة. وهي ليست سوى مسألة وقت قبل أن تأتي إحداهن مسرعةً لتشكو من أن شخصًا آخر قد أخذ سريرها، أو لإقناع ويلز

بتسوية النزاع حول واجبات جلب الماء، أو السؤال عما كان من المفترض أن يفعلوه ببقايا الطعام الذي حصلوا عليه من صيد ذلك اليوم.

تنهد ويلز بينما كانت ساشا تمرر أصابعها من خلال شعره، وللحظة، نسي كل شيء باستثناء دفء بشرتها عندما ترك رأسه تغرق في يدها. لقد نسي الأسبوع الرهيب الذي قد عاشوه، والعنف الذي شهدوه. نسي كيف عثر على جثة صديقته بريا. نسي أن والده قد أصيب برصاصة أمام عينيه في أثناء شجار مع بيلامي، الذي كان مستميتًا للصعود على سفينة الإنزال مع أخته. نسي الحريق الذي دمَّر مخيمهم السابق وأنهى حياة تاليا، صديقة كلارك المقربة.. وهي مأساة تسببت في قطع آخر الروابط الرومانسية المتبقية بينه وبين كلارك.

ربما يستطيع هو وساشا قضاء الليلة بأكملها في ساحة المخيم، فقد كانت تلك هي الطريقة الوحيدة للحصول على بعض الخصوصية. ابتسم لمرور تلك الفكرة بخاطره وشعر أنه يغوص أعمق وأعمق إلى النوم.

- ما هذا بحق الجحيم؟

توقفت يد ساشا فجأة، وكان ثمة نبرة قلق في صوتها.

فتح ويلز عينيه وسألها قائلًا: «ما الأمر؟ هل كل شيء على ما يرام؟».

جلس وألقى نظرة سريعة على ساحة المخيم. كان معظم الأفراد من المئة لا يزالون مجتمعين حول النيران، يهمهمون بصوت منخفض. ولكن بعد ذلك وقعت عيناه على كلارك، ورغم أنها كانت مُكوَّمة بجانب بيلامي، كان بإمكانه معرفة أنها كانت تركز على شيء آخر تمامًا. مع أن مشاعره الشديدة والمُستَهلِكة كُليًّا تجاهها قد تطورت إلى شيء أشبه بالصداقة الحقيقية، إلا أنه كان لا يزال بإمكانه قراءتها تمامًا كما يقرأ جهاز الحاسوب اللوحي. كان حافظًا لكل تعابير وجهها: الطريقة التي كانت تزم بها شفتيها معًا بانتباه شديد في أثناء التركيز في دراسة أي إجراء طبي، أو كيف تلمع عيناها عند الحديث عن أحد اهتماماتها الخاصة، كالتصنيف البيولوجي، أو الفيزياء النظرية. وفي هذه اللحظة بالتحديد، كان حاجباها معقودَين معًا في قلق، كما أمالت رأسها إلى الوراء، لتحدد وتحسب شيئًا ما في السماء. كان رأس بيلامي مائلًا نحو الأعلى هو الآخر، وقد تسمَّرت تعابير وجهه. استدار وهمس

بشيءٍ ما في أذن كلارك، وهي لفتة حميمية كان من شأنها أن تُهيِّج معدة ويلز ذات يوم، ولكن الآن ملأته فقط بالخوف والقلق مما قد يحدث له.

نظر ويلز إلى الأعلى لكنه لم ير أي شيء غير عادي. مجرد نجوم. كانت ساشا لا تزال تحدق إلى السماء. سألها ويلز وقد وضع يده على ظهرها: «ما الأمر؟ ماذا هناك؟».

- انظر هناك.

توتر صوت ساشا وهي تشير مباشرةً إلى سماء الليل المظلمة، عاليًا فوق كابينة المشفى والأشجار التي تطوق ساحة المخيم. كانت تعرف هذه السماء كما كان يعرف هو نجومها عن قرب من الأعلى. كواحدة من الأرضيين، لقد أمضت حياتها بأكملها تنظر نحو الأعلى، بينما كان ينظر هو إلى الأسفل دائمًا. تبع ويلز إشارة إصبعها ورأى ما كانت تشير إليه: ضوءًا ساطعًا يتحرك بسرعة شديدة، وبشكلٍ منحنٍ في اتجاه الأرض. في اتجاههما. كان ثمة آخر خلفه مباشرة، ثم ظهر اثنان آخران. لقد بدت معًا وكأنها وابل من النجوم، يهطل على الأشخاص المجتمعين في سلام حول النيران.

شهق ويلز شهقة حادة وقد تصلب جسده بأكمله. قال بهدوء: «سفن الإنزال. إنها في طريقها للهبوط. جميعها».

شعر بتوتر جسد ساشا بجانب جسده. لف ذراعه حول كتفيها وضمها إليه بينما ظلَّا يراقبان السفن المتجهة لأسفل في لحظة من الصمت، وقد اتحد إيقاع أنفاسهما.

سألت ساشا محاولةً بوضوح أن تبدو أكثر تفاؤلًا مما تشعر به: «هل... هل تعتقد أن والدك على متن إحداها؟».

***

على الرغم من أن الأرضيين قد وافقوا على مشاركة الكوكب مع مئة من الأحداث الجانحين المنفيين، شعر ويلز بأن مواجهة جميع سكان المستوطنة كانت مسألة مختلفة تمامًا.

ظل ويلز صامتًا إذ كان الأمل والرهبة يتصارعان من أجل الهيمنة على دماغه المرهق بالفعل. كان ثمة احتمال أن إصابة والده لم تكن بتلك الخطورة

التي بدت عليها للوهلة الأولى، وأنه قد تعافى تمامًا وهو في طريقه إلى الأرض الآن. ومن ناحية أخرى، كان ثمة احتمال أيضًا بأن يكون المستشار كان لا يزال متشبثًا بالحياة في المركز الطبي.. أو ما هو أسوأ من ذلك كله، أنه كان بالفعل يطفو في سكون وصمت بين النجوم. ماذا سيفعل إذا لم ينزل والده من إحدى هذه السفن؟ كيف عسى ويلز أن يمضي قدمًا في حياته وهو يعرف أنه لن ينال العفو أبدًا من المستشار عن الجرائم الفظيعة التي ارتكبها هناك على المستوطنة؟

***

أجبر ويلز عينيه على التوقف عن التحديق إلى السماء ونظر إلى الجانب الآخر من النيران. التفتت كلارك لتنظر إليه، فأُغمِضَت عيناه، وقد ملأ ويلز فيضٌ مفاجئٌ من الامتنان. لم يكن عليهما أن يتبادلا كلمة واحدة. لقد فهمت ما يدور بداخله من مزيج من الخوف والارتياح. كانت تعرف مقدار ما سيكسبه أو سيفقده بمجرد أن تُفتَح تلك الأبواب.

قالت ساشا وهي تضغط على يد ويلز: «سيكون فخورًا جدًّا بك».

ورغم قلقه، شعر ويلز بوجهه ينبسط ويبتسم. لقد فهمت ساشا أيضًا. على الرغم من أنها لم تلتقِ والد ويلز من قبل، وعلى الرغم من أنها لن تشهد أبدًا علاقتهما المعقدة، كانت تعرف أيضًا كيف يكون الأمر عندما يكبر المرء مع أب مسؤول عن رعاية مجتمع بأكمله. أو كما في حالة ويلز، مع أب مسؤول عن جميع الناجين المعروفين من الجنس البشري. كان والد ساشا قائدًا للأرضيين، تمامًا كما كان والد ويلز قائدًا للمستوطنة. كانت تعرف ما يعنيه العيش تحت وطأة تحمل هذا الواجب. فهمت ساشا أن كونك قائدًا لهو تضحية بقدر ما هو شرف.

نظر ويلز حول النيران إلى الوجوه الهزيلة المرهقة لنحو مئة من المراهقين الذين نجوا من صدمة الأسابيع الأولى على الأرض. عادةً، كان هذا المشهد يملؤه بدرجات متفاوتة من القلق، إذ كان قلقًا بشأن مخازن المواد الغذائية وغيرها من الإمدادات التي كانت تتناقص بسرعة، لكن هذه المرة، كل ما شعر به كان الارتياح. الارتياح والفخر. لقد فعلوها. لقد نجوا، على الرغم من الصعاب، وها هي الآن المساعدة في طريقها إليهم. حتى لو لم يكن والده

على متن إحدى تلك السفن، فمن المؤكد أنها مُحمَّلة بكمية هائلة من المؤن، والأدوات، والأدوية، وكل ما قد يحتاجونه لاجتياز الشتاء القادم وما بعده.

لم يستطع الانتظار لرؤية النظرة على وجوه الوافدين الجدد عندما يرون مقدار ما أنجزه المئة. من المؤكد أنهم ارتكبوا بعض الأخطاء على طول الطريق، وكانت هناك خسائر فادحة -لقد فقدوا آشِر وبريا، وكادوا يخسرون أوكتافيا أيضًا- ولكن كانت هناك انتصارات أيضًا.

أدار ويلز رأسه ورأى ساشا تحدق إليه بقلق. ابتسم، وقبل أن يتسنى لها الوقت لإظهار أي ردة فعل، مرر أصابعه في شعرها اللامع وطبع قبلة على شفتيها. بدت متفاجئة في البداية ولكنها سرعان ما استرخت وقبَّلته هي الأخرى. أراح جبهته على جبهتها للحظة، ليستجمع أفكاره، ثم نهض. لقد حان الوقت لإخبار الآخرين. اندفعت عيناه بسرعة إلى كلارك، طالبًا موافقتها بصمت. زَمَّت شفتيها معًا للداخل، والتفتت إلى بيلامي للحظة قبل أن تنظر في عينَي ويلز وتومئ برأسها.

تنحنح ويلز، وهو ما لفت انتباه بعض الناس، ولكن ليس كثيرين. سأل قائلًا وقد رفع صوته لكي يُسمَع وسط ضجيج المحادثات وفرقعة ألسنة اللهب: «هل يسمعني الجميع؟».

وعلى بُعد أمتار قليلة، تبادل جراهام مع أصدقائه ابتسامة سخرية مع أحد أصدقائه الآركاديين. فعندما هبطوا على الأرض لأول مرة، كان هو مَن قاد حملة الاتهامات ضد ويلز، محاولًا إقناع الآخرين بأن نجل المستشار قد أُرسِل إلى هنا كونه جاسوسًا. وحتى بعد أن أصبح معظم المئة موالين لويلز، لم يفقد جراهام كل قوته.. إذ كان هناك جزء كبير من المخيم يخشى جراهام أكثر مما يثق بويلز. همست ليلا، الوالدنية الحسناء التي تتملق جراهام، له بشيء ما، فأجابها هامسًا هو الآخر ثم قهقهت بصوتٍ عالٍ على ما قاله أيًا كان.

زمجرت أوكتافيا قائلة وقد رمقتهما بنظرة قاتمة: «هلَّا تصمتان؟ إن ويلز يحاول التحدث».

حدقت ليلا إلى أوكتافيا وتمتمت بشيء ما بصوت خافت، لكن جراهام بدا مستمتعًا بعض الشيء. ربما كان ذلك لأن أوكتافيا قد قضت في المخيم

وقتًا أقل من الآخرين، ولكنها كانت واحدة من القلائل الذين لم يهابوا جراهام، وكانت على استعداد للوقوف في وجهه.

سأل إريك قائلًا: «ما الذي يحدث يا ويلز؟».

كان الآركادي طويل القامة ذو الوجه المتجهم ممسكًا بيد صديقه الحميم فيليكس، الذي قد تعافى مؤخرًا من مرض غامض. وعلى الرغم من طبيعة إريك المتحفظة، فإن ارتياحه قد طغى على تحفظه مؤقتًا. فلم يره ويلز قد ترك يد فيليكس طوال اليوم.

ابتسم ويلز. فقريبًا، لن يضطروا إلى القلق بشأن محاربة أمراض غريبة. سيكون هناك أطباء مُدَرَّبون تدريبًا كاملًا على متن سفن الإنزال تلك. أطباء لديهم من الأدوية أكثر مما كان على الأرض منذ قرون.

قال ويلز وهو غير قادر على احتواء حماسه: «لقد فعلناها. لقد أمضينا هنا ما يكفي من الوقت لإثبات أن الأرض صالحة للعيش، وها هم الآخرون في طريقهم إلينا».

أشار إلى السماء بابتسامة على وجهه. رفع العشرات رؤوسهم لأعلى، وانعكست ظلال ألسنة اللهب المرتعشة على وجوههم. اندلعت جوقة من الشهقات والصيحات -وبعض الشتائم- في ساحة المخيم وهبَّ الجميع واقفين. أصبحت السفن منخفضة في السماء الآن، تهبط بسرعة، إذ كانت تزداد سرعتها كلما اقتربت من الأرض.

قالت فتاة صغيرة تُدعى مولي وهي تقفز من جانب لآخر: «أمي قادمة! لقد وعدتني أنها ستكون على متن أول سفينة».

تشبثت فتاتان والدنيتان ببعضهما بعضًا وبدأتا في الصياح، في حين بدأ أنطونيو، وهو فتى والدني مرح في العادة، الذي أصبح هادئًا في الأيام الأخيرة، يتمتم لنفسه قائلًا: «لقد فعلناها... لقد فعلناها...».

صاح ويلز في وسط الضوضاء قائلًا: «تذكروا ما قاله لنا والدي، إن جميع جرائمنا ستغتفر. من الآن فصاعدًا، لقد أصبحنا مواطنين عاديين مرة أخرى».

ثم سكت لبرهة، وابتسم ابتسامة عريضة وأردف: «في الواقع، هذا ليس صحيحًا تمامًا. أنتم لستم مواطنين عاديين.. أنتم أبطال».

اندلع بعض التصفيق، لكن سرعان ما أُغرِق بفعل صرير ثاقب ملأ الهواء فجأة. لقد بدا وكأنه قد انبثق من السماء نفسها وكبر بسرعة إلى درجة تصم الآذان، مجبرًا جميع من في ساحة المخيم على تغطية آذانهم.

صاح فيليكس قائلًا: «إنهم على وشك الهبوط».

فسألت فتاة ردًّا على ذلك: «أين؟».

كان من المستحيل الإجابة عن سؤالها إجابة دقيقة، ولكن كان من الواضح أن السفن آتية بسرعة وبقوة، بلا تحكُّم واضح في نهجها، وأنه من الصعب التنبؤ بمكان هبوطها، الذي بدا من الواضح أنه لن يكون هبوطًا سهلًا. أخذ ويلز يراقب السماء في حالة من الصدمة والعجز، حيث مرت السفينة الأولى من فوق رؤوسهم مباشرة، على بُعد بضعة كيلومترات فوقهم فقط. كانت منخفضة جدًّا لدرجة أن زخات من الحطام المحترق أحرقت قمم الأشجار الطويلة.

تمتم ويلز ببعض اللعنات بصوت خافت. فإذا أُضرِمَت النيران في الأشجار، لن يهم من الذين كانوا على متن تلك السفن، فلن يبقى منهم أحد على قيد الحياة قبل حلول الصباح.

قال بيلامي بصوتٍ عالٍ بما يكفي لسماعه وسط الضجيج: «عظيم. نحن نخاطر بحياتنا لإثبات أن الأرض آمنة وصالحة للعيش، فقط حتى يتمكنوا من النزول وإحراقها».

كان لصوته نبرة ساخرة غير مبالية، لكن ويلز كان بإمكانه القول إن بيلامي خائف. فعلى عكس الآخرين، لقد شق طريقه إلى السفينة بالعنف.. وأطلق النار على المستشار خلال ذلك. لم تكن هناك طريقة لمعرفة ما إذا كان سيُعفَى عن بيلامي وعما ارتكبه من جرائم، أم أن الحراس قد تلقوا أمرًا بإطلاق النار عليه فور رؤيته.

وبينما كانت سفينة الإنزال تتجاوز ساحة المخيم، لمح ويلز الحروف المكتوبة على الجانب «التريليون مجرة»، الشركة التي بَنَت هذه السفن منذ أجيال. شعر بمعدته تنقبض عندما أدرك أن إحدى السفن كانت تهوي منقلبةً على جانبها، بزاوية خمس وأربعين درجة نحو الأرض مباشرة. تُرى ما حال

كل من في داخل المقصورة؟ عبرت من فوق ساحة المخيم، وأخذت تختفي وراء قمم الأشجار الطويلة، مواصِلةً هبوطها بعيدًا عن مجال رؤيتهم.

حبس ويلز أنفاسه، في انتظار رؤية ما سيحدث بعد ذلك. وبعد لحظة عصيبة، انفجر وهج شديد من الضوء والنار بعيدًا وراء الأشجار. كان يبعد بضعة كيلومترات على الأقل عن مخيمهم بيد أنه بدا كالشمس في توهجه. وبعد جزء من الثانية سمعوا صوت الاصطدام متأخرًا، صوتًا هائلًا أشبه بالرعد الشديد الذي ابتلع كل الضوضاء الأخرى. وقبل أن يتمكن من استيعاب ما رأوه للتو، مرت سفينة ثانية من فوق رؤوسهم مباشرةً وهبطت بنفس الطريقة الكارثية، وتسببت في المزيد من الضوء والضوضاء. وتبعتهما سفينة ثالثة. كان كل اصطدام يهز الأرض، ويرسل ذبذبات عبر قدمَي ويلز إلى معدته. هل كان هذا ما حدث عندما تحطمت سفينتهم؟ لقد كان هبوطهم مروعًا أيضًا.. وقُتِل خلاله بضعة أشخاص. توقفت الضوضاء المخيفة فجأة. وعندما عادت الأرض إلى هدوئها، اندلعت ألسنة من اللهب في السماء، ملونةً عتمة الظلام، وبدأ الدخان يتمايل متصاعدًا. ابتعد ويلز عن الأشجار وعاد أدراجه إلى الآخرين. وتساءلت وجوههم، المتوهجة بالضوء البرتقالي الآتي من الأعلى، نفس السؤال الذي كان يدور بداخل رأسه: *هل من الممكن أن يكون أيٌّ منهم قد نجا من ذلك؟*

قال إريك بحزم وقد رفع صوته لكي يُسمع وسط جوقة اللهثات المنفعلة والهمهمات المتوترة: «علينا أن نذهب إليهم».

سألت مولي مرتجفة: «كيف سنجدهم؟».

عرف ويلز أنها كانت تكره الوجود في الغابة، خاصة في الليل. أجاب ويلز وهو يدلك صدغيه بأصابعه بحركات دائرية: «يبدو أنهم هبطوا بالقرب من البحيرة».

- لكن من الممكن أن يكونوا أبعد من ذلك بكثير.

ثم فكر في قرارة نفسه: *هذا إن كان أيٌّ منهم قد نجا من الأساس.*

لم يكن بحاجة لقول ذلك بصوتٍ عالٍ. فقد كانوا جميعًا يفكرون في الشيء نفسه. التفت ويلز مرة أخرى إلى حيث اشتعلت النيران. اتضح أن ألسنة اللهب المتصاعدة فوق الأشجار بدأت تهدأ وتنحسر داخل الغابة.

- من الأفضل أن نبدأ في التحرك. فبمجرد أن تخمد تلك النيران، سيستحيل أن نتمكن من العثور عليهم في الظلام.

وضعت ساشا يدها على كتف ويلز وغمغمت قائلة: «ويلز، ربما من الأفضل الانتظار حتى الصباح. الوضع ليس آمنًا هناك».

تردد ويلز. كانت ساشا محقة بشأن الخطر. فإن هناك جماعة عنيفة من الأرضيين المتمردين، وهم الآن يتجولون في الغابة بين جبل العاصفة ومخيم المئة. كانوا هم الذين اختطفوا أوكتافيا، والذين قتلوا آشِر وبريا. لكنه لم يستطع تحمُّل فكرة أن يظل المستوطنون المصابون خائفين ومذعورين في انتظار مساعدتهم.

قال ويلز للمجموعة: «لن يذهب جميعنا. أنا فقط بحاجة إلى عدد قليل من المتطوعين لتقديم الإسعافات الأولية، ومن ثم إرشاد الجميع إلى المخيم».

نظر إلى ساحة المخيم من حوله، المكان الذي عملوا بجد لتحويله إلى موطن، وشعر بموجة من الفخر.

خطت أوكتافيا بضع خطوات نحو ويلز فأصبحت تقف في مركز الدائرة. كانت في الرابعة عشر من عمرها فقط، ولكن على عكس الأفراد الأصغر سنًّا في المجموعة، لم تكن تخشى التحدث علنًا والتعبير عن رأيها. رفعت ذقنها بحدة قائلة: «أرى أن نتركهم يجدون طريقهم الخاص بأنفسهم. أو الأفضل من ذلك، يمكنهم فقط البقاء حيث هم. لقد حكموا علينا بالموت عندما أرسلونا إلى هنا. لماذا علينا أن نخاطر بحياتنا لإنقاذهم؟».

تعالت الغمغمات بالموافقة بين الحشد. ألقت أوكتافيا نظرة سريعة على أخيها، ربما للحصول على دعمه، ولكن عندما نظر ويلز إلى بيلامي، وجد تعبير وجهه غامضًا وغير مقروء.

سأل فيليكس وهو ينظر إلى أوكتافيا بفزع قائلًا: «أتمزحين؟ إذا كانت هناك أدنى فرصة لوجود والديَّ هناك، فلا بد لي أن أحاول العثور عليهما. الليلة».

كان صوته لا يزال واهنًا بسبب مرضه، بيد أن قلقه كان واضحًا.

قال إريك: «وأنا ذاهب معه».

فتَّش ويلز بعينيه عن كلارك وبيلامي بين أفراد المجموعة. التقت أعينهما عينيه، ثم أخذت كلارك يد بيلامي وهرعا على طول الحافة الخارجية للدائرة إلى حيث كان ويلز واقفًا.

قالت كلارك بهدوء: «عليَّ الذهاب أنا أيضًا. ربما يكون هناك جرحى في حاجة إلى مساعدتي».

نظر ويلز إلى بيلامي، في انتظار أن يعترض على المخاطرة. لكنه بدا متوترًا وهادئًا، محدقًا إلى الظلام وراء ويلز. ربما كان يعلم أنه من غير المُجدي أن يتجادل مع كلارك عندما تعتزم فعل شيء ما.

قال ويلز: «حسنًا، فلنستعد. يجب أن يبقى معظمكم هنا وأن يُعِدُّوا المخيم لوصول الوافدين الجدد».

ركضت كلارك إلى كابينة المشفى لإحضار الإمدادات الطبية، بينما كَلَّفَ ويلز أشخاصًا آخرين بحمل مياه الشرب والبطانيات.

- إريك، أيمكنك العثور على بعض الطعام.. أي شيء لدينا.

وعندما انطلق فريقه للاستعداد، التفت ويلز إلى ساشا التي كانت لا تزال واقفة بجانبه، ضاغطةً شفتيها معًا في تركيز. قالت وهي تلقي بنظرة فاحصة على ساحة المخيم: «يجب أن نحضر شيئًا يمكن استخدامه كنقالة. قد يكون هناك أشخاص لا يستطيعون المشي».

وبدأت تتقدم نحو كابينة المؤن دون انتظار رد من ويلز. انطلق خلفها راكضًا لملاحقة خطواتها السريعة وقال: «تفكير ذكي. لكنني لا أعتقد أن مجيئك معنا فكرة جيدة».

توقفت فجأة وقالت: «ما الذي تقوله؟ لا أحد منكم يعرف المنطقة وتضاريسها كما أعرفها. إذا سيتمكن أي شخص من إيصالكم إلى هناك وإعادتكم بأمان، فهو أنا».

تنهد ويلز. لقد كانت محقة، بطبيعة الحال، ولكن فكرة مواجهة ساشا لمئات من المستوطنين -وعلى الأرجح، العديد من الحراس المسلحين- الذين لم يكن لديهم أي فكرة عن وجود الأرضيين من الأساس بثَّت الخوف في داخله. لقد تذكر الصدمة والارتباك اللذين شعر بهما عندما وقعت عيناه عليها لأول

مرة.. كان الأمر كما لو أن فهمه للكون قد انقلب بأكمله رأسًا على عقب. من المؤكد أنه لم يكن يثق بها في البداية، وقد استغرق الأمر من بقية المجموعة وقتًا أطول لكي يصدقوها بشأن انتمائها إلى مجتمع مسالم من الناس الذين يعيشون على الأرض.

مال ويلز وهو يحدق إلى عينَي ساشا اللتين كانتا تتقدان بالتحدي والجموح. كانت جميلة، ولم تكن الهشاشة تمُت إليها بأي صلة. لقد أثبتت مدى قدرتها على الاعتناء بنفسها، ولم تكن بحاجة إليه ليحميها. لكن كل القوة والذكاء في العالم لم يكونا قادرَين على إيقاف رصاصة حارس مذعور.

قال وهو يمسك بيدها: «أخشى أن يصيبك مكروه. كلهم يعتقدون أن الكوكب خالٍ. ربما لا يكون الوقت مناسبًا الآن ليعرفوا أن هناك بشرًا على الأرض. ليس عندما يكونون مرتبكين وخائفين. يمكن للحراس أن يرتكبوا فعلًا غبيًّا».

قالت ساشا بنبرة تمزج بين الصبر والحيرة: «إنني سأساعدهم! سيكون من الواضح جدًّا أنني لستُ عدوتهم».

سكت ويلز، وأخذ يفكر في جميع الدوريات التي أجراها في خلال تدريبه كونه ضابطًا. في الأشخاص الذين رآهم يُعتَقلون لارتكابهم جرائم في غاية البساطة مثل خرق حظر التجول لمدة خمس دقائق أو الدخول بالخطأ إلى منطقة محظورة. كان يعلم أن النظام الصارم كان أمرًا في غاية الضرورة على السفينة، ولكن سيكون من الصعب على الحراس التخلي عن شعار «أطلِق النار أولًا، ودع الأسئلة لاحقًا».

- الشيء الذي يجب أن تفهميه عن شعبي...

قاطعته بوضع يديها على كتفيه، وشَبَّت على أطراف أصابعها، وأسكتته بقبلة.

- شعبك هو شعبي الآن.

قال مبتسمًا: «آمل أن يدونوا هذا الاقتباس في كتب التاريخ».

- ظننتك تريد كتابة هذا الكتاب بنفسك.

ثم قلَّدَت ما خالته -كواحدة من الأرضيين- أنه نبرة متحذلقة، قائلة: «(تفاصيل دقيقة حول عودة البشر إلى الأرض) يبدو عنوانًا رائعًا لكتابٍ، باستثناء حقيقة أن، كما تعلم، بعض الأشخاص لم يغادروا الكوكب قط».

- من الأفضل أن تحذري، وإلا سآخذ بعض الحُريَّات الفنية في وصفكِ.

- ماذا؟ أستقول إنني كنت قبيحة إلى درجة مروعة؟ كما لو كنتُ أهتم!

مد ويلز يده ليضع خصلة من شعرها الطويل خلف أذنها، وقال: «سأقول إنكِ كنتِ في غاية الجمال، أنك قد جعلتني أفعل أشياء سخيفة، وطائشة».

ابتسمتْ، وللحظة، نضبت كل الأفكار في دماغ ويلز عدا رغبته في تقبيلها مرة أخرى. ثم قطعت خيالاتهما أصواتٌ تنادي في الظلام.

- ويلز؟ نحن جاهزون.

بدأت الرائحة المُرة للدخان المنبعث من موقع الحطام تتسلل من بين الأشجار، وتملأ أنفيهما.

قال لساشا بصوت حازم: «حسنًا، لنذهب».



الفصل الثالث

كلارك

حدَّقت كلارك إلى موقع سقوط السفن، بعينين مرهقتين في خضم الظلام، في انتظار اللحظة المحتومة التي سيبدأ فيها تدريبها كونها طبيبة أن يؤتي ثماره، التي ستبدأ فيها غرائزها بتخدير ذعرها. ولكن كان كل ما شعرت به وهي تحوم حول حافة تلك المساحة الشاسعة من الحطام، وتستوعب هذا الكم من الدمار، هو الرعب.

كان الوضع أسوأ بكثير مما كان عليه الحال عند هبوط المئة. فبقدر ما تستطيع رؤيته، قد تحطم ثلاث من سفن الإنزال على الأرض على بُعد بضع عشرات من الأمتار فقط من بعضها بعضًا. لقد كان من المدهش أنها لم تسقط واحدة فوق الأخرى.

هياكل السفن المعدنية المتكسرة بارزة من الأرض حول حافة المياه، تلوح في الأفق عاليًا فوق سطح البحيرة. تناثرت الجثث الهامدة في كل مكان. أغلب النيران قد خمدت، إلا أن رائحة المعدن المحترق لا تزال ثقيلة في الهواء.

بدت رؤية العديد من الجثث مشهدًا صعبًا للغاية، ولكن الأسوأ من ذلك كان رؤية العدد المتزايد من الجرحى. بحسب تقدير كلارك السريع، كان هناك ثلاثمئة وخمسون ناجيًا أو نحو ذلك في حالات متفاوتة من الإصابات.

- يا للـ...

انقطع صوت ويلز بجانبها. لكن في غضون لحظات، تصلب تعبير وجهه وملأه العزم، وقال وهو يأخذ نفسًا عميقًا: «حسنًا، من أين نبدأ؟».

بدأ دماغ كلارك يفكر، غمرها هدوء مألوف حين بدأت تفرز الأشخاص الموجودين في نطاق نظرها ذهنيًّا.. فرز المصابين مشوَّهي الأطراف عن أولئك الذين يستطيعون الحركة والمشي بأنفسهم، بدءًا من الأطفال ثم الانتقال تدريجيًّا إلى الأكبر عمرًا.

باستطاعتهم فعل ذلك. باستطاعتها فعل ذلك. لا بد أن كل واحدة من سفن الإنزال تلك محملة بالإمدادات الطبية. كان لديها الكثير لتفعله هذه المرة، وقد تعلمت الكثير بالفعل خلال الأسابيع القليلة الماضية. بالإضافة إلى ذلك، لا بد أن ثمة على الأقل طبيبًا أو طبيبين هنا مؤهلين تأهيلًا كاملًا من بين الركاب. كانت تأمل فقط أن يكونا من بين الناجين. جفلت كلارك حين شعرت بوخزات من الندم في أعماق صدرها. كانت بحاجة إلى والديها أكثر من أي وقت مضى، لكنها لم تكن أقرب إلى العثور عليهما مما كانت عليه عندما غادرت المخيم منذ أيام.

قالت لويلز، وساشا، وبقية فريق الإنقاذ: «ابدؤوا في فصلهم إلى مجموعات. اتركوا أصحاب الإصابات الأخطر في أماكنهم، واصطحبوا مَن يمكنه المشي إلى ساحة المخيم».

سأل إريك قائلًا: «وماذا عن أولئك الذين لا يستطيعون التحرك بمفردهم، ولكنهم ليسوا من أصحاب الإصابات الخطيرة؟ هل نتركهم هنا أم ننقلهم إلى المخيم أيضًا؟».

قال ويلز قبل أن تتمكن كلارك من الإجابة: «الجميع بحاجة لأن يُنقَلوا بأسرع ما يمكن. يمكن لسفن الإنزال أن تنفجر في أي لحظة. سننقسم إلى فريقين. نصف يبدأ من اليسار، والآخر من اليمين».

أومأت كلارك برأسها، وبدأت في توزيع الضمادات وغيرها من المستلزمات الطبية الأساسية، ثم توجهت إلى ساحة العمل، إلى بؤرة ذلك الخراب المرعب. خطت فوق أكوام من المعدن الملتوي وشظايا من الألياف الزجاجية، وجثت على ركبتيها بجانب طفل صغير بشرته الداكنة مغطاة بالرماد. كان جالسًا

وركبتاه مشدودتان إلى صدره، يحملق إلى الأمام مباشرةً بعينين واسعتين وينشج باكيًا.

قالت كلارك وهي تضع يدها على كتفه: «مرحبًا، أنا كلارك. ما اسمك؟».

لم يُجِب. لم يكن هناك ما يشير إلى أنه قد سمع كلارك أصلًا أو شعر بوطأة لمستها.

- أعلم أنك خائف. لكن كل شيء سيكون على ما يرام. ستحب وجودك هنا. أعدك بذلك.

نهضت وأشارت لإريك، الذي جاء راكضًا.

- إنه على ما يرام. في حالة من الصدمة فحسب. هل يمكنك العثور على شخص يعتني به؟

أومأ إريك برأسه، وحمل الفتى الصغير بين ذراعيه، وهرع بعيدًا.

وعلى اليسار، كان باستطاعة كلارك رؤية ويلز يُطمئن امرأة في منتصف العمر. ساعدها في الوقوف على قدميها ومشى بها إلى ساشا، التي كانت تستعد لإعادة أول مجموعة من الناجين إلى المخيم. سرت قشعريرة في جسد كلارك عندما رأت شابًّا يرتدي زي الحراس يقف بينهم. كان بيلامي قد وعد بالبقاء بعيدًا عن الأنظار في الوقت الحالي، ولكن الأمر لن يتطلب أي جهد لكي يُستدرَج إلى اشتباك. ماذا لو حدث له شيء في أثناء غيابها؟

- كلارك!

التفتت لترى فيليكس يشير لها قائلًا: «نحن بحاجة لمساعدتك هنا».

أسرعت إلى هناك ووجدته راكعًا بجانب فتاة ذات شعر طويل ومتشابك، بلون أشقر محمر. حاول فيليكس أن يضمد ذراعها، لكنها ذراعها كانت غارقة في الدم.

همس قائلًا وقد شحب وجهه: «النزيف لا يتوقف. يجب أن تفعلي شيئًا».

قالت كلارك: «سأتولى ذلك. استمِر في التحرك».

فكَّت الضمادات وفحصت الجرح.

همست الفتاة بصوت مبحوح: «هل سأموت؟».

هزت كلارك رأسها بالنفي وابتسمت قائلة: «كلا. لن أدع ذلك يحدث بأي حال من الأحوال. ليس قبل أن تحصلي على فرصة لاستكشاف الأرض!».

ثم مدت يدها إلى حقيبة اللوازم الطبية خاصتها وأخرجت المُعَقِّم، آملةً أن تتمكن من العثور على المزيد منه في موقع الحطام. فقد كان على وشك النفاد. قالت في محاولة لتشتيت انتباه الفتاة وهي تستعد لخياطة الجرح العميق في ذراعها: «خمني ماذا رأيتُ البارحة؟ أرنبًا حيًّا حقيقيًّا».

- فعلًا؟

أدارت الفتاة رأسها إلى الجانب، كما لو كانت تتوقع رؤية أرنب يقفز من مكانٍ ما وراء كومة من الحطام.

بعد عشر دقائق، كان ويلز قد اقتاد الفتاة بعيدًا، مما أفسح المجال أمام كلارك للتعامل مع المصابين أصحاب الجروح البليغة. كان من المحزن رؤية هذا العدد الكبير من الأشخاص يتألمون، لكن التركيز الذي تطلبه العمل قدَّم لها تشتيتًا أراحها من أفكارها. كانت كلارك قد قضت الأيام القليلة الماضية في تشوُّش كما لو كانت ضائعة في الضباب، وكل تطور أو حدث جديد كان يتركها في إرباك وحيرة أكثر من سابقه. لقد عادت أواصر علاقتها ببيلامي بعد أن وجد بشكلٍ ما طريقة ليسامحها عما فعلته بليلي. ثم أنقذا أوكتافيا من قوم ساشا الأرضيين، الذين بدورهم كانوا قد أنقذوا أوكتافيا من الجماعة المنشقة العنيفة. ولكن ما أربك كلارك أكثر من أي شيء آخر هو اكتشاف أن والديها كانا على قيد الحياة. وموجودَين على الأرض. ظلت تحسب أنها تحلم، وأن الشعور بالفرح والراحة الذي يفيض في صدرها سيتحول فجأةً إلى شظايا حادة من الحزن والألم من جديد. لكن أبويها اللذين كانت في حِداد عليهما طوال عام كامل لم يُعدَما نفيًا إلى الفضاء. لقد شَقَّا طريقهما بطريقة ما ونجحا في الوصول إلى الأرض، حتى إنهما عاشا مع عائلة ساشا لفترة قبل أن يغادرا للعيش بمفردهما. الآن كان عليها فقط معرفة كيف تتعقبهما، وهو ما بدا مستحيلًا لأسباب عديدة. إلا أن جلوسها في مكانها وعدم فعل أي شيء لم يكن خيارًا كذلك. فقد خططت للمغادرة بمجرد أن تفعل كل ما بوسعها من أجل هؤلاء الناجين.

قال إريك بتجهم عند اقتراب كلارك: «هذا الشخص لا يتنفس».

جثمت على الأرض ووضعت يدها على رقبة الرجل. كانت بشرته لا تزال دافئة، ولكن لم يكن هناك أي نبض ولو ضعيفًا. زمَّـت كلارك شفتيها معًا، ثم خفضت أذنها إلى صدر الرجل وهي تدعو لسماع أي همس لدقات قلبه. لكن لم يكن هناك سوى الصمت.

قالت كلارك محاولةً ألا تلتقي عيناها عينَي إريك: «لا يمكننا فعل شيء من أجله».

لم تكن ترغب في رؤية نظرة الرعب على وجهه. ولم تكن تريده أن يرى عجزها وقلة حيلتها. نظرت إلى الرجل المستلقي على الأرض مرة أخرى، ورأت وجهه بوضوح لأول مرة. شهقت كلارك، وقد شعرت وكأنما يد خفية تخترق قفصها الصدري وتلف أصابعها حول قلبها. إنه معلمها القديم لمادة الأحياء، السيد بيترز، الشخص الذي منح كلارك فرصة الدخول إلى مركز المحفوظات المحظور على السفينة عندما كانت في العاشرة من عمرها فقط حتى تتمكن من إلقاء نظرة على صور الأفيال.

سأل إريك قائلًا: «هل أنتِ بخير؟».

أومأت كلارك، وهي ترمش في محاولة للتخلص من الدموع التي شوَّشت رؤيتها. هل سنحت الفرصة للسيد بيترز للبقاء لفترة كافية لإلقاء نظرة خاطفة على سماء الليل؟ هل كان قادرًا على رؤية القمر منعكسًا على الماء أو شم نسمات الهواء المحملة برائحة الأشجار؟ أم أنه قد مات دون إلقاء أي نظرة على الكوكب الذي قضى حياته بأكملها يحلم به من بعيد؟

قالت وهي تبتعد: «يجب أن نترك الجثث هنا مؤقتًا. معالجة الجرحى هي الأهم».

تركت كلارك إريك وخطت بحذر من فوق كومة من المعدن الملتوي المتوهج احمرارًا لتشق طريقها نحو رجل يرقد على جانبه. كان يرتدي معطفًا بدا وأنه كان أبيض في السابق ولكنه الآن مغطى بالغبار والسخام... وبقعة من الدم تتسع ببطء. كانت عيناه مغمضتين، وقد التوى فمه في تحدٍّ لألمه. كادت كلارك تصرخ عندما لاحظت طوله الفارع وجسده النحيف وشعره الشائب الذي يصل لكتفيه. لقد كان الطبيب لاهيري، معلمها السابق وأحد أقدم أصدقاء والدها. آخر مرة رأته فيها كانت عندما أتى إلى زنزانتها

واتهمته بخيانة والديها. وقد وصفها بالخائنة ردًا على ذلك، وقبل أن تفكر مليًّا، كانت في الواقع قد لكمته في وجهه. أصبح الغضب الذي تملكها ذلك اليوم بعيدًا بشكل غريب الآن. وعلى الرغم من أن والديها قد تعرضا للخيانة بالتأكيد، فإنهما على قيد الحياة. وكانت كلارك تعرف أن ثمة أشخاصًا يتحملون مسؤولية ما حدث أكثر من الطبيب لاهيري.. مثل نائب المستشار رودس، الرجل الذي قد أمر والديها بإجراء التجارب الإشعاعية البشعة في المقام الأول.

جثمت كلارك ووضعت يدها بالقرب من مرفقه، ثم قالت فيما تأمل أن تكون نبرة ملهمة للثقة: «الطبيب لاهيري، أيمكنك سماعي؟ هذه أنا، كلارك».

أخذت عيناه ترمشان حتى انفتحتا، وأخذ يحدق إليها للحظة طويلة، كما لو كان غير قادر على معرفة ما إذا كانت رؤيتها أمامه حقيقة أم هلوسة. وعندما تحدث أخيرًا، كانت كلماته تخرج بصعوبة، وكأن أي حركة إضافية من فكيه قد تدفعه إلى خارج حدود الألم المحتمل: «كلارك... إنكِ حيَّة».

فأجابته -مبتسمة حتى يعرف أنها كانت تمزح على الأغلب- قائلة: «أجل، على الرغم من كل ما بذلتموه من جهود. دعني أُلقِ نظرة على إصابتك، حسنًا؟».

أومأ برأسه قليلًا، ثم أغمض عينيه وجفل. فتحت كلارك معطفه بلطف، وبدأت تتفحص بطنه، وضلوعه، وصدره. تجهم وجهه عندما وصلت إلى ترقوته. ثم فَتحَت جفنيه برفق وتفحصت حدقتيه، ومررت يديها على فروة رأسه للتحقق من أي كدمات لم تستطع رؤيتها بالعين.

قال الطبيب لاهيري وهو يكز على أسنانه: «أعتقد أنني مصاب في كتفي وترقوتي فحسب».

أضافت كلارك وقد حاولت إبقاء صوتها محايدًا: «وارتجاج. أعتقد أن لديك كسورًا. يمكنني أن أضع لك ضمادة، لكنني أخشى أننا ليس لدينا الكثير مما قد يساعد في تخفيف الألم هنا. هل أحضرتَ أي إمدادات معك؟».

فقال الطبيب لاهيري جاعلًا معدة كلارك تتمخض بخيبة الأمل: «لا أعرف ما الذي يوجد على متن سفن الإنزال. لقد حدث الأمر كله بسرعة. لم يكن هناك وقت للاستعداد».

- سأساعدك على الجلوس. مستعد؟

ركعت خلفه ووضعت إحدى يديها تحت ذراعه السليمة والثانية وراء لوح كتفه. وأردفت قائلة: «عند العد إلى ثلاثة. واحد، اثنان، ثلاثة».

ساعدته على اتخاذ وضعية الجلوس، فأطلق صرخة تألم وهي تسنده لكي يتكئ على جدار من الحطام. وبدأ لون وجهه في العودة إلى طبيعته.

- فقط ابقَ ثابتًا قدر الإمكان حتى يأتي أصدقائي ليأخذوك.

ثم لوَّحَت بيدها في الهواء، في إشارة إلى ويلز وفريقه.

- سوف يأخذونك إلى مكان آمن.

تمتم الطبيب لاهيري بصوت أجش: «كلارك...».

مدت يدها إلى إناء الماء الخاص بها، ورفعته إلى شفتيه. أخذ رشفه صغيرة ثم أردف قائلًا: «أنا آسف لما قلته آخر مرة. والداك سيكونان فخورَين جدًّا بكِ. وأنا فخور جدًّا بكِ».

قالت كلارك ببطء، وهي تتساءل في داخلها عما إذا كان الطبيب لاهيري يعتقد حقًّا أن والديها قد ماتا أم أنه كان لا يزال خائفًا جدًّا من إخبارها بالحقيقة: «شكرًا لك. وأنا آسفة لـــ... لأنني فقدت أعصابي».

وعلى الرغم من الألم. ابتسم. ثم قال: «أتمنى فقط لو أنسب فضل تعليمك اللكم بقبضتك اليسرى لنفسي، مثلما أنسب تعليمك للمهارات الجراحية».

***

مرت الساعات التالية بشكل ضبابي. بالكاد لاحظت كلارك بزوغ الفجر، باستثناء حقيقة أنه سهَّل عليها خياطة الجروح. وبحلول الوقت الذي أصبحت فيه الشمس عالية في السماء، كان جميع المستوطنين غير المصابين قد أُرشدوا إلى المخيم، وقد نُقِل جزء كبير من المصابين كذلك. وعلى مدار ساعات النهار، أتى عدد قليل آخر من المئة إلى البحيرة من أجل المساعدة والبحث عن والديهم من بين الوافدين الجدد. لكن العدد القليل نسبيًّا للقاءات السعيدة ومشاهد لمِّ الشمل كان مُحبِطًا ومخيبًا للآمال. على ما يبدو، لم تُعطَ الأولوية لعائلات المراهقين المئة في سفن الإنزال، لا يهم ما إذا كان أبناؤهم قد أُرسِلوا في مهمة غاية في الخطورة إلى الأرض.

أنهت كلارك لفَّ جبيرة على ساق امرأة عجوز، ومن ثم وقفت بسرعة ومددت جسمها وأطرافها قليلًا قبل الانتقال إلى المصاب التالي. لاحظت أن الحراس الذين كانوا يُحوِّطون قائدهم قبل دقائق قليلة قد تفرقوا للمساعدة في نقل الجرحى إلى المخيم. كانت تأمل فقط أن يظل تركيزهم منصبًّا على مساعدة نظرائهم المستوطنين وليس مطاردة الفتى الذي أطلق النار على المستشار.

وقعت عيناها على حارس بدا مألوفًا بالنسبة إليها على نحو غير مريح. حدَّقَت كلارك إلى وجهه لبرهة طويلة، محاولةً معرفة سبب شعورها المفاجئ بالغثيان. كان يقف وسط مجموعة من الناس يتحركون ببطء، يوجههم بذراعه السليمة ويضع يده الأخرى المصابة على صدره. أدارت كلارك وجهها سريعًا حتى لا يراها، وأخذت تماطل لكسب الوقت متظاهرةً بأنها مشغولة في جرد ضماداتها بينما كانت في الواقع تعتصر دماغها في محاولة تذكر اسم الحارس. سكوت.

عادة ما كان يُكلَّف سكوت بدوريات في المركز الطبي في أثناء تدريب كلارك المهني، وقد كانت كلارك تخشى لقاءاتهما المكررة. وعلى الرغم من أن الحراس عادةً لا يتفاعلون مع الأطباء والمتدربين إلا إذا كانت هناك مشكلة أمنية، كان سكوت خبيرًا في جعل حضوره معلومًا ولفت الانتباه إليه. لم يكن يكبرها سنًّا بسنوات كثيرة، وكان ثمة شيء ما دنيئًا ومُتَصَلِّفًا بشأنه. لم يكن ينظر قط إلى المرضى عندما كان في الغرفة.. كان إما أن ينظر إلى الأطباء وإما الحراس الآخرين، مترفِّعًا كما لو كان أفضل من أي شخص آخر. ولكن ما أزعج كلارك حقًّا هي الطريقة التي كان يتصرف بها عندما يكون بمفرده معها، والجهود التي بدا أنه مستعد لبذلها من أجل الانفراد بها.

اضطرت كلارك إلى إجبار نفسها على عدم الهرولة عندما كانت تسير مسرعة في الممر المؤدي إلى المركز الطبي. لقد تأخرت قرابة عشرين دقيقة عن جولاتها التدريبية برفقة الطبيب لاهيري، لكن عقوبة «السلوك الجُزافي» كانت أشد قسوة من عقوبة ذلك التأخير. كان التأخير يعني أنها ستواجه مشكلة مع مشرفها. فإن خرق إحدى قواعد السفينة كان يعني مواجهة

المجلس. من النادر أن يقدم الحراس بلاغًا في أحدهم لأنه قد ركض، لكن الفتى الذي كان يُجري الدوريات في المركز الطبي مؤخرًا سرعان ما اكتسب سمعة لكونه فتوَّة ومسيئًا لاستخدام سُلطته.

انعطفت كلارك عند الزاوية وتأوهت. كانت تأمل في التسلل إلى المركز الطبي دون أن يلاحظها أحد، لكن سكوت كان واقفًا أمام نقطة التفتيش. صحيح أن ظهره كان لها، لكنها تعرفت على كتفيه العريضتين وشعره الأشقر ذي المظهر الدهني الذي بدا دائمًا أنه أطول مما تسمح به لوائح الحراسة عادةً.

كان بإمكانها القول إنه متورط في اشتباك أو شيء من هذا القبيل، ولكن بمجرد أن اقتربت أدركت أنه كان ممسكًا بامرأة من معصميها، ضاغطًا إياهما معًا خلف ظهرها. لقد كانت عاملة نظافة من آركاديا، واستنادًا إلى توبيخ سكوت الصاخب الذي كان على مسمع من الجميع، فمن الواضح أنها قد نسيت تصريحها ليس إلا. كان معظم الحراس سيكتفون بتحذيرها، ولكن ليس سكوت، الذي كان بالفعل يقدم استعراضًا كبيرًا في وضع الأصفاد في معصميها. ترقرقت الدموع في عينَي المرأة المسكينة وبالكاد استطاعت رفع رأسها عندما انسلت كلارك من جانبها.

تغلَّظَ الشعور بالسخط والاشمئزاز في معدة كلارك، لكنها لم تجرؤ على النظر إلى الوراء. لم تكن لتغير شيئًا بالتدخل على أي حال. إذا حاولت فعل شيء ما، فمن المحتمل أن يهدد سكوت المرأة بتداعيات أخطر وأعنف، فقط لإثبات قوته أمام كلارك.

بحلول الوقت الذي بدأت فيه كلارك في رؤية المرضى، كانت قد دفعت الحادثة بعيدًا عن عقلها. كان ذلك أحد الأشياء التي أحبتها في كونها متدربة طبية، طريقة تركيز دماغها بنسبة مئة بالمئة على المهمة الحالية، دون ترك مجال للقلق بشأن أي شيء آخر في حياتها. لا بشأن والديها، أو ليلي، أو السر الفظيع الذي كانت تُخفيه عن ويلز.

ومع ذلك، في وقت لاحق من ذلك اليوم، بينما كانت مشغولة بتنظيف جرح في ركبة فتاة في الخامسة من عمرها، لم يكن ثمة مجال لتجنب سكوت عندما اقتحم غرفة الفحص الخاصة بكلارك دون سابق إنذار.

سألت كلارك، ولم تكلف نفسها عناء إخفاء انزعاجها: «ماذا تريد؟».

كان يريد أن يمشي متبخترًا في القاعات كما لو كان رئيسًا للممرات، وأن يقتحم غرفة الفحص كيفما يشاء عندما تكون مع أيٍّ من المرضى.

لوَّحَ بإصبع مُزرقة ومتورمة أمام وجه كلارك وابتسم.

- لن تصدقي ما حدث، لقد عضتني تلك العاهرة بالفعل عندما كنت أُكبِّل يديها بالأصفاد.

همست كلارك وهي تلقي نظرة على الفتاة الصغيرة التي كانت تحدق إلى سكوت بعينين واسعتين من فوق طاولة الفحص: «انتبِه إلى ألفاظك، من فضلك».

ضَحِكَ بطريقة بغيضة وغير مريحة، ثم قال: «أنا متأكد من أنها قد سمعت ألفاظًا أسوأ من هذه. تبدو وكأنها والدنية».

ضَيَّقَت كلارك عينيها وسألته وهي تبذل أقصى جهدها في تقليد جلاس وصديقاتها المتغطرسات قائلة: «ألستَ أنتَ نفسك والدنيًّا؟».

تجاهل نبرتها الهجومية واقترب منها خطوة أخرى. وقال بصوت استطاع بطريقة ما أن يكون مُستهزِئًا ومُهَدِّدًا بشكل غامض على حد سواء: «أنا بحاجة إلى خدماتك يا حضرة الطبيبة».

- فقط لو جلستَ تنتظر في الخارج، يمكنني إلقاء نظرة على ذلك بعد أن أنتهي من كرسيدا هنا.

- حسنًا أنا متأكد من أن كرسيدا الصغيرة...

ثم أمال رأسه في اتجاه الفتاة وأردف قائلًا: «يمكنها أن تتفهَّم أن أحد الحراس قد تعرض لإصابة مؤلمة في أثناء مواجهته لتهديد الجايا هذا الصباح. وإنني في عجلة من أمري للعودة إلى عملي لحماية هذه السفينة».

قاومت كلارك رغبتها في إظهار تبرُّمها منه. بالكاد تمكنت من الحفاظ على تعبير وجهها المحايد بينما كانت ترش مُجددًا للجلد على ركبة كرسيدا، وبرفق وضعت عليها ضمادة، ثم ربتت على ساق الفتاة.

- ها قد انتهينا. فقط حافظي على الجرح نظيفًا وجافًّا حتى الغد، حسنًا؟

أومأت كرسيدا برأسها وقفزت من على الطاولة وركضت عبر الباب إلى أمها، التي كانت تنتظر في الخارج.

التفتت كلارك إلى سكوت ومدت يدها. وضع معصمه في راحة يدها وجفل وهي تفرد إصبعه المتورمة. قالت وهي تحرر قبضتها وتتراجع خطوة للوراء: «ستحتاج إلى الطبيب ليلقي نظرة على هذا».

- مَن؟ ذلك الرجل العجوز الذي تتبعينه طوال اليوم؟ لا، شكرًا.

- الطبيب لاهيري هو أكثر الأطباء احترامًا على متن السفينة.

- آه، حسنًا، ولكنه ليس مَن أريده أن يفحص إصابتي الأخرى.

- ما الذي تتحدث عنه؟

- تلك القذرة الآركادية حاولت ركلي أيضًا. لقد طرحتها أرضًا، لكنها تمكنت من ضربي بركبتها في منطقة حساسة نوعًا ما، إن كنتِ تعرفين ما أعنيه.

تنهدت كلارك ثم قالت: «هل هناك كدمات؟».

فأجاب سكوت بابتسامة متكلفة قائلًا: «لم يكن لدي الوقت لإلقاء نظرة».

ثم مد يده إلى إبزيم حزامه وهو يتقدم نحو كلارك وأردف قائلًا: «أتودين أن تنالي شرف فعل ذلك؟».

قالت كلارك وهي تتحرك متجهةً نحو جهاز الاتصال الداخلي: «يجب أن أستدعي ممرضة».

- مهلًا، انتظري لحظة.

أمسك سكوت بذراع كلارك بقبضته المتينة وجذبها نحوه.

- لستُ بحاجة إلى ممرضة. أحتاجكِ فقط أن تؤدي عملك... أيتها الطبيبة.

وقبل أن يتمكن من نطق كلمة أخرى، فُتِح الباب وراءه، ودخل ويلز مسرعًا، وقد بدا أطول من المعتاد في زي الضابط الخاص به. وقف سكوت انتباهًا، ولم يرفع عينيه من الأرض. ولم تستطع كلارك إلا أن تبتسم لويلز من فوق كتف سكوت.

سأل ويلز بصوت صارم، بيد أن نظراته كانت لعوبًا: «أنا متأكد أنك لا تمنع هذه المتدربة الطبية من إنجاز عملها، أليس كذلك؟».

قال سكوت بنبرة جادة وحازمة: «بلى يا سيدي».

- سعيد لسماع ذلك، أيها الحارس. واصِل جولاتك.

- أمرك يا سيدي.

أخفت كلارك ابتسامتها حتى انغلق الباب وراء سكوت، ثم خطت باتجاه ويلز وطوَّقته بذراعيها. رفع ويلز ذقنها وقبَّل شفتيها برقة.

- شكرًا لك يا حضرة الضابط جاها.

- على الرحب والسعة يا حضرة المتدربة الطبية جريفين.

كانت كلارك منهكة. لم تأكل أي شيء منذ الليلة الماضية، كل الطعام الذي أخذوه معهم إلى موقع التحطم كان من نصيب الناجين. تناوب الفريق على إرشاد الناجين إلى المخيم، ولم يتبق سوى عدد قليل من المصابين بحاجة إلى إسعافهم. كانت قد أجلت ذلك لأطول فترة ممكنة، ولكن لم تكن هناك طريقة لتجنب معالجة سكوت. جلس على جذع شجرة عند ساحة المخيم، ينظر إليها وهي تقترب.

قال وقد زمَّ شفتيه معًا في شيء يشبه الابتسامة: «ظننتكِ لن تأتي إليَّ أبدًا».

قالت كلارك آملةً أنه ربما لن يتعرف عليها بعد كل الأشهر التي أمضتها في الحبس والأسابيع التي أمضتها على الأرض: «آسفة لجعلك تنتظر».

- لا بأس أيتها الطبيبة. لقد استغرق الأمر مني كل هذه المدة للوصول إلى الأرض فقط لكي يتسنى لكِ أخيرًا أن تُريني مهاراتك في التضميد. أعتقد أننا قد تمت مقاطعتنا آخر مرة.

وجل قلب كلارك. لقد عرف سكوت بالضبط مَن تكون، ولم يبدُ أن سلوكه قد تغير.

- دعنا نفحصك.

أشارت إليه ليُظهِر لها معصمه. مد يده إليها. أمسكت يده ومعدتها تتمخض احتجاجًا عند ملامستها لجلده المتعرِّق. أدارت يده، وحركتها برفق إلى الأمام والخلف ومن جانب إلى آخر.

قال سكوت: «إذن هل أصبحتِ طبيبة حقيقية أخيرًا؟ أعتقد أن هذا يعني أنه لم يعد لديكِ الحق في التصرف بحساسية شديدة في أثناء الفحص الآن».

أجابت كلارك دون النظر إليه قائلة: «ليس تمامًا. لم أنتهِ من تدريبي، لكنني أقرب ما يكون إلى طبيبة هنا».

- حسنًا، سواء كنتِ طبيبة أم لا، من الأفضل لكِ أن تؤدي عملك على أكمل وجه.

حرَّك أصابعه في راحة يدها وأردف قائلًا: «هذه هي اليد التي أستخدمها في إطلاق النار على أي حال».

سحبت كلارك ضمادة من حقيبة الإمدادات خاصتها وبدأت في لفها حول رسغه ويده. قالت بنبرة واثقة وعملية، على أمل إنهاء المحادثة في أسرع وقت ممكن: «إنها ليست مكسورة. ولكن ستحتاج إلى الحد من استخدامك لهذه اليد لبضعة أيام حتى يخف التورم».

ثم أخذت نفسًا عميقًا ونظرت إليه مباشرةً في عينيه وأردفت قائلة: «وليس من شأن ذلك أن يسبب مشكلة، فنحن نصطاد بالرماح والسهام هنا، وليس بالمسدسات».

حدق سكوت إلى عينيها هو الآخر، فشعرت كلارك ببشرتها تموج بقشعريرة تسري في ذراعيها. قال بهدوء: «لم أكن أتحدث عن إطلاق النار على الحيوانات!».

وقبل أن تتمكن كلارك من سؤاله عما كان يقصده، أمال رأسه إلى الجانب ونظر إليها من كثب نظرة متفحصة بنفس التعبير الذي كان يجعلها ترغب في الاستحمام بأسرع ما يمكن.

- إذن، لماذا لم تستكملي تدريبك؟

قالت كلارك بحزم ودون النظر في عينيه: «لقد حُبستُ قبل أن أتمكن من استكماله».

- حُبستِ؟ أنتِ؟

سكت للحظة، ثم ضحك مُستهزِئًا: «الآنسة المثالية الصغيرة، حُبِسَت! ومع ذلك، أتعلمين؟ لا أمانع أن تعالجني مجرمة. بشكلٍ ما تعجبني معرفة أنه، طوال ذلك الوقت، كانت هناك فتاة سيئة ومشاغبة مختبئة تحت هذا الزي الطبي».

خفض صوته عندما مرت من أمامهما امرأة ترتدي زي ضابط، تتحدث بشكل محموم إلى رجل بدا مألوفًا بالنسبة إلى كلارك على نحو غامض.

- آمل أن تكوني قد أحضرتِ زيك الطبي معكِ إلى الأرض. لطالما أعجبتني الطريقة التي كان يجعلكِ تبدين بها...

قالت كلارك بنبرة مبتهجة على نحو مصطنع ومبالغ فيه وهي تضبط الضمادة وتربت على معصمه بشدة، متجاهلةً تكشيرة الألم على وجهه: «ها قد انتهينا. أراكَ في الجوار».

ودون إلقاء نظرة أخرى على سكوت، ابتعدت كلارك مسرعة، وهي ترتجف في اشمئزاز كما لو كانت تتخلص من وطأة نظراته المحدقة الثقيلة.

الفصل الرابع

ويلز

جفل ويلز بينما كان يسير متسلقًا المنحدر ومتجهًا إلى البحيرة للمرة الثامنة في ذلك اليوم. لقد قطع ما يقرب من عشرين ميلًا في السير ذهابًا وإيابًا، يرشد مجموعة من الناجين إلى المخيم ثم يعود من أجل مجموعة أخرى.

كان عدد الكبار أكبر من عدد المراهقين والأطفال في ساحة المخيم، وهو مشهد بدا غريبًا كغرابة الغزالة ذات الرأسين التي رأوها في الأسبوع الأول على الأرض. بات وجودهم أكثر وضوحًا من خلال حقيقة أنهم لا يستطيعون فعل شيء أكثر من التحديق حولهم في حالة من الدهشة والصدمة بينما المراهقون الذين كانوا يتعفنون في أحد مراكز الاحتجاز قبل أسابيع قليلة فقط، أصبحوا الآن منتشرين في كل مكان من حولهم، يصيحون بإعطائهم التعليمات وإرشادهم للاتجاهات.

صُدِم ويلز أيضًا لقلة مشاهد لمِّ الشمل السعيدة. لم يشهد سوى اثنين فقط يعثران على أي أقارب لهما، وكلاهما فينيكسيَّان. لم يكن لأيٍّ من الوالدنيين أو الآركاديين أي أحباء على متن السفن.

قالت امرأة شابة لاهثة وهي تَقبَل بامتنان مساعدة ويلز لتسلق المنحدر الحاد: «لا أصدق أنني فعلتها».

قال وقد تباطأ في خطواته حتى يسهل عليها مواكبته: «لقد كان هبوطكم صعبًا للغاية».

وعلى الرغم من أنه لم تمضِ سوى بضعة أسابيع فقط على وصوله هو، فقد نسي كيف كان شعوره بعدم الاستقرار في البداية.

قالت وقد توقفت لتنظر إليه: «ليس الهبوط. أقصد فينيكس... كان الوضع مروعًا».

ثم رفعت عينيها إلى السماء وتنهدت وهزت رأسها قائلة: «لم يعد لديهم الكثير من الوقت».

كانت كلماتها كلكمة في أحشاء ويلز. ولكن قبل أن يتمكن من السؤال عما تعنيه، تدخَّل إريك لإرشاد الشابة عبر الغابة إلى المخيم، تاركًا ويلز لكي يعود إلى البحيرة.

انتاب ويلز شعور حارق بالذنب، وكأنما ثمة لفائف معدنية ساخنة ملفوفة بإحكام حول معدته. لم يكن بحاجة إلى معرفة التفاصيل ليفهم أنه ربما كان مسؤولًا عن أي ما كان المصير القاتم الذي ينتظر الأشخاص الذين لا يزالون على متن المستوطنة. ربما أصبح قائدًا هنا على الأرض، ولكنه لا يزال قاتلًا بارد القلب هناك على السفينة.

كان بإمكان ويلز أن يشعر تقريبًا ببرودة معدن المسد الهوائي لحجرة الضغط عند أطراف أصابعه وهو يفتحه، قليلًا فقط، سامحًا للأكسجين الثمين بالتسرب من السفينة. كان يحاول فقط تسريع ما لا مفر منه حتى تتمكن كلارك من السفر إلى الأرض قبل عيد ميلادها الثامن عشر.. قبل إعدامها المُحَتَّم. ولكنه بات يعرف، الآن، أنه أيضًا قد عجَّلَ بموت آلاف من الأبرياء الذين لا يزالون عالقين على متن المستوطنة.

عندما اقترب من البحيرة، جعَّدَ أنفه بسبب الرائحة التي أصبحت الآن مألوفة بموقع سقوط السفن. ولكن بخلاف الرائحة النفاذة للدخان واحتراق المعدن الممتزجة مع رائحتَي الدم والعرق، استشعر شيئًا آخر. استغرق الأمر لحظة لتحديد ماهيته، ولكن بمجرد أن فعل ذلك، بدأت نبضات قلبه في التسارع.. إنها رائحة الوقود. لقد كان يتسرب من سفن الإنزال المحطمة إلى العشب، والوحل، والمياه من حولهم. وعلى الرغم من أن معظم ألسنة اللهب قد

بدأت تخمد بالفعل، فإن شرارة واحدة في المكان الخطأ كانت كفيلة لتحويل المكان كله إلى جحيم.

ثم، وكأنه مشهد من كابوس، رآه ويلز يتحقق أمام عينيه. على بُعد نحو مئة متر، اندلع لهيب هائل من أعلى إحدى السفن المتفحمة، واندفعت قطع من الحطام المشتعل في الهواء.

صاح ويلز وقد اندفع راكضًا: «انتبهوا! تحركوا جميعًا!».

لحسن الحظ، كان قد نُقِل جميع المصابين في منطقة أخرى، لكن كثرة الدخان جعلت من الصعب التأكد ما إذا كان الآخرون قد تمكنوا من الفرار. اندفع ويلز إلى الأمام، وهو يلهث ويسعل ويمسح عينيه بكُمَّيه في أثناء ما كان يصرخ مناديًا على أي شخص بحاجة إلى المساعدة.

كان هناك صوت طنين خافت، كشيء يطير في الهواء. نظر ويلز إلى الأعلى لكنه لم يستطع رؤية أي شيء سوى دخان رمادي غامق. تعالى الصوت أكثر، ولكن قبل أن يتمكن ويلز من إبداء أي ردة فعل، شعر بجسده يطير في الهواء، ويسقط على الأرض بصوت ارتطام قوي. حاول أن يتدحرج على جنبه، لكن شيء ما -أو شخص ما- كان فوقه. بعد لحظة، أزيح هذا الثقل من فوقه، ونظر ويلز إلى أعلى متأوهًا. على بُعد أمتار قليلة من رأسه كانت هناك قطعة ضخمة من هيكل الطائرة المشتعل. إذا لم يسقط أرضًا، لكان قد سحق جمجمته.

التفت إلى الجانب الآخر ورأى جسدًا نحيلًا يقف بجانبه، فتاة ترتدي السروال والقميص الرماديَين الخفيفَين النموذجيَين للمستوطنة. مدت يدها إلى يده وشدته ليقف على قدميه.

قال ويلز وهو يرمش بسرعة في انتظار أن تتضح الرؤية أمامه: «شكرًا لكِ».

عندما عاد العالَم أمامه إلى بؤرة الضوء، تسبب أول شيء رآه في موجة من الفرح تدفقت بداخله. لقد كانت جلاس.

حدَّقا إلى عينَي بعضهما بعضًا في نفس اللحظة، وأُضيء وجهاهما بابتسامتين عريضتين متطابقتين. تقدم ويلز، وطوى المسافة بينهما في لحظة

ولف ذراعيه حول صديقة طفولته المفضلة، وضمها إليه في عناق قوي. تلاحقت ومضات سريعة لمليون صورة في دماغه لسنوات من الذكريات السعيدة التي جمعتهما معًا. لقد كان مُرَكِّزًا بشدة على ملاحقة كلارك إلى الأرض لدرجة أنه لم يكن لديه متسع من الوقت للقلق بشأن جلاس بعد أن هربت من سفينة الإنزال مباشرةً قبل إقلاع المئة. امتلأ صدره بالرائحة المألوفة لشعرها -ذلك المزيج الخاص من رائحة جلاس وشامبو المستوطنة ذي الرائحة الاصطناعية- بالارتياح، ولوهلة قصيرة استرجع الأيام الأكثر هدوءًا وبساطة.

منذ صغرها، كانت الوحيدة القادرة على نسيان حقيقة أنه ابن المستشار، الوحيدة التي لم تجعله يشعر وكأنه داخل شاشة عرض. مع جلاس، كان بإمكانه أن يتصرف بغير نضج، أو بمرح، أو حتى بشكلٍ مؤذٍ في بعض الأحيان.. مثل تلك المرة التي قال فيها إنه سيأخذها إلى مركز المحفوظات لتشاهد بعض مقاطع الفيديو لحفل زفاف ملكي ممل، بينما كانت خطته الحقيقية هي مشاهدة سمكة قرش بيضاء عملاقة تهاجم حوت أوركا القاتل. وفي المقابل، لم تكن جلاس خائفة من إظهار جانبها الأحمق أمامه. فبينما كانت بقية السفينة ترى جلاس كفتاة فينيكسية مهذبة تمامًا، لا يشوب سلوكها أي شائبة. عَلِمَ ويلز أنها تحب ابتكار رقصات سخيفة وأنها تنفجر في الضحك كلما ذكر أحدهم أورانوس.

قال ويلز وقد ابتعد قليلًا حتى يتمكن من النظر إليها: «لا أصدق أنكِ هنا. هل أنتِ بخير؟ لقد كنتُ قَلِقًا جدًّا عليكِ».

فأجابته قائلة: «أتمزح؟ فكِّر في مدى قلقي أنا عليك. لم يكن أحد يعرف ما إذا كنتم قد نجحتم في الوصول أم لا. هل أنت بخير؟ كيف حال الحياة هنا؟».

مجرد التفكير في كم الأشياء التي لديه ليخبرها بها جعل رأسه يدور. لقد حدث الكثير من الأشياء منذ آخر مرة رأيا فيها بعضهما بعضًا. لقد أضرم النيران في شجرة عدن لكي يُقبَض عليه، وحُبِسَ بالفعل، ودخل في مواجهة مع والده، وركب مع بقية المئة على متن سفينة الإنزال التي هربت منها جلاس، وقضى الأسابيع القليلة الماضية يصارع من أجل حياته على الأرض.

بدأ يحكي قائلًا: «الغريب في الأمر أن...».

وقالت هي في نفس الوقت: «هل هناك فعلًا...».

قال كلاهما معًا: «أنت أولًا». ثم ضحكا.

ابتعدا عن بعضهما بعضًا، وتلاشت الابتسامتان على شفتيهما إذ ذكَّرتهما رائحة الدخان والمعدن المتفحم بأين هما، ولماذا. كان ثمة سؤال يدور في رأس ويلز وقد أخبرته الطريقة التي تحوَّل بها تعبير وجه جلاس إلى الجدية أنها عرفت ما كان يفكر فيه.

ابتلع ريقه بصعوبة ووجد الشجاعة ليسأل: «هل تعرفين أي شيء عن والدي؟».

زمَّت جلاس شفتيها معًا، وامتلأت عيناها بالشفقة، نظرة كان ويلز يعرفها منذ الأسابيع العصيبة التي تلت وفاة أمه. أعدَّ ويلز نفسه لأي ما كانت على وشك إخباره به، وكان ممتنًا فحسب لأنه في حال سماعه أخبارًا مؤلمة، فسيسمعها منها.

قالت بنبرة خافتة ولكن بثبات: «لم يخبروا أي أحد بالكثير...».

حبس ويلز أنفاسه في انتظار أن تُكمِل كلامها.

- ولكن آخر ما سمعناه، أنه كان لا يزال في غيبوبة.

ثم سكتت جلاس لبرهة، في انتظار أن يستوعب ما قالته. أومأ ويلز برأسه، وأخذت تحوم في عقله صور والده وهو يرقد وحيدًا في المركز الطبي، بدنه الطويل العريض وقد بدا واهنًا تحت الغطاء الرقيق. ركز جهوده على ألا يظهر التأثر على وجهه، في حين غاصت كلمات جلاس في صدره، واستقرت في أعمق نقطة في قلبه.

قال بعد تنهيدة طويلة: «حسنًا. شكرًا لإخباري».

تقدمت جلاس نحوه.

- ويلز.

كان هذا كل ما قالته قبل أن تطوقه بذراعيها مرة أخرى، هذه المرة من أجل المواساة. كانت تعرفه جيدًا، ولم تكن لتتركه يتظاهر وكأنه لم يتأثر. وأفضل جزء في صداقتهما أنه لم يمانع.

وبعد لحظة طويلة، ابتعدا عن بعضهما بعضًا. كان ثمة شيء ويلز بحاجة لأن يخبر جلاس به قبل أن تعود إلى المخيم. قال: «جلاس. إن الأمور هنا على الأرض... مختلفة بعض الشيء عما توقعناه».

بدا القلق على وجهها.

- ما الأمر؟ ماذا هناك؟

حاول أن يختار كلماته بعناية، ولكن لم تكن هناك طريقة لتلطيف تلك المعلومة الصادمة والمربكة. قال بهدوء حتى لا يسمعه أحد من حولهم: «نحن لسنا وحدنا. هنا. على الأرض».

انتظر أن تستوعب ما قاله قبل المتابعة. في البداية، ابتسمت، وبدت مستعدة لإلقاء تلك المزحة على مئات المستوطنين من حولهما. ثم استوعبت معاني كلماته، وتغير تعبير وجهها.

- ويلز. أتقول إن...

ثم تلاشى صوتها.

- أجل. ثمة أناس آخرون هنا على الأرض. أناس قد وُلِدوا هنا.

اتسعت عينا جلاس وقالت وهي تدير رأسها من جانب لآخر، وكأنها تتوقع رؤية أناس يراقبونها من الأشجار: «ماذا؟ هل أنت جاد؟ لا يمكن أن تكون جادًّا».

- أنا جاد مئة بالمئة. ولكن لا بأس. إنهم مسالمون للغاية ولطيفون. أو حسنًا، معظمهم كذلك. ثمة مجموعة صغيرة انشقَّت منذ نحو سنة، وهم خطِرون. لكن البقية مثلنا تمامًا.

فكر ويلز في ساشا ولم يستطع كتم ابتسامته، ثم أردف قائلًا: «إنهم في الواقع مُلهِمون للغاية. الأرضيون أناس طيِّبون، ربما يكونون أناسًا أفضل منا. أعتقد أن لدينا الكثير لنتعلمه منهم. عليَّ فقط إيجاد طريقة لإعلام الآخرين دون إخافة أي أحد».

كانت جلاس تحدق إليه، لكنها لم تعد مرتبكة. قالت ببطء، وقد تشكلت ابتسامة صغيرة في زاويتَي فمها: «ويلز، هل هنالك أي شيء لم تخبرني به؟».

نظر إليها بطرف عينيه وقال: «أجل، من الواضح أن هناك طنًّا من الأشياء التي لم أخبركِ بها بعد. كان هناك هذا الهجوم المروع، وحريق، ثم بدأ الناس يمرضون، ولن تحزري أبدًا ماذا حدث عندما...»».

قاطعته قائلة: «لا. شيء ما لم تخبرني به عن الأرضيين هؤلاء. أو ربما عن واحدة منهم على وجه الخصوص؟»».

- ماذا؟ لا.

عادة ما كان بارعًا جدًّا في إخفاء أفكاره، لكن شيئًا ما في نبرة جلاس جعل الحَمَار يضرب في خديه. همست قائلة وقد بدا في صوتها خليط من الصدمة والابتهاج: «يا إلهي. هناك فتاة. فتاة أرضية».

- أنتِ مجنونةِ. لا يوجد أي...

ثم سكت فجأة وابتسم وهز رأسه وقال: «كيف حزرتِ؟».

مدت جلاس يدها وضغطت على ذراعه وأجابته قائلة: «لا يمكنك إخفاء الأسرار عني يا ويلز جاها. إنها تلك الطريقة التي كنت تتحدث بها عن هؤلاء الأرضيين الملهمين! لقد ارتسمت على وجهك نفس النظرة التي كانت ترتسم حالما تتحدث عن كلارك».

ثم تجهَّم وجهها بعض الشيء وتجعَّد جبينها وأردفت قائلة: «أهذا يعني أنكما انفصلتما؟ ماذا حدث؟».

تنهد ويلز وقال: «إنها قصة طويلة، ولكنني بخير».

ابتسم، وأخذ يفكر في مساء يوم أمس، عندما كان مستلقيًا ورأسه في حِجرِ ساشا وهما يحدقان إلى النجوم.

- في الواقع، أنا أكثر من كوني بخير. لا أستطيع الانتظار حتى أُعرفكِ على ساشا.

قالت جلاس وقد خاب ظنها قليلًا أن الاسم لم يبدُ غريبًا بما فيه الكفاية: «ساشا. أين هي؟».

وقبل أن يتمكن ويلز من الرد، اقترب فتى طويل في زي حارس، حاملًا إناء ماء صغيرًا في إحدى يديه، وكانت ذراعه الأخرى مُعلَّقة في حمالة كتف. أشرق وجه جلاس عند رؤيته، ولم تشح بناظريها عندما سلمها الإناء وانتظرها حتى تأخذ رشفة.

قالت له: «شكرًا».

وابتسمت له قبل أن تلتفت أخيرًا لويلز قائلة: «ويلز، هذا لوك».

مدَّ ويلز ذراعه وصافح يد الحارس بقوة قائلًا: «أنا ويلز. سعيد بلقائك».

قال لوك وقد ابتسم ابتسامة عريضة وهو يترك يد ويلز ويربت على كتفيه: «أعرف. إنني أعرفك، بالطبع، أخبرتني جلاس كل شيء عنك. من الرائع حقًّا مقابلتك يا رجل».

تأبطت جلاس ذراع لوك وأخذت تنظر إلى كلا الفتيَين بابتسامة مشرقة.

ابتسم ويلز ابتسامة عريضة. لم تكن لديه أي فكرة عن كيف انتهى المطاف بجلاس مع حارس، ناهيك بشخص لم يكن حتى من فينيكس، ولكن لا شيء من هذا يهم هنا. وعلاوةً على ذلك، كان ثمة شيء ما في لوك أحبه ويلز على الفور. لقد بدا موثوقًا، وصادقًا. ليس كرجال فينيكس الخبيثين المتملقين الذين اعتادت جلاس مواعدتهم. من الواضح أنها واقعة في الحب، وكان ذلك كل ما احتاج ويلز لمعرفته.

قال ويلز بابتسامة، مشيرًا إلى السماء والأشجار والماء في كل مكان حولهم: «مرحبًا بك على الأرض».

ثم، لاحظ أن قميصها كان مغطى بالدم. شهق بحدة وأشار إليها قائلًا: «جلاس، هل أنتِ بخير؟».

خفضت جلاس رأسها لتنظر إلى قميصها وقد شحب وجهها. وقالت بهدوء: «أجل، أنا بخير. هذا... ليس دمي».

لفَّ لوك ذراعه حول كتفيها وضمها إليه بشدة.

انقبضت معدة ويلز وهو يستعد لسماع الأخبار الفظيعة المفجعة التي كاد يشعر بها تحوم بالفعل في الهواء، كما لو كان ألم جلاس يشع من داخل المكان المظلم الذي خبأته فيه. أخذت جلاس نفسًا عميقًا وحاولت استجماع نفسها، ولكن قبل أن تتمكن من تكوين أي كلمة، انهارت ودفنت وجهها في قميص لوك. همس بشيء في أذنها لم يستطع ويلز سماعه ومسَّد على شعرها.

حَدَّقَ ويلز في رعب. أراد جزء منه أن يطوِّق صديقته الأعز بذراعيه، لكن من الواضح أن هذا لم يعد مكانه بعد الآن. لذا وقف، منتظرًا، حتى التفت إليه لوك وقال: «إنها أمها. لقد ماتت».

الفصل الخامس

جلاس

لم تشعر جلاس مطلقًا بالغربة أكثر من الآن. لا كفتاة فينيكسية آتية لزيارة لوك على والدن. لا كابنة رجل هجر عائلته. ولا حتى كمُدانة قد أُطلِقَ سراحها مؤخرًا على فينيكس. لقد وقفت أمام حفرة النيران، مرتجفة رغم أن الشمس كانت ساطعة في السماء، وراقبت نوبة النشاط المحموم في أرجاء المخيم. في كل مكان نظرت إليه، كان الصغار ممن في سنها أو أصغر منشغلين بمهام بالغة الأهمية.

اندفع الناس إلى داخل وخارج كابينة المشفى، يحضرون الماء لمرضى كلارك، ويُخرجون الضمادات الملطخة بالدماء لحرقها أو دفنها في الغابة. انسل بعض الصغار إلى ساحة المخيم، حاملين الفؤوس والحطب الذي قطعوه بأنفسهم، بينما كان آخرون يضعون الأساس لكابينة جديدة. قبل ذلك بساعات قليلة، توجهت مجموعة من المتطوعين بوجوه متجهمة إلى البحيرة للبدء في حفر القبور للركاب الذين لم ينجوا. كان العدد أكبر بكثير من أن تسعه المقبرة على الجانب الآخر من ساحة المخيم، ولم يكن هناك ما يدعو لحمل الجثث على طول الطريق إلى المخيم.

على الرغم من أن القادمين الجدد قد رحلوا عن المستوطنة الفضائية فجـأة دون سابق إنذار، فإن سفن الإنزال قد زُوِّدَت بما يكفي من الإمدادات واللوازم الأساسية لجعل الدفعة الأولى من الصغار يتصرفون وكأنهم قد أُعطوا مفتاح الحياة الأبدية. بدت إحدى الفتيات اللواتي كلفهن ويلز بإجراء الجرد

وكأنها ستبكي وهي تمرر يدها على مطرقة جديدة، تتعامل معها بنفس القدر من التبجيل الذي كانت تُظهره الفتيات الأخريات تجاه قطعة مجوهرات جميلة في قسم المعاملات.

كانت جلاس حريصة كل الحرص على أن يكون وجودها مفيدًا، لكنها كانت تشعر بكونها غريبة عن هذا العالم، ولا تعلم ما الذي بوسعها تقديمه من أجل المساعدة. كانت خائفة جدًّا حتى من أن تسأل أين -أو الأسوأ، كيف- يمكنها الذهاب إلى الحمَّام. لقد استُدعِيَ لوك مع بقية الحراس، ورغم أنه كان مترددًا في ترك جلاس بمفردها، فإن كليهما يعلم أن الوقت الآن لم يكن مناسبًا للتنصل من أداء واجبه.

كانت ثمة مجموعة من الفتيات في عمر جلاس يسرن نحو النيران، يهمسن فيما بينهن، ولكن عندما مررن بجانب جلاس سكتن وأخذن يحدقن إليها في حذر.

قالت جلاس، حريصة على بدء الحديث بداية طيبة: «مرحبًا، هل ثمة أي شيء يمكنني فعله للمساعدة؟».

ضيَّقت إحدى الفتيات عينيها، وهي فتاة طويلة ذات شعر بُنِّي أظهر سروالها القصير الممزق بعناية ساقيها الطويلتين المتناسقتين بشكل خيالي، وقالت وهي تنظر إلى جلاس من أعلى لأسفل: «كان من المفترض أن تكوني معنا على متن السفينة، أليس كذلك؟».

أومأت جلاس قائلة: «أجل، لقد أُخِذتُ من مركز الاحتجاز، تمامًا كبقيتكن. لكنني تسللت هاربة في اللحظة الأخيرة».

كانت هذه هي المرة الأولى التي تعترف فيها طواعيةً باحتجازها. وكانت كلمة تسلل غير دقيقة إلى حدٍّ ما لوصف سباقها بين الحياة والموت على متن والدن للعثور على لوك، لكنها شعرت أن الآن ليس بالوقت المناسب لشرح هروبها الدرامي شرحًا تفصيليًّا.

قالت فتاة بلكنة آركادية وهي تتبادل النظرات مع صديقاتها: «آه، تسللتِ، حسنًا. لا بد أنه من اللطيف معرفة أناس يمكنك طلب الخدمات منهم».

عضَّت جلاس شفتيها، متمنيةً لو كانت هناك طريقة ما لتوضيح كل ما مرت به، وأنها لم تكن تقضي الأسابيع القليلة الماضية تستمتع بالحياة على متن فينيكس. لقد كادت تختنق على والدن وبالكاد تمكنت من الصعود على متن آخر سفينة. لقد شاهدت لتوها والدتها وهي تموت، وما زالت تضرب صدرها موجات متعاقبة من الآلام الحارقة والخدر الخانق.

قالت إحدى الفتيات، بشيء من اللطف أكثر من سابقتها: «عليكِ فقط التسكع مع الآخرين».

وأشارت إلى مجموعة من الوافدين الجدد الذين اجتمعوا على الجانب الآخر من النيران، يحدقون إلى محيطهم الجديد الصادم بعيون واسعة في عجب.

أومأت جلاس برأسها وشاهدت الفتيات يبتعدن، مُدرِكةً تمامًا أنه لم يكن مُرحَّبًا بها بين الوافدين الجدد كذلك. معظمهم قد رأوها على متن السفينة مع نائب المستشار رودس، شاغلةً المقعد الذي كان الآخرون يأملون أشد الأمل أن يشغله واحد من أصدقائهم أو أفراد أسرتهم الذين أُجبِروا على أن يتركوهم وراءهم. آه لو كانت والدتها هنا. لقد كانت لديها موهبة خاصة تجعلها تتصرف وكأنها في بيتها في أي مكان وتساعد جميع من حولها على التعامل بأريحية أيضًا. ربما لم تكن سونيا تعرف عن كيفية إشعال النار أو تقطيع الحطب أكثر مما تعرفه جلاس، لكن ابتسامتها الدافئة وضحكتها الموسيقية كانتا لا تُقدَّران بثمن وتفيان بالغرض تمامًا. طوَّقت جلاس نفسها بذراعيها ونظرت إلى الأعلى إلى الأشجار الطويلة المذهلة، وهي تتمايل مع الرياح، كانت تبدو وكأنها تنحني لتنظر إليها، مما جعلها تشعر وكأنها طفلة صغيرة ضائعة وسط بحر من الكبار المترنحين.

شاهدت ويلز وهو يخطو خارج كابينة المشفى، وحتى من على بُعد مسافة، كان يمكنها القول إنه كان متجهم الوجه. مرر أصابعه في شعره وفرك صدغيه. وعلى الرغم من خطورة الوضع، لم تستطع جلاس إلا أن تبتسم ردًّا على إيماءته المألوفة.. الإيماءة نفسها التي كان يومئها المستشار في كل مساء تقضيه في الدراسة في حجرة ويلز. غمرتها موجة من الندم وهي تفكر في المستشار، الذي تُرِكَ على متن السفينة المحتضرة. لن تتاح له الفرصة أبدًا لرؤية كل ما حققه ابنه على الأرض.

لطالما عرفت جلاس أن ويلز كان قائدًا بالفطرة، وكان قلبها يمتلئ فخرًا لرؤية مدى اعتماد الجميع عليه، رغم شعورها بوخزة من الحزن. إنه لشعور أنانيٌّ، لكنها كانت تفتقد الأيام التي كان ويلز فيها ينتمي إليها في المقام الأول.

التفتت جلاس إلى ويلز الذي كان متباطئًا خلفها على مسار الجاذبية وقالت: «راقب هذا».

نظرت حولها لتتأكد من أن مدرب اللياقة البدنية لم يكن يراقبهما، ثم ركضت نحو لوحة التحكم، وأمسكت بالمقبض، ودفعته لأعلى قليلًا. شعرت على الفور بأنها أخف وزنًا وضحكت وهي ترتفع عن الأرضية وتُحلِّق في الهواء للحظة قبل أن تهبط ببطء. ثنت ركبتيها، ودفعت نفسها بقوة أكبر، ومددت ذراعيها، وحركتهما في الهواء واحدة تلو الأخرى قائلة: «انظر! إنني أسبح!».

ثم قَرَصَت أنفها ونفخت خديها قبل أن تضحك ضحكة خافتة، وقالت: «هكذا كانوا أطفال الأرض يذهبون إلى المدرسة عند هطول الأمطار».

قفز ويلز تجاهها بابتسامة وقد رفع ذراعه اليسرى أمامه، ودفع قدمه اليمنى خلفه، ثم أخذ يبدل بذراعيه وساقيه في الهواء وسأل لاهثًا: «ما رأيكِ بهذا؟ إنني أتزلج!».

بذلت جلاس قصارى جهدها لتقليد الأرضيين القدماء. قلَّدَت صوت امرأة عجوز وهي تدندن قائلة: «ها أنا أتزلج في طريقي إلى محل البقالة، حيث سأنتقي بعض الخضراوات الطازجة، ومن ثم أقود سيارتي في نزهة إلى الشاطئ».

فأضاف ويلز: «مع دُبي الأليف، فايدو، وأبنائي الستة!».

سقطت جلاس وويلز فوق المسار في نوبة من الضحك العالي لدرجة دفعت مدرب اللياقة البدنية للخروج مسرعًا من مكتبه. وبخهما قائلًا: «ماذا تظنان نفسيكما فاعلَين! إنكما تعلمان جيدًّا أنه لا يُسمح لكما بلمس إعدادات الجاذبية».

هرول إليهما، بوجه صارم، لكن كان من المستحيل أخذه على محمل الجد عندما كانت كل خطوة من خطواته الغاضبة تجعله يثب في الهواء. وعندما اقترب وأدرك أنه ويلز ابن المستشار، هدأ غضبه قليلًا، واستُبدِل بالابتسامة التي تغلب عليها الرسمية، تلك التي يبتسمها معظم الكبار لويلز عندما يضبطهم ساهين.

- سيدتي الصغيرة. السيد جاها.

ثم تلفت حوله، ليتحقق ما إذا كان هناك حارس داخل مركز اللياقة وأردف: «لن أكتب فيكما مخالفة هذه المرة، ولكن لا تختبرا صبري مرة أخرى. مسار الجاذبية ليس بمنطقة للعب، حسنًا؟».

أومآ برأسيهما وراقباه وهو يستدير بأكبر قدر تمكَّن استجماعه من الكرامة وهو يطفو فوق الأرضية.

أما ويلز وجلاس فقد زَمَّ كلٌّ منهما شفتيه معًا، وأخذا يزفران أنفاسًا حادة من أنفيهما حتى أصبح بعيدًا بما فيه الكفاية. وعندما لم يعد بإمكانه سماعهما، انفجرا ضاحكَين حتى آلمتهما بطناهما وتناثرت الدموع على وجهيهما الشابَّين.

تجوَّلت جلاس على حافة ساحة المخيم وجلست على جذع خشبي. فإذا لم تستطع المساعدة، فبإمكانها على الأقل البقاء بعيدًا عن الطريق. الشيء الوحيد الذي جعلها تشعر بأنها ليست عديمة النفع أن لوك سرعان ما عُيِّنَ حارسًا شخصيًّا لنائب المستشار، وهو السبب في أنها بالكاد رأته منذ أن هبطوا. أما الآن فقد ذهب إلى مكان ما لتلقي تعليمات حول إقامة محيط أمني حول مخيمهم. لمحت جلاس ويلز مرة أخرى في الطرف البعيد من ساحة المخيم، هذه المرة يتمشَّى مع فتاة، لا بد أنها كانت ساشا. طوَّق ويلز كتفيها بذراعه وطبع قبلة على رأسها. كان من الغريب والمدهش رؤية ويلز رقيقًا وعاطفيًّا إلى هذا الحد، بل والأكثر إثارة للدهشة هي فكرة أن حبيبته كانت من الأرضيين! كل الأسئلة التي لم تخطر على بال جلاس من قبل انبثقت بداخل رأسها في تلك اللحظة. هل تتحدث الإنجليزية؟ أين تعيش؟ ماذا تأكل؟ والأهم من ذلك، من أين حصلت على ملابسها؟ نظرت جلاس بنظرة حاسدة إلى

طِماق ساشا الضيِّق أسود اللون، الذي بدا وكأنه مصنوع من جلد الحيوانات، ووجدت يديها تتحسسان بنطالها الممزق المتسخ.

كان أيضًا من المربك جدًّا رؤية ويلز يُقبِّل أي شخص آخر غير كلارك. ففي آخر مرة رأت فيها صديقها المقرَّب، كان لا يزال غارقًا في حب كلارك لدرجة أنه بالكاد كان يستطيع التحدث عن أي شيء آخر. ولكن مجددًا، إذا كانت جلاس قد تعلمت أي شيء على مدار الأسبوعين الماضيين، فهو أن الناس يمكنهم مفاجأتك. حتى هي قد فاجأت نفسها.

ضحكت جلاس بينها وبين نفسها قبل أن تحمر خجلًا وتتلفت حولها لتنظر ما إذا كان أي شخص قد لاحظ ذلك. كان عليها أن تتذكر أن تخبر ويلز بأنها في الواقع قد سارت في الفضاء، بمفردها، على طول السطح الخارجي للسفينة. ناهيك برحلاتها الخانقة العديدة عبر فتحة التهوية من والدن إلى فينيكس والعودة مرة أخرى.

لن يصدقني أبدًا، جال في خاطرها. ثم صححت لنفسها مسار أفكارها وحدَّثت نفسها قائلة: *لم يكن ليصدقني من قبل. ولكن الآن كلانا سيصدِّق أي شيء.*

ومع تنهيدة، مسحت جلاس بعينيها ساحة المخيم مرة أخرى. كانت بحاجة لأن تجد شيئًا لتفعله. وقعت عيناها على كابينة المشفى. استجمعت شجاعتها وبدأت تعبر ساحة المخيم متجهةً نحوها، حريصة على تجنُّب فتيَين يحملان شيئًا كبيرًا. في البداية، اعتقدت أنه كان أحد الركاب المصابين، لكنها أدركت بعد ذلك أن ما كانت تحسبه ذراعين نحيفتين ورجلين طويلتين كان في واقع الأمر أربع أرجل! وكانت مغطاة بالشعر، وليس الجلد. شهقت جلاس. لقد كان حيوانًا، غزالًا، ربما. ارتجفت عندما وقعت نظراتها على عينيه البُنيَّتين الكبيرتين اللتين كانتا بالفعل خاليتين من الحياة، وشعرت بموجة من الأسف لأن أول حيوان تراه كان ميِّتًا. لم تكن الأرض كما تخيلتها. كانت باردة وغريبة، وبدلًا من أن تنبهر بجمالها، لم تبدُ لها سوى أنها ملأى بالموت.

أجبرت عينيها على النظر بعيدًا وتوجهت نحو كابينة المشفى، توقفت عند الباب قبل أن تأخذ نفسًا عميقًا وتخطو إلى الداخل. للوهلة الأولى، انبهرت بالكفاءة العملية، حتى في مثل هذه المساحة الصغيرة. كان العمل على قدم

وساق، وكأنما ثمة دوامة من النشاط قد اندلعت داخل الكابينة: فيليكس وإريك يقطعان الغرفة ذهابًا وإيابًا، يناولان الضمادات ويفتشان في داخل صندوق يحتوي على قوارير صغيرة وزجاجات أدوية.

أمالت أوكتافيا وعاء ماء نحو شفتَي فتى في مثل عمرها تقريبًا، الذي كان مستلقيًا على سرير نَقَّال وساقه المصابة مسنودة على قطعة بلاستيكية من الحطام قد أعيد توظيفها. كان الناجون من تحطم السفينة مكدسين على الأسِرة النقالة، ممدين على الأرض، ومنهم من كانوا متكئين على الحائط. وفي وسط كل ذلك، كانت كلارك، التي بدت وكأنها موجودة في ثلاثة أماكن في وقت واحد، تعطي تعليمات لأوكتافيا دون أن تنظر في اتجاهها، وناولت إريك شظية معدنية كانوا يستخدمونها في قطع الضمادات، وساعدت امرأة أكبر سنًّا على الوقوف، وضغطت بيدها على جبين فتاة صغيرة بالقرب منها، كل ذلك دون أن تبدو ولو مرتبكة بعض الشيء على الأقل. لم تكن جلاس قد رأت كلارك مُسيطِرة إلى هذه الدرجة من قبل.. لقد كانت في مكانها المناسب تمامًا.

قالت جلاس: «مرحبًا كلارك».

بدت التحية وكأنها شيء هزلي مع أنها كانت المرة الأولى التي تلتقيان فيها وجهًا لوجه على الأرض، ولكن الآن لم يكن حقًّا الوقت المناسب لقول: *مرحبًا يا كلارك، آمل أنكِ بخير، وأنكِ لستِ حزينة جدًّا بشأن الانفصال عن ويلز بعد رحلة عصيبة إلى الأرض. وآه أجل، آسفة لمعاملتكِ بوقاحة حقيقية عندما كنا أطفالًا صغارًا.*

رفعت كلارك رأسها، وظهرت لمحة من الشك على وجهها، ولكنها سرعان ما توارت خلف سلوكها العملي الجاد.

- جلاس. أتحتاجين شيئًا؟ هل أُصِبتِ؟

حاولت جلاس ألا تستاء من نبرة كلارك الجافة وكلماتها المقتضبة. لم يكن بينهما قط ود من نوع خاص على أي حال.. لطالما اعتبرت جلاس أن كلارك جادة جدًّا بالنسبة إليها. دائمًا ما كانت جلاس تنشغل أكثر باقتفاء الإكسسوارات الجميلة في قسم المعاملات، بينما كانت كلارك منشغلة بتعلم كيفية إنقاذ الأرواح. لكنهما دائمًا ما كانتا تتشاركان في حبهما العميق لويلز

وقلقهما على سلامته. وفي هذه اللحظة، بدا أي وجه مألوف وكأنه وجه صديق ودود. لم يعد لدى جلاس شيء لتخسره.

أجابت جلاس متلعثمة: «أوه، لا.. آسفة. أنا بخير. كنت أتساءل فقط عما إذا كنتِ بحاجة إلى أي مساعدة».

حَدَّقَت كلارك إلى جلاس للحظة، كما لو كانت تحاول تحديد ما إذا كانت جادة فيما تقوله. انتظرت جلاس في شيء من الحرج حتى قالت كلارك أخيرًا: «أكيد، بالطبع. كلما زاد عدد الأيدي المساعدة كان ذلك أفضل».

فزفرت جلاس قائلة: «عظيم».

ونظرت حولها في الغرفة بحثًا عن مهمة تحتاج لمن يفعلها. لاحظت كومة متأرجحة من العُلَب والأكواب المعدنية المتسخة. فأشارت إليهم قائلة: «يمكنني تنظيف هذه الأشياء».

أومأت كلارك برأسها قبل أن تلتفت مرة أخرى للمرأة التي أمامها، وقالت: «سيكون ذلك رائعًا. فقط تأكدي من نقلها إلى المجرى الجنوبي، وليس الذي نحصل منه على مياه الشرب. لكنها بحاجة إلى التعقيم فوق النار أولًا. عليك فقط استخدام عصا ووضعها بالأدوات فوق اللهب لخمس دقائق أو نحو ذلك».

- فهمت، سأتولى الأمر.

التقطت جلاس بعض الأشياء من أعلى الكومة وتحركت نحو الباب.

نادتها كلارك قائلة: «جلاس. أتعرفين كيفية الوصول إلى المجرى الجنوبي؟».

هزت جلاس رأسها نافية وقد احمر خداها خجلًا: «لا، آسفة. كنت سأسأل أحدهم أن...».

أعطت كلارك بعض التعليمات لمريضتها، ثم أمسكت بحفنة من العُلَب المعدنية وتبعت جلاس. قالت: «سأريكِ. أريد تنشُّق بعض الهواء».

خرجت الفتاتان إلى ضوء الشمس معًا، وقد حَشَّفتا عينيهما واستنشقتا الكثير من الهواء البارد الذي كان منعشًا بعد الوقت الذي أمضتاه في الكابينة الخانقة.

وفي أثناء سيرهما نحو حفرة النار وسط المخيم، لمحت جلاس حركة سريعة بطرف عينيها. التفتت بسرعة نحو حافة الغابة وأغمضت عينيها نصف إغماضة. بين الظلال، على بُعد نحو عشرة أقدام في الغابة، كان هناك فتى طويل أسود الشعر متوارٍ بشكل جزئي خلف إحدى الأشجار. كان يحدق إليهما. أخذت جلاس نفسًا عميقًا، في ذهول، وقد توقفت عن السير.

سألت كلارك وقد تبعت اتجاه نظرة جلاس ورأت الفتى: «ماذا هناك؟».

سألت جلاس في اضطراب: «هل علينا أن نخبر أحدًا؟ هل هذا واحد من الأرضيين الذين يرغبون في إيذائنا؟».

هزت كلارك رأسها قائلة: «لا، هذا بيلامي. إنه واحد منا، ولكنه ليس من المفترض أن يكون هنا الآن».

استشعرت جلاس شيئًا ما في صوت كلارك.. أكان قلقًا؟ خوفًا؟ ولكن لدهشة جلاس، جَعَّدَت كلارك جبينها ورمقت بيلامي بنظرة غريبة.. وكأنها تحذير. بيد أن الفتى ابتسم عندما التقت عيناه عينَي كلارك، غير آبهٍ بالتعبير الجاد المرتسم على وجهها.

خطا بيلامي بضع خطوات واثبة للأمام، كما لو كان متجهًا إلى المخيم. هزت كلارك رأسها بقوة هذه المرة. توقف الفتى، رغم أنه لم يبدُ سعيدًا حيال ذلك. تفوَّهت كلارك ببضع كلمات ولوَّحت بيدها، كما لو كانت تلوح إليه ليبتعد. هز كتفيه، وقبل أن يتراجع للوراء مباشرة، ألقى تحية صغيرة ساخرة ثم اختفى بين الأشجار.

استدارت جلاس لتنظر إلى كلارك، التي توَّرد خداها خجلًا بعض الشيء. كانت تعلم أن ويلز يواعد ساشا، ولكن لم يخطر ببالها أن كلارك أيضًا كان بإمكانها أن تلتقي شخصًا جديدًا بهذه السرعة. من المؤكد أن الأمور تجري بشكل أسرع هنا على الأرض.

قالت جلاس في مناغشة: «إذن، لماذا تخفين بيلامي في الغابة؟ أتريدين التأكد من أن أحدًا لن يقربه سواكِ؟».

كانت تود فقط أن تفتح مجالًا للحديث معها، محاولةً إخبار كلارك بأنها تعلم بشأن انفصالها عن ويلز. ولكن بمجرد أن نطقت جلاس بهذه الكلمات،

أدركت أنها لم تكن خيارًا جيدًا لبدء حديث. إذ رمقت جلاس بنفس النظرة التي اعتادت أن ترمقها بها عندما كانت تتفوه بقول شيء غبي في أثناء الدروس.

جفلت جلاس وقالت: «آسفة. لم أقصد...».

لا بد أن كُلارك أدركت كم بدت قاسية. رقَّ وجهها وزفرت قائلة: «لا، أنا الآسفة. لم يكن هذا عادلًا. فقط هناك... هناك الكثير مما يحدث لم نخبركِ به بعد».

ضحكت جلاس ضحكة صغيرة وقالت: «أجل، بدأتُ أدرك ذلك».

- إذن أنتِ تعرفين بشأن ويلز؟

- بشأنه هو و...

ترددت جلاس، غير واثقة مما إذا كان من حقها إفشاء سر ويلز أم لا. أنهت كلارك الجُملة نيابة عنها قائلة: «... هو وساشا».

أومأت جلاس برأسها، وقد شعرت بالارتياح لأن كلارك تعرف ذلك أيضًا. وسألت في تردد: «إذن، بالنسبة إليكِ لا بأس في هذا؟».

وقبل أن تتمكن كلارك من الرد، جاء فتى بشعر أحمر ونمش يركض نحوهما.

- كلارك، أحد الأشخاص الجدد قال إنه لا يستطيع التنفس وإنه يحتاج إلى أخذ جرعة أو حقنة ما، شيء من هذا القبيل.

تنهدت تنهيدة صغيرة قائلة: «قال كل ذلك؟».

أومأ الفتى برأسه.

- إذا كان يستطيع التحدث، فهو بخير. ربما تكون مجرد نوبة ذعر خفيفة. أخبِره أنني سأكون هناك خلال ثوانٍ.

فأومأ الفتى ثانيةً وابتعد راكضًا.

- أجل، أنا سعيدة بالتأكيد من أجل ويلز وساشا. الأمور بيني وبين ويلز أصبحت... أعني، أعلم أنه لن يمضي وقت طويل، ولكن يبدو الأمر وكأنه...

قالت جلاس مقاطعةً إياها بابتسامة: «لا بأس».

قد تكون كلارك رزينة وقادرة على إبقاء الأمور تحت السيطرة عندما تمارس مهامها كونها طبيبة، ولكن الحديث عن الفتيان سبَّب لها نوعًا من الارتباك المحبب.

بدت كلارك وكأنها تفكر فيما إذا كانت ستستكمل الحديث حول ذلك الأمر أم لا.

- هل أخبركِ ويلز بأي شيء عن بيلامي؟

هزت جلاس رأسها نفيًا.

- من الأفضل إذن أن أتركه يتحدث معكِ أولًا.

تفحَّصَت جلاس المخيم الصاخب بعينيها ثم عادت تنظر إلى كلارك مرة أخرى قائلة: «أعتقد أن الأمر سيستغرق بعض الوقت حتى يتمكن ويلز من إيجاد وقت للثرثرة معي. ما الأمر؟».

ترددت كلارك، وبدأت تعض على شفتها. أخذت جلاس تتملقها، متفَكِّهة بعض الشيء بحقيقة أنه على الرغم من أنها وكلارك كانتا تعرفان بعضهما بعضًا طوال حياتهما تقريبًا، فإنهما لأول مرة تحظيان بمحادثة حقيقية هنا على الأرض!

- بحقكِ يا كلارك. أنا واثقة من أن ويلز لن يبالي بحديثك عن حبيبك.

- الأمر أكثر تعقيدًا من ذلك.

نظرت كلارك حولها للتأكد من عدم وجود أي شخص على مرمى السمع، ثم التفتت إلى جلاس بابتسامة صغيرة وقالت: «حسنًا، هذا جنوني، ولكن ماذا تقولين إذا اكتشفتِ أن الرجل الثاني الذي وقعتُ في حبه قد تبيَّن أنه الأخ غير الشقيق لحبيبي الأول؟».

حدَّقت جلاس إلى كلارك، وهي على يقين من أنها قد أساءت الفهم. قالت ببطء، في انتظار أن تنفجر كلارك ضاحكة وتصحح لها ما فهمته: «ألدى ويلز أخ؟!».

ولكن لدهشتها، أومأت كلارك برأسها وقالت: «لقد كانت تجمع بين المستشار ووالدة بيلامي علاقة غرامية سرية قبل أن يتزوج بوالدة ويلز».

لقد سبق أن سمعت جلاس العديد من الأشياء المربكة من فم كلارك جريفين على مر السنين، وخاصة في أثناء دروس الرياضيات، ولكن ما قالته الآن كان جنونيًّا بدرجة تفوق كل شيء.

- لا أستطيع تصديق ذلك.

- أنا أيضًا لم أستطع ذلك في البداية، ولكن يبدو أن هذه هي الحقيقة. وهذه ليست سوى البداية.

وبصوت هادئ بشكل مثير للدهشة، أخبرت جلاس بما قد فعله بيلامي لكي يصعد على متن سفينة الإنزال مع أخته، أوكتافيا، كيف أخذ المستشار كرهينة قبل أن يعرف أنه والده. أصبح وجه كلارك أكثر جدية، عندما أخبرت جلاس بأكبر مخاوفها، عن قلقها بشأن ما سيفعله الحراس ببيلامي عندما يكتشفون أنه المسؤول عن إطلاق النار على المستشار. قالت بنبرة لم تستطع جلاس فهمها تمامًا، مزيج غريب من الإحباط والفخر: «كنت أحاول إقناعه بمغادرة المخيم، لكنه يرفض».

كافحت جلاس من أجل استيعاب كل ذلك، وسجلت ملاحظة في عقلها بأن تتحدث إلى لوك. فربما كان هناك شيء يمكنه فعله لإبعاد الحراس الآخرين عن مسار بيلامي. قالت وهي تهز رأسها: «يا للهول! هذا أكثر جنونًا مِن سيري في الفضاء».

اتسعت عينا كلارك في ذهول وقالت: «هل سرتِ في الفضاء؟».

فأجابت جلاس وقد تسلل إلى صوتها لمحة صغيرة من الابتهاج والفخر: «نعم، لقد سرت في الفضاء. كانت تلك هي الطريقة الوحيدة للوصول إلى فينيكس. وإلا لكان حبيبي لوك وأنا وكثير من الأشخاص الآخرين سنموت في والدن».

وقفت الفتاتان في صمت للحظة، تجاهد كلٌّ منهما لهضم واستيعاب ما قالته الأخرى للتو. ثم انفتح باب كابينة المشفى من خلفهما وخرجت أوكتافيا. قالت: «كلارك، نحتاجك هنا للحظة».

أجابت كلارك: «قادمة».

ثم التفتت إلى جلاس وقالت: «أنا سعيدة لأنكِ هنا يا جلاس».

قالت جلاس بابتسامة: «وأنا أيضًا».

صحيح أنها كانت سعيدة برؤية كلارك. أما إذا كانت سعيدة بوجودها على الأرض أم لا فهذا أمر مختلف تمامًا، ولكن على الأقل لم يكن الأمر باردًا وموحشًا كما تخيلته دائمًا عندما كانت تحدق إلى أسفل من داخل السفينة إلى الكوكب المغطى بطبقة كثيفة من الغيوم الرمادية. خاصة الآن بعد أن اتضح أنها قد يكون لديها صديقة.



الفصل السادس

بيلامي

تمتم بيلامي بينه وبين نفسه وهو يركل كومة من التراب في الهواء: «سحقًا لهذا».

وراقبه وهو يطير في شكل مقوس قبل أن يسقط على الأرض بين شجرتين على بُعد أمتار قليلة. اخترق صمت الغابة صوت وقْع أقدام، أطلَّ من وراء مجموعة من الأشجار العالية -حيث كان متربصًا ليبقى بعيدًا عن الأنظار- على ساحة المخيم، ورأى ثلاثة من الوافدين الجدد -رجلًا وامرأتين- وقد تجعدت أنوفهم عند شم رائحة الغزال المشوي على النار. الغزال الذي قتله بيلامي بنفسه هذا الصباح وأعطاه لأنطونيو ليعود به إلى المخيم. يمكنهم إما أن يتعلموا أكل اللحوم وإما أن يموتوا جوعًا. أو الأفضل من ذلك، أن يدعهم يعثرون على طعامهم بأنفسهم.

عندما هبط المئة على الأرض، لم يكن هناك أحد ليرحب بهم أو يعلمهم أي شيء. لم يعلم أحد بيلامي كيفية تعقب الحيوانات، أو كيفية استخدام القوس والسهم، أو كيفية سلخ غزال برأسين. لقد اكتشف الأمر بنفسه، بالطريقة التي اكتشفت بها كلارك كيفية علاج الإصابات والأمراض التي لم ترها من قبل، والطريقة التي توصل بها ويلز إلى كيفية بناء الكبائن. وحتى جراهام، ذلك الخسيس عديم الفائدة، اكتشف كيف يصنع رمحًا. إذا تمكن جراهام من فعل ذلك، فإن هؤلاء الحمقى عديمي الحيلة يمكنهم فعل ذلك أيضًا. كان بيلامي على استعداد للتضحية بأفضل قوس لديه مقابل أن يتمكن من

الوقوف وسط المخيم، مختالًا مرفوع الرأس، متحديًا هؤلاء الأوغاد أن يُبدوا أي محاولة للقبض عليه. كان يعلم أنه بمجرد أن ينقشع الدخان وتتوقف آذان المستوطنين عن الطنين، سيتعرف عليه أحدهم باعتباره الذي أخذ المستشار كرهينة على منصة الإطلاق. لا يهم أن بيلامي لم يسحب الزناد.. فقد كان السبب في إطلاق النار على المستشار. لم تسنح له الفرصة لسؤال ويلز عما إذا كان هناك أي أخبار حول والده... تصحيح: والدهما. هل سيعتاد هذه الفكرة يومًا ما؟ من المؤكد أنه لن يكتشف ما إذا كان الرجل قد عاش أو مات من خلال وقوفه وحده في الغابة. كان هذا المخيم منزلًا لبيلامي. لقد ساعد في بنائه بيديه العاريتين، جنبًا إلى جنب مع بقية المئة، حمل جذوع الأشجار من الغابة ووضعها من أجل بناء أساسات الكبائن، استطاع بمفرده إبقاء المجموعة على قيد الحياة بالحيوانات التي اصطادها. لن يترك كل شيء وراءه لمجرد أنه قد تجرأ ذات مرة على حماية أخته. لم يكن ذنبه أن المستوطنة كانت لديها بعض القواعد الغبية التي اعتبرت أوكتافيا شيئًا شاذًّا وخارقًا عن الطبيعة وسمحت للآخرين بمعاملتها كمجرمة.

انكسر غصن، فالتفت بيلامي وقد رفع قبضته، ثم أنزلها في خجل عندما رأى ولدًا صغيرًا يحدق إليه. سأل بيلامي وهو يتلفت حوله للتأكد من أنه ليس ثمة أي شخص آخر يتبعه: «ما الذي تفعله هنا؟».

كان من الغريب رؤية الكبار في المخيم، ولكن الأغرب من ذلك كان رؤية الأطفال فيه.

قال: «أردت رؤية الأسماك».

بيد أن لُثغَته جعلت الكلمة تبدو أشبه بالأثماك. جلس بيلامي القرفصاء حتى يصبح في مستوى نظر الصبي، الذي بدا في الثالثة أو الرابعة من عمره، ثم قال: «آسف يا صديقي. الأسماك تعيش في البحيرة، وهي تبعد عن هنا مسافة طويلة. ولكن انظر»، وأشار إلى الأشجار ثم أردف: «ثمة طيور بالأعلى. أتود رؤية بعض الطيور؟».

أومأ الصبي. فوقف بيلامي ورفع رأسه لأعلى مشيرًا إلى بقعة ما حيث كانت الأوراق تهتز وقال: «ها هي هناك، أترى؟».

هز الصبي رأسه قائلًا: «لا».

- دعني أساعدك لتلقي نظرة أقرب.

مدَّ بيلامي يديه لأسفل وحمل الصبي بين ذراعيه، ثم رفعه على كتفيه، مما جعل الطفل الصغير يصيح مبتهجًا.

- ابقِ صوتك منخفِضًا، حسنًا؟ لا أحد من المفترض أن يعرف أنـي هنا. والآن انظر، ها هو الطائر هناك، هل رأيت الطائر الصغير؟

لم يستطع بيلامي رؤية وجه الصبي، لذلك اعتبر صمته إجابة بنعم.

- أين والداك إذن؟ هل يعرفان إلى أين ذهبت؟

جثم بيلامي حتى يتمكن الصبي من النزول ثم استدار في مواجهته مرة أخرى. سأله قائلًا: «ما اسمك؟».

صاح صوت فتاة تنادي: «ليو! إلى أين ذهبت؟».

تمتم بيلامي قائلًا: «سُحقًا».

ولكن قبل أن يتاح له الوقت للتحرك، سارعت إليهما فتاة ذات شعر أسود طويل. تنفس بيلامي الصعداء. لقد كانت أوكتافيا فحسب. أمالت رأسها إلى الجانب وابتسمت قائلة: «أراك تنجح في استدراج الأطفال إلى الغابة مثل ناسك مخيف غريب الأطوار، أليس كذلك؟ لم يستغرق الأمر وقتًا طويلًا».

حرك بيلامي بؤبؤَي عينيه للأعلى في تَبَرُّمٍ، لكنه في داخله كان سعيدًا لرؤية أوكتافيا في حالة مزاجية جيدة كهذه. لقد مرت ببضعة أسابيع قاسية، وبمجرد عودتها إلى المخيم، وصل بقية المستوطنين بغتة. إذا لم يكن هناك أي سبب آخر وراء مزاجها الرائق، فمن المؤكد أن أوكتافيا كانت شخصًا قادرًا على التكيُّف. لقد أمضت سنواتها الخمس الأولى تعيش في خزانة لعينة، وبقية حياتها تثبت أنها تستحق أن تكون على قيد الحياة.

سأل بيلامي قائلًا: «أتعرفين هذا الطفل؟».

- هذا ليو.

- أين والداه؟

ألقت أوكتافيا نظرة على ليو، ثم هزت رأسها في حزن. تنهد بيلامي تنهيدة طويلة ونظر إلى ليو، الذي كان مشغولًا بسحب كرمة كبيرة ملتفة حول جذع شجرة بالجوار.

- إذن فهو وحيد هنا؟

أومأت أوكتافيا برأسها قائلة: «أعتقد ذلك. هنالك زمرة من الأطفال الوحيدين. أعتقد أن آباءهم لم يستطيعوا الصعود على متن سفن الإنزال، أو أنهم...».

لم تكن مضطرة إلى إنهاء الجملة. كان يعلم أن كليهما يفكر في القبور التي حُفِرت حديثًا، والتي لا تزال دون شواهد بالقرب من البحيرة.

- لقد كنتُ أعتني بهم جميعًا، حتى نتمكن من معرفة ما يجب علينا فعله.

قال بيلامي: «هذا حقًّا لطفٌ منكِ، أوه، صحيح...».

هزت كتفيها قائلة: «ليس بالأمر المهم. ليس الأطفال الصغار هم من علينا أن نشعر بالغضب تجاههم. إن آباءهم هم من حبسونا».

كانت تحاول أن تجعل كلماتها تبدو غير مبالية، لكن بيلامي كان يعلم أن نشأتها في مركز رعاية المستوطنة قد جعلت لديها عاطفة خاصة للأطفال الأيتام.

قالت وهي تمد يدها إليه: «تعال يا ليو. سأريك أين يعيش الأرنب».

ثم نظرت إلى بيلامي وسألته: «هل ستكون بخير هنا؟».

فأومأ بيلامي برأسه قائلًا: «إنه اليوم فحسب. بمجرد أن تستقر الأمور، سنضع خطة».

- حسنًا، كن حذرًا.

ابتسمت، ثم التفتت إلى ليو قائلة: «فلنذهب يا صغيري».

تبعهم بيلامي بعينيه محدقًا وقد شعر بوخزة في صدره وهو يشاهد أوكتافيا وهي تقفز في أثناء نزولها المنحدر متظاهرةً بأنها أرنب من أجل إضحاك ليو. لطالما كانت تراقب الحياة من بعيد، متخفية عن الأنظار. لم يعاملها أي شخص على الإطلاق بإنصاف، أو حتى بلطف، باستثناء بيلامي، حتى الآن. لقد أتيحت لها الفرصة أخيرًا لتكون مراهقة عادية، لها أصدقاء ومعجبون و-لكي يكون المرء صادقًا كليًّا- لسان سليط بحق. لم يكن بيلامي ليتركها وراءه، كما هو واضح. ولم يكن ليأخذها بعيدًا. إذًا أي خيار قد تبقى لديه؟ لقد استحقت فرصة البقاء هنا، حيث كوَّنَت أول منزل حقيقي لها. أول منزل حقيقي لهما.

تذكر بيلامي فجأةً التعبير الجاد على وجه كلارك وهي تحثه على الاختباء، وشعر بعقدة تتكون في معدته. لقد تطلب الأمر الكثير لتخويف تلك الفتاة -طبيبة بارعة بروح محارب وجمال يخطف الأنفاس، خاصةً عندما يضرب الضوء في شعرها الأشقر- لكن فكرة توجيه الحراس أسلحتهم نحوه كانت كفيلة لملء عينيها متوهجتَي الخَضَار بالخوف.

زفر بيلامي ببطء، محاولًا تهدئة نفسه. لم تكن كلارك تبحث إلا عن مصالحه قبل أي شيء آخر. إبقاؤه على قيد الحياة أمرٌ أساسيٌّ بالنسبة إليها. لكن توسلاتها المحمومة إليه ليبقى آمنًا وبعيدًا عن الأنظار أشعلت فيه غضبًا أكثر من أي شيء آخر. ليس تجاه كلارك، ولكن تجاه هذا الوضع المزري العابث برمته. كان الظلام يخيِّم. هل سيقضي الليلة بأكملها في الغابة؟

كان على وشك العودة إلى ساحة المخيم واستعادة مكانه الصحيح عندما رأى ويلز يخرج من الجانب الآخر من حافة الغابة، وخلفه مجموعة أخرى من الناجين المشدوهين. راقب بيلامي سلوك ويلز الجاد، وتيرته السريعة، والطريقة الواثقة التي خاطب بها المجموعة ذات الخطوات المتثاقلة كما لو أن قائدهم ليس مجرمًا مُدانًا في نصف أعمارهم. كان من الصعب على بيلامي استيعاب أو تقبُّل حقيقة أن هذه النسخة المصغرة من المستشار هي في الواقع أخوه... لا يحدث كل يوم أن تكتشف أن والدك قد قُتِلَ بسببك، وليس ذلك فحسب، بل وتدرك أيضًا أنك ليس لديك أخت وحيدة غير شرعية، بل وأخ غير شرعي أيضًا.

خيَّم الصمت على جميع الأشخاص في ساحة المخيم فجأة، والتفتت كل الرؤوس سريعًا نحو البقعة التي خرج منها ويلز لتوه. تتبع بيلامي نظراتهم ورأى نائب المستشار رودس يمشي عبر الأشجار متجهًا إلى المخيم بخطوات سريعة. كان يتحرك بصمت بين المئة وبقية الناجين منفوخ الصدر وقد ارتسم على وجهه تعبير يوحي بشيء من الملل، الذي لطالما جعله يبدو كشخص خسيس ووضيع على ظهر السفينة. أما هنا فقد جعله يبدو كالمعتوه. لقد نجا من الموت بأعجوبة قبل أقل من أربع وعشرين ساعة وهو الآن على الأرض لأول مرة في حياته كلها. هل كان سيقتله إظهار أدنى قدر من مشاعر الارتياح أو الحماس؟! اللعنة!

لم يجرؤ أحد على التحدث إلى نائب المستشار بينما كان يدور حول ساحة المخيم بخطى بطيئة، يحيط به أربعة حراس، يتفقدون المخيم الذي عملوا بجِد لبنائه. حَبَس العشرات من الناس أنفاسهم في الوقت نفسه، في انتظار أن يفعل أو أن يقول شيئًا. وبعد لحظة طويلة، دخل نائب المستشار إلى أقرب كابينة. ابتعد عن الأنظار للحظة، ثم عاد إلى ضوء الشمس، وكانت إحدى زاويتَي فمه تختلج وكأنه قد وجد شيئًا مسليًا.

أراد بيلامي أن يطير عبر ساحة المخيم ويلكم ذلك السادي عديم الضمير المتعطش للسلطة في وجهه مباشرة. إلا أن نظرة واحدة إلى الحراس الذين يتبعونه على بُعد مسافة قصيرة، مشكلين نصف دائرة حول رودس طوال الوقت، كانت كافية لإبقاء قدمَي بيلامي في مكانهما. لم يكن فقط عدد الحراس أكثر مما توقعه بكثير -عشرون على الأقل، ناهيك بالذين أصيبوا وما زالوا يشقون طريقهم عائدين من موقع الحطام- يبدو أن جميعهم يحملون أسلحة نارية. ابتلع بيلامي ريقه بصعوبة. كان التهديد المجرد لوجود الحراس الذين يحملون أوامر بقتله شيئًا، والتحديق إلى فوهة مسدس حقيقي هنا على الأرض شيئًا آخر. لم يكن الأمر بالضبط أن بيلامي قد أصبح أكثر خوفًا مما كان عليه قبل وصول الوافدين الجدد إلى هنا. وإنما كان فقط متأكدًا أكثر من أي وقت مضى أنه كان عليه هو وأوكتافيا أن يعتنيا بنفسيهما، لأنه لا أحد سيفعل ذلك نيابةً عنهما.

في نهاية المطاف، شَقَّ رودس طريقه إلى وسط ساحة المخيم واستدار ليخاطب المجموعة التي قد تجمعت حوله. ظلَّ ساكتًا للحظات، تاركًا جمهوره في انتظار. وقفت أوكتافيا في مقدمة المجموعة، تتطلع إلى نائب المستشار بعين الشك. ومن ناحية أخرى، تنحَّى ويلز جانبًا، وذراعاه معقودتان فوق صدره، وعلى وجهه تعبير غير مفهوم. أما كلارك فبقيت في آخر الحشد، متكئة على جدار كابينة المشفى. بدت منهكة، وهو ما زاد من غضب بيلامي. كان مستعدًّا للتضحية بأي شيء ليتمكن من تطويقها بذراعه وإخبارها بأنها قد أدت عملًا رائعًا.

نظر الناس المحتشدون إلى رودس في انتظار، ووجوههم الملطخة بالأوساخ ملأى بالترقب.. وأدرك بيلامي بشيء من الدهشة، والارتياح، أن

معظم المئة بدوا سعداء لأن رودس وأتباعه أصبحوا هنا. في الواقع، لقد اعتقدوا أنه هنا لمساعدتهم.

وأخيرًا، بدأ رودس خطابه قائلًا: «أيها المواطنون الأعزاء، هذا يوم حزين، يوم سنتذكره بحزن لأجيال قادمة، ولكنه أيضًا يوم عظيم. يشرفني أن أقف هنا معكم، أخيرًا وبعد طول انتظار، على تراب الأرض. لن تُنسى أبدًا مساهمات أولئك الذين نزلوا على متن سفينة الإنزال الأولى. لقد أثبتم أنفسكم بشجاعة حيث لم تطأ الأرض قدم بشرية منذ مئات السنين».

حدق بيلامي إلى وجه كلارك. كان وجهها خاليًا من أي تعبير، لكنه كان يعلم أنهما كانا يفكران في نفس الشيء بالضبط. هناك كثير من البشر قد وطئت أقدامهم هنا، وليس كلهم من الأرضيين. والدا كلارك، على سبيل المثال، والآخرون الذين أتوا إلى الأرض معهما. ومع ذلك، حتى الآن، لا أحد من المئة يعلم أن والدَي كلارك على قيد الحياة باستثناء بيلامي وويلز.

- لقد أثبتم أن الحياة البشرية أصبحت، بالفعل، ممكنة على الأرض مجددًا. هذا عظيم. لكن حياتنا لا تعتمد فقط على المياه المأمونة أو الهواء النظيف.

ثم سكت برهة لإضافة تأثير دراميٍّ ووزع نظراته بين الحشد، واحدًا تلو الآخر، واستطرد قائلًا: «إن حياة كل واحد منا تعتمد على حياة الآخرين».

أومأ العديد من الأشخاص في الحشد برؤوسهم بقوة في موافقة، وشعر بيلامي برغبة في التقيؤ.

تابع رودس قائلًا: «ومن أجل حماية بعضنا بعضًا وحماية أنفسنا، يجب علينا اتباع بعض القواعد».

ها نحن أولاء، جال في عقل بيلامي، وقد قبض يديه بشدة، كما لو كان يمكنه بطريقة ما أن يكبح الكلمات التي كان يعرف أنها ستغير كل شيء.

- الحياة على المستوطنة كانت سلمية. كان الجميع بأمان وكان لديهم كل ما يحتاجون إليه.

من المؤكد أن هذا الرجل لم يعش قط على متن آركاديا ولا والدِن.

- ولقد تمكنًّا من إبقاء جنسنا البشري على قيد الحياة لأننا احترمنا السلطة، وفعلنا ما كان متوقعًا منا، وحافظنا على النظام. وفقط لأننا

أصبحنا نعيش الآن على الأرض لا يعني أبدًا أننا نستطيع التخلي عن القواعد التي هي أكثر أهمية من أي واحد منا.

سكت رودس مرة أخرى، للسماح لكلماته بأن تُغرَس في عقول الجميع.

ألقى بيلامي نظرة خاطفة على وجهَي ويلز وكلارك، واستطاع من قراءة تعبيريهما أنهما كانا يفكران في الشيء نفسه. كان رودس محتالًا لعينًا. لم يقل شيئًا بشأن المئة والعفو عن جرائمهم، ذاك الذي قد وُعِدوا به في مقابل «خدمتهم» للبشرية عندما نزلوا إلى هنا على أول سفينة إنزال. واستنادًا إلى عدد العائلات التي قد لُمَّ شملها وشهدها بيلامي اليوم -واحدة أو اثنتان من غير الفينيكسيين- كان من الواضح أن الأولوية لم تُعطَ لأيٍّ من أفراد عائلات المئة في الدفعة التالية من السفن. كان عدد الأكاذيب التي يبصقها هذا الرجل في خطابٍ قصيرٍ واحدٍ مثيرًا للاشمئزاز. ولكن الأسوأ من ذلك، أن العديد من الناس بدوا كما لو أنهم قد ابتلعوها.

أراد بيلامي أن يصرخ فيهم قائلًا: *افتحوا أعينكم. لقد نجحنا في النجاة هنا دون هؤلاء الحمقى، وسنكون بخير دونهم. لا تستمعوا إلى أي كلمة يقولها هذا الوغد!*

اختتم رودس خطابه -بكلمات منمقة، بيد أن نبرته كانت باردة كالثلج- قائلًا: «أنا واثق أن كل واحد منكم سيدرك الصالح العام ويفعل بالضبط ما هو متوقع منه، ليس فقط من أجل رفاهكم الشخصي، ولكن من أجل استمرار وجود جنسنا البشري. أشكركم».

سرت قشعريرة على طول عمود بيلامي الفقري. لم يكن هذا خطابًا دافئًا وتحفيزيًّا. لقد كان تحذيرًا. نفِّذ ما أقوله وإلا ستُقصَى من القطيع، كان نائب المستشار يهددهم. لم يكن بيلامي واثقًا من أنه سيستطيع أن يسير على الخط وأن ينصاع للأوامر، هذا مؤكد. لم يكن قط من متبعي القواعد في المستوطنة. والآن، هنا على الأرض، حيث قضى أيامًا وليالي كاملة وحيدًا، في أعماق الغابة، ليس هناك أي مجال لعين لإطاعة أي شخص مرة أخرى. فلأول مرة في حياته -في حيواتهم جميعًا بأكملها- أصبح بيلامي حرًّا. جميعهم أصبحوا أحرارًا.

لكن رودس لن يغفر لبيلامي خيانته على منصة الإطلاق. رأى بيلامي هذا بوضوح الآن. بدلًا من ذلك، سيجعل نائب المستشار وأتباعه منه عبرة. مما يعني الإعدام. على الأرجح في مكان عام.

بدا القرار مكتملًا في عقل بيلامي، كان قد درسه واتخذه بالفعل. عليه أن يخرج من هنا. سيعود من أجل أوكتافيا عندما يصبح الوضع آمنًا. كلارك وويلز سيعتنيان بها في الوقت الحالي. أخذ بيلامي خطوة كبيرة إلى الوراء، مبتعدًا نحو الغابة، وعيناه مثبتتان على مؤخرة رأس رودس. وفي خطوته الثانية، اصطدم ظهره بشجرة، صدمة قوية. شهق عاليًا وكاد يسقط إلى الأمام، ولكنه استطاع الحفاظ على توازنه. تمكن من البقاء منتصبًا ولكنه داس، بقوة، على كومة من الأغصان اليابسة بالقرب من قدميه. تكسرت بصوتٍ عالٍ، وتردد صدى الصوت عبر ساحة المخيم.

التفتت مئات الرؤوس نحو الصوت. رفع الحراس بنادقهم إلى أكتافهم وصوبوها نحو حافة الغابة وبرد فعل سريع على نحو مدهش، استدار رودس ومسح المكان بعينيه بحثًا عن مصدر الصوت. تسمَّر بيلامي في مكانه. لم يستطع التحرك، وإلا فبالتأكيد سيُرصَد. كان خياره الوحيد هو البقاء ثابتًا تمامًا والأمل أن يكون رودس وحراسه ضعاف البصر بدرجة فظيعة.

لم يحالفه الحظ. رصده رودس في الحال تقريبًا، وقد تلوَّت قسمات وجهه في عبوس مشوب بالابتهاج. حدق كلٌّ منهما إلى الآخر لفترة طويلة، وفي خلال ذلك لم يكن بيلامي متأكدًا ما إذا كان نائب المستشار قد تعرف عليه بكونه الشخص الذي أخذ المستشار كرهينة. ثم عبَر وجهه -الذي دائمًا ما كان غامضًا- وميض من السعادة الخالصة.

صاح رودس في حراسه مشيرًا إلى بيلامي قائلًا: «هناك!».

عبَر طاقم الحراس ذوو الزي الرسمي ساحة المخيم في وقت قياسي. استدار بيلامي، على أمل أن تمنحه معرفته بالغابة بعض الأفضلية. يمكنه المراوغة بين الأشجار والانسلال من تحت الأغصان المنخفضة بأقصى سرعة. لكنه لم يقطع أكثر من بضعة أمتار قبل أن يشعر بأحد الحراس، ثم آخر، يرميان بنفسيهما فوقه، فطرحاه أرضًا. سارع الأخير محاولًا تطويق ذراعَي بيلامي بيديه. لكن بيلامي قاوم بقوة، أخذ يضرب ويركل وهو يشق طريقه

للنهوض على ركبتيه، ومن ثم على قدميه. خفق قلبه بشدة حتى إنه شعر بأضلاعه تهتز مع كل نبضة. تَدَفَّق الأدرينالين في جسده. لقد شعر وكأنه أحد الحيوانات التي تعقبها وقتلها لإبقاء المئة على قيد الحياة.

وصل المزيد من الحراس وبدؤوا في محاصرة بيلامي. خطا خطوتين قصيرتين تجاه أحدهما، ولكنه في اللحظة الأخيرة، تملَّص، استدار وفرَّ راكضًا في الاتجاه المعاكس. سارع الحراس للحاق به. اندفع بيلامي بضع خطوات إلى داخل الغابة المظلمة، وكان لا يزال آملًا أن يتمكن من التخلص منهم. لكنهم لم يستخدموا أجسامهم لمنعه هذه المرة. تردد صوت حاد بين جذوع الأشجار، ورفرفت عشرات من الطيور الفَزِعة فوق قممها. صرخ بيلامي عندما شعر بألم حاد يمزِّق كتفه.

لقد أطلقوا النار عليه. سقط بيلامي على الأرض وفي الحال أصبح محاطًا بالحراس الذين رفعوه بعنف وربطوا ذراعيه خلف ظهره دون أدنى اعتبار للدم المتدفق من جرحه، وبدؤوا في جرِّه إلى ساحة المخيم.

- بيلامي!

سَمِعَ صوت كلارك كما لو كان من مسافة بعيدة. وبرؤية ضبابية، شاهدها تشق طريقها بين الحشد، وتصرخ في الحراس وهي تقترب: «اتركوه. لقد أطلقتم النار عليه.. ألا يكفيكم ذلك؟ أرجوكم، دعوني أُلقِ نظرة عليه. إنه بحاجة إلى عناية طبية».

تفرق الحراس، سامحين لكلارك بالمرور. لفت ذراعيها حول صدر بيلامي وساعدته على التمدد على الأرض. قالت بأنفاس لاهثة: «لا بأس».

ثم مزقت قميصه من عند الرقبة وأزاحته عن كتفه. وأردفت قائلة: «لا أعتقد أن الأمر خطير جدًّا.. أعتقد أن الرصاصة قد اخترقت الكتف».

أومأ بيلامي برأسه ولكنه لم يستطع التفوه بأي كلمة من شدة تألمه.

صاح أحد الحراس إلى رودس في الجهة المقابلة من ساحة المخيم قائلًا: «أوامرك سيدي؟».

لم يسمع بيلامي الجواب. لم يكن لديه سوى فكرة واحدة وهو يغرق في اللاوعي: أنه يفضل الموت على أن يعيش على الأرض سجينًا.

الفصل السابع

ويلز

عادة ما كان ينام ويلز في الخارج، مفضلًا الساحة الساكنة المملوءة بالنجوم، على الكبائن المكتظة، لكنه قضى الليلتين الماضيتين على الأرضية في كابينة المشفى، وبالكاد استطاع النوم من الأساس.

قضت كلارك كل لحظة ممكنة بجانب بيلامي، تُنظف جرحه، وتتحقق من عدم إصابته بالحمى، وتختلق أي شيء مضحك لإلهائه عن الألم، لكن لديها أيضًا عشرات من المرضى الآخرين الذين عليها الاعتناء بهم، لذا أتى دور ويلز في المساعدة بقدر ما يستطيع. كان يتأكد من شرب بيلامي للماء، وفي اللحظات التي يستعيد فيها بيلامي وعيه وتتحسن حالته بعض الشيء، كان حريصًا على إبقائه على اطِّلاعٍ بما كان يجري في المخيم.

كتم ويلز تأوُّهه وهو ينهض على قدميه ويُدَلِّك كتفه. لم يكن هناك ما يكفي من الأسِرة، وقد حرص ويلز على تركها للجرحى. ألقى نظرة على بيلامي، الذي راح في النوم أخيرًا بعد ليلة مؤلمة خالية من الراحة. لم يكن هناك دم يتسرب من ضمادته، وهو شيء جيد، لكن قلق كلارك كان يتزايد بشأن العدوى.

نظر ويلز إلى وجه بيلامي الشاحب وشعر بموجة جديدة من الغضب تجاه نائب المستشار. لم يكن والده ليسمح قط بإطلاق النار على بيلامي، سواء كان مدركًا لكونه ابنه أم لا. كان لدى رودس الكثير ليقوله عن النظام والعدالة، لكنه لم يبدُ مهتمًّا بتنفيذ أيٍّ من ذلك.

خرج ويلز بهدوء، وحرص على عدم صفق الباب. كانت الصباحات الباكرة وقته المفضل على الأرض. خصص لنفسه ساعة لمشاهدة شروق الشمس، قبل أن يستيقظ بقية المخيم ويبدأ الجميع في روتين اليوم، حيث يستيقظ الصغار أصحاب مهام جلب الماء أولًا، ويتوجهون إلى الجدول المائي بشعورهم الفوضوية حاملين معهم حاويات فارغة، ثم يتبَعهم فريق جمع الحطب، ودائمًا ما يتسابقون مَن سينتهي من التقطيع أسرع. لقد كوَّنوا مجتمعًا في فترة زمنية قصيرة، مجتمعًا له عاداته وتقاليده الخاصة. من نواحٍ عديدة، كانت حياتهم هنا أكثر سعادة وحرية من أي شيء عرفوه على المستوطنة.

ولكن رغم أنه لم يمر سوى أقل من اثنتين وسبعين ساعة منذ وصول المستوطنين الآخرين، فإن تلك الصباحات أصبحت تبدو وكأنها ذكرى بعيدة. لم يرَ ساشا منذ أيام. اتفق كلاهما على أنه كان من الآمن لها أن تبقى في جبل العاصفة حتى يتوصل ويلز إلى الطريقة الصحيحة لإخبار رودس عن الأرضيين، وقد آلمه غيابها ألمًا شديدًا.

امتلأت ساحة المخيم -التي عادة ما كانت فارغة- بمجموعات من الأشخاص بائسي المظهر.. الوافدين الجدد الذين لم يتمكنوا من الحصول على أماكن في الكبائن وقضوا ليلة مؤرقة محدقين في رعب إلى السماء غير المألوفة، أو أعضاء ناقمين من المئة الذين فضلوا العشب الرطب والهواء شديد البرودة على التعامل مع الدخلاء الذين اقتحموا مساحتهم.

كان ثمة عدد قليل من الكبار يقفون بالفعل حول حفرة النيران الباردة، من الواضح أنهم كانوا في انتظار شخص ما ليأتي ويشعلها لهم. وقفت مجموعة من الحراس على الجانب، مستغرقين في محادثة بينما كانوا يشيرون إلى التلال حيث ظهر الأرضيون المنشقون لأول مرة. وبعد تقييم إيجابيات وسلبيات الكشف عن وجود أشخاص آخرين على الأرض، أخبر ويلز رودس عن الجماعتين بالأمس: الجماعة المسالمة بقيادة والد ساشا، والجماعة العنيفة الذين قتلوا آشر وبريا. ومنذئذٍ، وضع رودس حراسًا متمركزين على مدار الساعة حول محيط ساحة المخيم.

مشى ويلز إلى حفرة النيران وأجبر نفسه على الابتسام قائلًا: «صباح الخير».

أومأ الواقفون برؤوسهم، لكن أحدًا لم يتكلم. كان يعرف شعورهم، لأنه أحسَّ بنفس الشعور خلال أيامه الأولى هنا.. الارتباك والصدمة من رحلة الوصول إلى الأرض، وفي نفس الوقت الحزن على فقدان الأشخاص الذين تركوهم وراءهم. وكان يعرف أيضًا أن الطريقة الوحيدة للمضي قدمًا هي إبقاء النفس مشغولة.

سأل قائلًا: «مَن يريد تعلم كيفية إشعال النار؟».

قَبِلوا جميعًا عرضه بدرجات متفاوتة من الحماس، ولكن واحدة فقط -امرأة في العشرينيات من عمرها- بقيت بجانب ويلز لتجربة ذلك بنفسها. كدَّس ويلز جذوع أشجار بين ذراعيها واقتادها إلى حفرة النيران. أراها كيفية رصِّ الجذوع في شكلٍ هرميٍّ للحصول على أفضل تدفق للهواء ثم شرح لها خطوات إشعالها. عندما انتهيا، ابتسمت، ورأى شرارة صغيرة من الحياة تعود إلى عينيها.

قال ويلز: «عمل رائع. ابقي عينيكِ على ذلك، وعندما يكون هناك بعض الطعام لنطهوه، نُزيد النيران قليلًا».

توجَّه نحو المجموعات الصغيرة التي تجمعت لأداء مهام الصيد، مارًّا بمجموعة الحراس في طريقه. شعر بوقع نظراتهم عليه فتوقف. وقفوا رافعين بنادقهم فوق أكتافهم، في انتظار أن يخبرهم أحد بما يجب عليهم فعله. ورغم أنه قد جُرِّد من رتبته كونه ضابطًا عندما احتُجِز، فإنه تنحنح وقال بنفس النبرة الآمرة التي تعلمها في أثناء التدريب: «يجب أن يرافق واحد منكم كل فرقة صيد. لدينا الكثير من الأفواه نحتاج لإطعامها، ويمكن لهذه الأسلحة أن تكون مفيدة».

نظر الحراس إلى بعضهم بعضًا كما لو كانوا في انتظار أن يعطي أحدهم الإذن، ثم هزوا أكتافهم وتبعوه. قسَّمَهم ويلز وأعطاهم بعض النصائح حول المشي بهدوء حتى لا يخيفوا فرائسهم. الاثنان الوحيدان اللذان بقَيا في الخلف هما من كلفهما رودس بحراسة كابينة المشفى، لضمان عدم هروب بيلامي.

ازداد الضجيج في ساحة المخيم مع خروج الجياع من الكبائن المزدحمة، باحثين عن شيء يمكنهم أكله على الإفطار. كانوا في حاجة ماسة إلى المزيد من الكبائن، وهو ما يتطلب قطع عدد ضخم من الأشجار وأسبوعًا على الأقل من أعمال البناء. سيتعين عليه تدريب عشرين أو ثلاثين من الوافدين الجدد من أجل إنجاز ذلك بسرعة، قبل أن يزداد الجو برودة. كانوا بحاجة أيضًا إلى المزيد من دلاء الماء، التي سيتعين عليهم تشكيلها من الحطام المعدني. سجل ملاحظة في عقله بأن يرسل مجموعة إلى موقع الحطام لإحضار ما لا يقل عن عشر من القِطَع الجيدة التي تصلح لهذا الغرض. ومع ذلك، لا شيء من هذا سيهم إذا لم يحصلوا على المزيد من الطعام، وبسرعة. والآن، بعد خروج بيلامي من الخدمة، سيكون ذلك أصعب من أي وقت مضى. أغمض ويلز عينيه، وأخذ نفسًا عميقًا وزفره ببطء، وبدأ ينظم أفكاره، تاركًا ضوء الشمس يُدَفِّئ وجهه لبضع لحظات.

فتح عينيه، وتوجه إلى كابينة المؤن وتوقف للتحدث إلى الفتى الآركادي الواقف أمامها، يراجع قائمة. لقد بدؤوا في إجراء جرد وتخصيص ورديَّات لتتبع ما يدخل ويخرج. كان ويلز على وشك أن يسأل الفتى عن عدد الملابس الإضافية عندما سمع شخصًا يتنحنح. استدار ويلز ليجد نفسه وجهًا لوجه أمام نائب المستشار رودس. حدَّقَ رودس إلى ويلز بنظرة فضولية، وقد ضغط شفتيه معًا في ابتسامة لم تبدُ أنها تعكس أي سعادة فعلية. أحاط نائب المستشار اثنين من الحراس الأكبر سنًّا. تعرف عليهما ويلز من خلال تدريب الضباط الذي تلقاه، كان أحدهما مَن دربه على الأسلحة النارية، والآخر جعله ذات مرة يؤدي تمرين الضغط خمسمئة مرة.

- صباح الخير يا حضرة الضابط جاها.

- صباح الخير يا نائب المستشار، ويا حضرتَي الضابطين.

حيَّاهم ويلز، وهي لفتة بدت في غير مكانها تحت السماء الزرقاء الشاسعة والغيوم الرقيقة التي تطفو عاليًا فوق رؤوسهم، بدلًا من أضواء فينيكس القاسية.

مدَّ رودس يده إلى ويلز، وتصافحا. ضغط رودس على أصابع ويلز بشدة للحظات استمرت أطول مما ينبغي. لطالما كان ويلز حارسًا وضابطًا

نموذجيًّا، يحترم قادته ويحترم القواعد. لقد برع في كل مرحلة من مراحل التدريب، وعادة ما كان يحتل مركز الصدارة في فصله. كان يفخر بمعرفة واتباع البروتوكول، حتى لو عنى ذلك أن يسخر منه المتدربون الآخرون.. أو ما هو أسوأ، أن يقولوا من وراء ظهره أن ابن المستشار كان يرضخ أمام معلميهم. لكن ويلز لم يهتم. لقد أراد إثبات نفسه فقط بناءً على جدارته، وقد فعل. لا أحد يستطيع إنكار أن ويلز كان ضابطًا من الطراز الأول. ولكن اليوم، وهو واقف في ساحة المخيم، ويده محتجزة كما الرهينة في يد نائب المستشار، فجأة لم يشعر ويلز بأي شيء سوى الاشمئزاز. كان الأمر كما لو أنه يعرف ما كان على وشك أن يخرج من فم رودس حتى قبل أن يتكلم.

- لقد أظهرتَ دورًا قياديًّا رائعًا، أيها الضابط جاها.

- أشكرك يا سيدي.

أعدَّ ويلز نفسه لسماع ما سيقال بعد ذلك.

- خاصة وأنك بهذا الصِّغَر.

شدد رودس على الكلمة الأخيرة، محوِّلًا إياها لإهانة.

- بالنيابة عن المجلس، أود أن أشكرك على خدمتك أيها الشاب الصغير.

لم ينطق ويلز بشيء.

- لقد أعددت مخيمًا -وإن كان مؤقتًا- مُرضيًا هنا على الأرض.

ثم تجعَّدَت شفته العلوية في ازدراء وأردف قائلًا: «لكنك تحملت مسؤولية كبيرة على شخص في مثل عمرك، في حين كان عليك الاستمتاع بشبابك».

تخيل ويلز السهم الذي اخترق رقبة آشِر على بُعد بوصات من رقبته، ورأى جثة بريا المنتفخة معلقة على إحدى الأشجار، وشعر بآلام الجوع التي عذبتهم جميعًا في تلك الأيام القليلة الأولى على الأرض. أراد أن يبصق في وجه رودس، لكنه أبقى شفتيه مضغوطتين معًا للداخل.

تابع رودس قائلًا: «نحن، القادة الأكثر خبرة، سنتولى زمام الأمور الآن. بينما تستمتع أنت بإجازة مُستَحَقة».

اتسعت فتحتا أنف ويلز، وشعر أن وجنتيه تزدادان سخونة. جاهد للحفاظ على تعبير وجهه هادئًا. كان رودس يتولى زمام الأمور.. لكن من الواضح أنه

لم يكن لديه أي فكرة عما هو مُقدِم عليه. لم يكن لدى ويلز أي فكرة أيضًا في البداية، ولكن الآن أصبح لديه عدة أسابيع من الخبرة والمعرفة بالغة الأهمية التي بإمكانه مشاركتها.

قال ويلز بصوت ثابت، وبنبرة دبلوماسية: «مع فائق الاحترام يا سيدي، أولئك الذين نزلوا على متن السفينة الأولى قد تعلموا الكثير في فترة زمنية قصيرة جدًّا. إن الأمور هنا أكثر تعقيدًا مما تبدو عليه، لقد تعلمنا ذلك بالطريقة الصعبة. يمكننا أن نوفر لك الكثير من الوقت والعناء. إن السماح لنا بمشاركة ما تعلمناه سيخدم الصالح العام للجميع هنا».

تقلَّصَت ابتسامة رودس، ثم ضحك ضحكة مكتومة وقال: «مع فائق الاحترام أيها الضابط. أعتقد أننا مؤهلون جيدًا للتعامل مع أي شيء يحدث. وكلما أسرعنا بإعادة النظام إلى هذا المجتمع، تمكنًّا جميعًا من الشعور بالأمان في وقت أسرع».

عرف ويلز تلك النظرة في عينَي رودس. كانت المزيج الخاص من كل الازدراء والاستهزاء والحسد الذين رآهم في وجوه الناس طوال حياته. فكونه ابن المستشار لم يكن قط بالأمر الهين. نظر رودس إلى ويلز ورأى طفلًا مدللًا يظن نفسه يعرف كل شيء. كان بإمكان ويلز بمفرده بناء كابينة لكل واحد من المستوطنين الجدد، ولكن رودس سيظل يراه على أنه استعراض مبالَغ فيه بغرض التباهي. وبصفته ابن الشخص الوحيد الذي وقف بين نائب المستشار والمنصب الأعلى، كان ويلز يمثل رمزًا لإحباط رودس. وكانت أي أفضال قد اكتسبها لكونه الشخص الذي أبقى المئة على قيد الحياة خلال الأسابيع القليلة الأولى تتلاشى بسرعة، جنبًا إلى جنب مع سلطته. لو كانت هذه فرصته الأخيرة للتحدث مع رودس، فيجب عليه إذن انتهازها بشكل صحيح.

قال ويلز بنبرة فائقة الاحترام: «أجل يا سيدي».

حيَّاه رودس بصرامة وغرور. ثم استدار وبدأ في الابتعاد، وتبعه الحراس كالحيوانات الأليفة الخاضعة.

صاح ويلز من خلف ظهر رودس قائلًا: «هنالك شيء واحد فحسب».

توقف نائب المستشار وعاد وقد بدا منزعجًا.

- السجين، بيلامي بليك.

ضيَّق رودس عينيه وسأل قائلًا: «ماذا عنه؟».

- إنه ضروري لبقاء هذا المخيم.

هز رودس رأسه في حالة من عدم التصديق.

- معذرة أيها الضابط؟ أتقصد الشاب الذي كاد يقتل والدك؟

- أجل يا سيدي. إن بيلامي أفضل صياد لدينا إلى حدٍّ بعيد. لقد أبقانا جميعًا على قيد الحياة، عمليًّا قد نجونا بفضله. نحن بحاجة إليه.

اختفت الابتسامة من على وجه رودس وتجمَّدَ تعبير وجهه. ثم قال ببطء: «هذا الفتى قاتل».

قال ويلز وقد حاول جاهدًا الحفاظ على هدوء صوته، آملًا ألا تخونه مشاعره الحقيقية: «إنه ليس كذلك. لم يكن يقصد إيذاء أحد. كان يحاول فقط حماية أخته».

كان يأمل أن يضرب دفاعه عن بيلامي وترًا حساسًا لدى نائب المستشار ويثير تعاطفه، لكن كلمة أخت لم تُثِر إلا ابتسامة مملوءة بالسخرية. لم يكن بإمكان ويلز أن يتخيل ماذا سيحدث إذا اعترف، من منطلق اليأس، أن بيلامي أخوه.

احتدَّ رودس قائلًا: «إنه سبب عدم وجود والدك هنا. السبب في أنني أصبحت القائد وصاحب القرار».

وبهذا، استدار واندفع بعيدًا. راقبه ويلز وهو يبتعد، بقلب مثقل. لن تكون هناك هوادة مع بيلامي. ولا رحمة.

الفصل الثامن

كلارك

لم تكن الغُرَز مُثبَّتة جيدًا. أطبقت كلارك فكيها وضغطتهما بشدة وهي تنظف جرح كتف بيلامي للمرة الثالثة في ذلك اليوم. كانت تعلم بموضوعية أن شعورها بالإحباط لن يساعدها، لكنها كادت تفقد صوابها وهي تحاول معرفة ما يجب فعله بعد ذلك. يمكنها أن تجازف وتأمل أن يتصدى جسد بيلامي للعدوى ويبدأ الجرح في الالتئام بصرف النظر عن هذه الغُرَز. أو أن تزيل الغُرَز وتضع غُرَزًا جديدة.. لكن هذا من شأنه أن يعرضه لخطر إعادة فتح الجرح الداخلي، مما سيعيد الوضع خطوات للوراء.

أخذت نفسًا عميقًا، وزفرت ببطء، محاولةً التركيز. على الرغم من أن بيلامي كان محظوظًا لأن الرصاصة قد أُخرِجَت بشكل آمن، فإنها قد أصابت أسوأ مكان ممكن، على بُعد مليمترات من شريان رئيسي. خياطة جرح في مثل ذلك المكان ستكون بالأمر الصعب حتى لو كانوا هناك على متن السفينة في جناح مُعقَّم مخصص للعمليات الجراحية ومُزوَّد بأضواء ساطعة. ولكن في هذه الكابينة المظلمة، مع وجود اثنين من الحراس يحومان فوق بيلامي ويصطدمان بكلارك في كل مرة تحاول فيها فحص جرحه، كان الأمر شبه مستحيل.

لهذا السبب لا ينبغي للأطباء أن يُجروا عمليات للأشخاص الذين يحبونهم. بالكاد استطاعت منع يديها من الارتجاف، ناهيك باتخاذ قرار موضوعي تحت ضغط. جَسَّت جبهة بيلامي بظهر يدها. لقد انخفضت حرارته، وهو مؤشر

جيد، لكنه كان لا يزال مشوَّشًا ويتألم كثيرًا. كان يصيب كلارك توعُّك كلما فكرت في مدى معاناته ومدى قلة حيلتها في مساعدته.

نادى صوت ضعيف من الجانب الآخر للغرفة: «كلارك؟ كلارك؟ أحتاجكِ، رجاءً».

لقد كانت مارين، وهي امرأة كهلة تعاني من جرح عميق في ساقها. كانت كلارك قد نظفت الجرح وخاطته، ولكن مخزونهم من المسكنات على وشك النفاد، مما يعني أنه لا يمكن استخدامها إلا في الحالات الأشد خطورة.

قالت كلارك: «سآتي حالًا».

كان يقتلها أن تترك بيلامي، ولكن كان لا يزال هناك الكثير من الأشخاص الذين يحتاجون رعاية طبية شديدة، لدرجة أن كلارك لم تستطع قضاء أكثر من بضع دقائق معه في كل مرة. ضغطت على يده، ففتح عينيه قليلًا وابتسم، وضغط على يدها هو الآخر، ولكن بوهن. وضعت يده برفق على السرير ثم استدارت، واصطدمت بأحد الحراس.

- معذِرة.

بالكاد استطاعت كلارك إخفاء نبرة الانزعاج من صوتها. لم تكن المراقبة الأمنية مبالغًا فيها فحسب.. بل كانت تعوق قدرتها على رعاية مرضاها. أين عساه أن يذهب بيلامي وهو شبه فاقد للوعي ويهذي بسبب الحمى؟

- كلارك، أرجوكِ؟ إنه يؤلم كثيرًا.

ازداد نداؤه إلحاحًا وازدادت نبرتها ألمًا. لم يكن لدى كلارك وقت لتضيعه. كان لديها ضمادات لتغيرها وجرعات من الدواء لتعطيها لمرضاها. ورغم امتنانها للحصول على فرصة لتقديم المساعدة، فإن حتى الرعاية المُرهِقة للمرضى على مدار الساعة لم تكن كافية لتصفية ذهنها من القلق. في كل مرة كانت تلمح فيها رودس، كان يملؤها الغضب والاشمئزاز. لم يقتصر الأمر على أنه كاد يقتل بيلامي فحسب، بل في واقع الأمر، قد احتجزها كسجينة. من المستحيل أن تستطيع مغادرة المخيم وترك بيلامي في خطر، بينما كان بإمكانها أن تقضي كل ساعة تمر في البحث عن والديها، اللذين يظنان أن ابنتهما كانت لا تزال على المستوطنة، وليست واقفة على نفس الأرض، تحت

نفس السماء. كان مجرد التفكير في ذلك مُحبِطًا للغاية. عبرت كلارك الغرفة وانحنت فوق مارين. وفي أثناء ما كانت تزيل الضمادة عن ساقها، دفعت كل أفكارها عن خذلانها لوالديها بوقوفها هنا، في هذه الكابينة الضيقة، بدلًا من أن تنطلق بمفردها للبحث عنهما.

قالت كلارك بهدوء: «آسفة لتحمُّلك هذا الألم الشديد. أعلم أن هذا يؤلم، لكن الخبر السار أن الجرح قد بدأ يتحسن بشكل مثالي».

بدت مارين في حالة بائسة، وجهها شاحب وندي، ولكنها تمكنت من الإيماء برأسها وشُكرِها بصوت هادئ.

لقد أمضت كلارك ليالي كثيرة على فينيكس مُنكَبة على كتبها الدراسية، مبهورة بمدى تطور الطب على السفينة. لقد قُضِيَ على معظم الأمراض الكبرى -لم يعد هناك سرطان أو أمراض قلب، ولا حتى إنفلونزا- وقد استحدثوا طرقًا لإعادة نمو الجلد، ولحْمِ العظام المكسورة ببعضها بعضًا بسرعة. كانت مذهولة للعيش في وقت يتسم بمثل هذا التألق الطبي. أرادت أن ترقى إلى مستوى الأطباء الذين سبقوها، لذا عملت جاهدة في حفظ الإجراءات الطبية والأدوية العلاجية والعمليات الفسيولوجية.

لكن الآن لم يكن لدى كلارك القدرة على الحصول ولا حتى على عُشر تلك المعدات الطبية. لقد كانت تمارس مهامها أساسًا في الظلام، بيدين مضطربتين بدلًا من المشارط ذات الشفرات الحادة، والمهدئات الواهية للمرضى بدلًا من المضادات الحيوية. لربما كان من الأفضل لو أنها قدمت لهم ملعقة خشبية ليعضوها، كما كانوا يفعلون في العصور الوسطى. نظرت حولها إلى وجوه الكبار المشدوهين والأطفال المصدومين الذين كانوا إما يتأوهون وإما يبكون وإما يحدقون إلى الفراغ فحسب. كان هناك مئات آخرون مثلهم في الخارج. هل بإمكانها الاعتناء بكل هؤلاء الناس، يومًا بعد يوم، بمفردها؟

وكان هؤلاء هم القلائل المحظوظون الذين تمكنوا بطريقةٍ ما من تأمين مكان لهم على إحدى سفن الإنزال. ووفقًا للنظرات التي ارتسمت على وجوه بعضهم، فقد بدا أن ثمن إنقاذهم لأنفسهم كان باهظًا بشكل مخيف. بإمكانها رؤية الألم الناجم عن تركهم للأحباء، والأصدقاء، والجيران وراءهم للموت لكي ينجوا هم بأنفسهم يفيض من أعينهم. جلست كلارك القرفصاء بجانب صبي،

كيث، الذي كان راقدًا في هدوء على سرير نقّال منخفض في الجزء الخلفي من الغرفة. ابتسمت له، ولوَّح لها بيده تلويحة صغيرة. في الليلة الماضية، كانت قد سألت كيث ما إذا كانت أمه أو أبوه موجودَين معه هنا، لكنه هز رأسه في صمت. أدركت من خلال الأسى الظاهر على وجهه أنه كان وحيدًا على الأرض، وتوقفت عن طرح الأسئلة.

تساءلت عما سيحدث له بعد مغادرته لهذه الكابينة وتركها رعايته، فسوف تلتئم ضلوعه المكسورة قريبًا، وسيترك ذلك الهدوء النسبي لكابينة المشفى. حتى الآن، كانت أوكتافيا تعتني بالأطفال الذين فقدوا أبويهم، ولكن العدد كان أكبر من أن تقدر فتاة مراهقة واحدة على رعايته. مَن عساه أن يعلمه كيف يصطاد أو كيف يعرف ما إذا كانت المياه نظيفة بما يكفي لتصلح للشرب؟ هل سيخاف في الليلة الأولى التي ينام فيها تحت النجوم؟ أبعدت كلارك بضع خصلات من شعره المتعرق عن جبينه وداعبت أنفه وهي تهمس قائلة: «فلتحصل على قسطٍ من الراحة يا رفيقي».

أغلق كيث عينيه، رغم أن كلارك كانت تشك في أنه سيكون قادرًا على الشعور بالراحة. إن مجرد النظر إليه، وتأمُّل كيف كان صغيرًا جدًّا ووحيدًا جعل كلارك تشعر بالامتنان لوجود أشخاص تعرفهم على الأرض. كان هناك عدد غير قليل من الوجوه المألوفة بين الوافدين الجدد.. الطبيب لاهيري على سبيل المثال، وبعض جيرانها في الممر السكني، وحتى جلاس. على الرغم من أنهما لم تكونا صديقتين قط من قبل، فإن الفتاتين كانتا تعرفان بعضهما بعضًا طوال حياتهما. كان ثمة شيء يبعث على الاطمئنان بشأن رؤية وجه اعتدت رؤيته طوال حياتك، بشأن معرفة أن جلاس كانت تشارك معها العديد من ذكريات السفينة المحتضرة. كان الأمر كما لو أن كلارك لم تستطع تحمُّل ثقل تلك الذكريات بمفردها.. كانت بحاجة لشخص ما لتتقاسم معه هذا العبء.

على الرغم من أن أطرافها كانت مثقلة بالإرهاق والقلق، فإنها أجبرت نفسها على متابعة علاج مريضها التالي. لقد كان الطبيب لاهيري، الذي كانت كتفه لا تزال تسبب له قدرًا كبيرًا من الألم. رفع رأسه عن السرير قليلًا. وقد

أصبح شعره الأشيب -الذي عادة ما كان مُرتبًا- دهنيًا ومتشابكًا، وقد بدا أن ذلك يكاد يزعجه أكثر من الجرح في كتفه.

قال في ضجر: «مرحبًا كلارك».

- مرحبًا د. لاهيري. كيف حال رأسك؟

- أفضل. لقد خفَّت الدوخة، ولم أعد أراكِ اثنتين أمام عينيَّ.

ابتسمت كلارك قائلة: «حسنًا، هذا تحسنٌ لا بأس به. على الرغم من أنني أتمنى لو كان هناك اثنتان مني، بصراحة».

حدَّق إليها الطبيب لاهيري للحظة ثم قال: «إنكِ تؤدين عملًا رائعًا هنا يا كلارك. آمل أن تدركي ذلك. سيكون والداكِ فخورَين جدًّا بكِ».

امتلأ قلب كلارك... بالحزن أو بالامتنان، لم تكن متأكدة. لبضعة أيام مجيدة، كانت واثقة تمامًا من أنها سترى والديها مرة أخرى وأمضت ساعات طويلة في تخيل كل الأشياء التي ستخبرهما بها، وتفريغ كل الأفكار والقصص المخبأة بداخلها، التي لم يكن لديها أحد لتشاركها معه. ولكن الآن، بدت احتمالات حصولها على أي معلومات من شأنها أن توصلها إليهما أقل فأقل.

قالت كلارك في هدوء وقد تلفتت حولها لتتأكد من أن الحراس كانوا بعيدين عن مرمى السمع: «أريد أن أسألك شيئًا. لقد وجدت شيئًا ما في ذلك اليوم، شيئًا جعلني أعتقد أن والديَّ قد يكونان على قيد الحياة».

رأت عينَي الطبيب لاهيري تتسعان، لكن ذلك لم يكن نابعًا من شعور بالصدمة أو حتى عدم التصديق. أيمكن أنه كان يعرف بشأن ذلك بالفعل؟

ثم تابعت وهي تأخذ نفسًا عميقًا: «وأعتقد أنهما على الأرض. بل واثقة من ذلك. إنني فقط بحاجة لمعرفة كيفية العثور عليهما. هل.. هل تعلم أي شيء بخصوص ذلك؟ أي شيء من شأنه أن يوجهني إلى الاتجاه الصحيح؟».

تنهد الطبيب لاهيري وقال: «كلارك، أعلم أنكِ تريدين...».

قاطعتهما جلبة عند الباب. استدارت كلارك لترى نائب المستشار رودس واقفًا في مقدمة الغرفة. امتلأت الغرفة بهمهمات المرضى الذين رفعوا رؤوسهم من أسِرتهم ليروا مَن الذي دخل. نظرت كلارك إلى الطبيب لاهيري في يأس، متمنيةً لو كان بإمكانهما إنهاء حديثهما. أومأ إليها برأسه، وكأنه

يخبرها بأنهما سيحظيان بحديث أطول في وقت لاحق. توجهت كلارك نحو نائب المستشار. توقفت أمامه، ويداها على خصرها. شاعرةً بأن مرضاها ومشفاها في حمايتها. وقف الحراس وراءه محيطين به في نصف دائرة، حاجبين كل الضوء الآتي من المدخل. أظلمت الغرفة، ولم يكن الأمر مسألة ضوء فحسب. بل إنها قد أظلمت من نواحٍ عديدة. بمجرد رؤيتها لوجه رودس المتعجرف وهو يتقد غضبًا، لم تعتقد قط أنها قد انتابها شعور بهذه القوة تجاه أي شيء من قبل. كان رودس هو من أمر والديها باختبار تأثيرات الإشعاع على البشر. على الأطفال! كان رودس هو مَن هدد بقتل كلارك إذا لم يمتثلا لأوامره، ثم نفى أي تورط له في تلك التجارب المروعة. لقد حكم على والديها بالموت. والآن، ها هو هنا من أجل بيلامي.

قالت كلارك ولم تكلف نفسها عناء محاولة إخفاء ازدرائها: «نائب المستشار. كيف أستطيع مساعدتك؟».

- كلارك، هذا لا يعنيكِ. نحن هنا بخصوص بيلامي بليك.

اصطدم بكتفها في أثناء مروره إلى داخل الغرفة. قبضت كلارك يديها بشدة، حتى إنها قد شعرت بأظافرها تحفر في كفيها. فار الدم في عروقها وكان عليها أن تأخذ نفَسين عميقَين بسرعة لتهدئة نفسها والتأكد من أنها لن تفعل شيئًا قد تندم عليه. رودس لم يكن فقط شخصًا فاسدًا وعديم الأخلاق، بل كان خَطِرًا أيضًا. لقد تعلم والداها ذلك بالطريقة الصعبة.

راقبت كلارك رودس وهو يقترب من بيلامي، الذي كان، لحسن الحظ، نائمًا. حدَّقَ نائب المستشار إليه للحظات، ثم استدار وسار بسرعة عائدًا إلى الباب ثانيةً. وعند مروره من جانب حراسه، تحدث دون النظر إليهم قائلًا: «ضعوا السجين في الحبس الانفرادي لحين محاكمته».

تجاسر أحد الحراس وقال: «سيدي، أين سنبقيه؟».

توقف رودس واستدار لينظر إليه بعينين مُحَشَّفَتين وانفجر قائلًا: «تدبروا الأمر».

ومن ثم اختفى عبر الباب.

قال الحارس: «أمرك سيدي».

شعرت كلارك بمعدتها تضطرب قليلًا عندما تعرفت على الصوت. لقد كان سكوت. رفعت رأسها لتراه يحدق إلى بيلامي، وعلى وجهه تعبير غير مفهوم. عادة ما كان مجرد النظر إلى بشرته المُبَقَّعة وعينيه الدامعتين يجعلها تشعر أنها تريد أن تأخذ حمامًا ساخنًا، وطويلًا. ولكن هذه المرة، لم تشعر باشمئزازها المعتاد. هذه المرة شعرت بأمل، لأن سكوت قد ألهمها بفكرة. لا أحد -ولا سيما نائب المستشار رودس- سيؤذي بيلامي. ستحرص كلارك على ذلك.

الفصل التاسع

جلاس

عرفت جلاس أنها كانت محظوظة لوجودها على الأرض، لكن جزءًا منها تساءل ما إذا كانت ستحارب بقوة من أجل الوصول إلى هنا لو كانت تعلم بأنها ستقضي بقية حياتها تتبوَّل في الغابة. خرجت جلاس من المرحاض، الذي لم يكن في الواقع سوى سقيفة صغيرة تستند على إحدى الأشجار كجدار رابع، وتوجهت عائدة إلى المخيم. أو على الأقل، ظنت أنها متجهة نحو المخيم. بدت كل الأشجار متشابهة، لذلك كان من الصعب عليها تحديد الاتجاهات. طمأنها سماع الأصوات الآتية من بعيد، التي كانت تعلو شيئًا فشيئًا تأكيدًا على أنها كانت تقترب.

وسرعان ما خطت إلى داخل ساحة المخيم، تاركةً هدوء الغابة المُطمِئن وراءها. توقفت وقد أصابها شعور مفاجئ بالتشوش. لم تكن في المكان الصحيح. لقد اعتادت الوصول بين المشفى وكبائن المؤن، ولكن بطريقة ما قد انتهى بها المطاف على الجانب الآخر من المخيم، بالقرب من أحد المباني الجديدة الأشبه بالمهجع الذي كان لا يزال قيد الإنشاء. تنهدت حين أدركت سوء تقديرها وسجلت ملاحظة في عقلها بأن تكون أكثر حرصًا في المرة القادمة. كان لوك قد أعطاها عدة محاضرات بالفعل حول ضرورة بقائها منتبهة وعدم الذهاب إلى الغابة بمفردها. لكنه كان يعمل طوال الوقت، ولم تكن جلاس ترتاح لأي شخص آخر في المخيم بما فيه الكفاية لتطلب منه توصيلها إلى الحمَّام. استدارت حول موقع البناء ومرت من خلف رجلين

يتحدثان بصوت منخفض بالقرب من حافة الغابة. كانا منغمسَين في الحديث ولم يبدُ أنهما قد لاحظا وجودها. توقفت، شعرت بأنها غير متأكدة ما إذا كان عليها تنبيههما إلى وجودها، أم البقاء ثابتة في مكانها حتى ينتهيا، أم تتابع السير وتستكمل طريقها. وقبل أن تتاح لها فرصة اتخاذ قرار، تعرَّفَت على أحد الرجلين.. لقد كان نائب المستشار، رودس.

تجمَّدَت جلاس في مكانها وأطلق عقلها العنان لزوبعة من المشاعر المتضاربة. كان ثمة شيء ما حياله دائمًا ما يجعل جلاس ترتعد خوفًا، ومشاهدته وهو يأمر حراسه بإطلاق النار على بيلامي بالتأكيد لم تجعل الأمر أفضل بأي حال من الأحوال. ولكن في الوقت نفسه، كان هو السبب في بقاء جلاس على قيد الحياة. فعندما رأى جلاس ووالدتها وسط الحشد المتدافع من الناس تحاولان عبثًا شق طريقهما إلى سفن الإنزال، أفسح لهما المجال هو وحاشيته وأخذهما تحت ذراعه وأمَّنَ لهما المقعدين الأخيرَين.

لم تسنح لجلاس الفرصة للتحدث معه منذ تلك اللحظة، ولكن الآن توقفت آلاف الأسئلة غير المنطوقة في حلقها. لماذا ساعدهما؟ ماذا كانت طبيعة علاقته بوالدتها؟ هل حدَّثَته عن كم خيَّبَت جلاس أملها هناك على المستوطنة؟

قطع صوت نائب المستشار جلاس عن أفكارها، سمعته يقول: «سنعقد المحاكمة في وسط المخيم. تأكد من إعلام الجميع بأن الحضور إلزاميٌّ. أريدهم أن يروا من كثب أن الخيانة من أي نوع أو العمل من أجل المصالح الذاتية لن يُتسامح معه بأي شكل من الأشكال».

شهقت جلاس. لقد كان يتحدث عن بيلامي.

قال الرجل الثاني الذي كان يرتدي زي ضابط ممزقًا ومُتَرَّبًا: «أمرك سيدي».

عرفت جلاس أنه الرجل الثاني في قيادة نائب المستشار، بورنِت، الرجل الذي أمسكها من ذراعها وسحبها هي ووالدتها إلى بر الأمان على منصة الإطلاق.

- وهل فكرت في مكان يمكننا إبقاؤه فيه على المدى الطويل لو كانت عقوبته هي الحبس؟

أطلق رودس ضحكة غليظة وجافة وأجابه قائلًا: «الحبس؟ لا توجد سوى نتيجة واحدة لهذه المحاكمة، وأؤكد لك أنها ليست الحبس».

أومأ بورنِت برأسه وقال: «فهمتُ».

فتابع رودس قائلًا: «سنكون أنا وأنت في المجلس، وكذلك اثنان من شيوخ الفينيكسيين الذين نزلوا معنا. لقد تحدثت إليهما بالفعل. إنهما يفهمان ما يجب عليهما فعله. سنعدم السجين، وسيكون ذلك كتذكير واضح للجميع بأن الحفاظ على النظام هنا على الأرض لا يقل أهمية -إن لم يكن أهم- مما كان عليه في المستوطنة».

- أفهم هذا يا سيدي. ولكن من الناحية اللوجستية، لا يمكننا هنا رمي السجين إلى الفضاء. كيف تريد تنفيذ حُكم الإعدام؟ لدينا أسلحة نارية، ولكن...

تردد بورنِت لوهلة قصيرة ثم أردف: «هل ستسحب الزناد بنفسك؟».

أغمضت جلاس عينيها وشعرت بموجة من الغثيان تجتاحها. لم تستطع تصديق أذنيها. كانا يتحدثان عن إعدام بيلامي بنفس النغمة الاعتيادية التي ربما كانا يناقشان بها حصص الكهرباء أو الاحتفال القادم بيوم إحياء الذكرى.

- لقد كنتُ أفكر في هذا الأمر، وأعتقد أنني لدي الشخص المناسب تمامًا لهذه المهمة. إنه يلتزم بالأوامر ويحترم القواعد، وهو حارس ممتاز. عضو في سلاح المهندسين في الواقع. لكنه أظهر نزعات نحو التمرد في الآونة الأخيرة. لقد تستَّر على أحد الهاربين، إلى جانب أشياء أخرى، وأعتقد أن تكليفه بهذه المهمة سيفي جيدًا بغرض تذكيره لمن يدين بولائه.

بدأ رأس جلاس يدور، كما لو أن أحدًا قد قطع الأكسجين عن دماغها، ومدت يدها لتستند على أقرب جذع شجرة. لوك! كان نائب المستشار سيجبر لوك على إعدام بيلامي لكي يُثبت ولاءه. لكن لوك لن يقتل إنسانًا أبدًا.. كانت تعلم أنه لن يستطيع الضغط على الزناد. ماذا سيفعل به رودس في ذلك الحين؟ هل سيشك في ما هو أكثر من مجرد ولاء لوك؟ هل سيشك عما إذا كان يستطيع الوثوق بلوك من الأساس؟ فقد أصبح من الواضح تمامًا الآن ما يفعله رودس بالذين لا يمكنه الوثوق بهم.

بدأ رودس وبورنِت السير نحو مجموعة صغيرة من الحراس الذين لم تستطع التعرف عليهم. وبمجرد خروجهم من مرمى السمع، زفرت جلاس نفسًا طويلًا انتهى بنحيب مختنق. كان عليها أن تجد لوك. تفقدت موقع المخيم بعينيها لكنها لم تره في أي مكان. بدأ الذعر يتصاعد بداخل صدرها. حدَّثت نفسها قائلة: *فلتبقي هادئة. الذعر لن يحل شيئًا. لقد كنتِ متماسكة في أثناء السير في الفضاء.. ويمكنكِ بالتأكيد التماسك لفترة كافية حتى العثور على لوك.*

أجبرت نفسها على السير بهدوء عابرةً مركز المخيم، متجهةً إلى كابينة المشفى. لربما تكون كلارك قد رأت لوك. خطت إلى الداخل. استغرق الأمر بضع لحظات حتى تتكيف عيناها مع الكابينة المظلمة عديمة النوافذ، وشعرت وكأنما قد أصابها العمى لوهلة. عندما عاد إليها بصرها، رأت لوك واقفًا قبالتها، وظهره لها. كان يؤدي مهمته، في حراسة بيلامي. كاد الارتياح الذي شعرت عند رؤيته أن يملأ عينيها بالدموع. ولكن بعد ذلك اجتاحت عقلها صورة لوك وهو يرفع مسدسًا ويوجهه نحو بيلامي، ويضغط على الزناد، وتخيلت سماع صوت إطلاق النار الذي يشق الآذان. لا يمكن أن تسمح بحدوث ذلك. لا يمكن أن تسمح لهم بإجبار لوك على اتخاذ ذلك القرار.. ولن تقف كالمتفرجة بينما يهددون بإيذائه هو أيضًا.

عبرت جلاس الغرفة في ثلاث خطوات كبيرة وأمسكت بذراع لوك. استدار، وقد رفع قبضتيه متخذًا وضعية دفاعية، ولكن ما لبث أن ضحك عندما رآها.

قال وهو يلقي بذراعيه على جانبيه: «مرحبًا! أتحاولين الإيقاع بي في مشكلة؟».

اختفت ابتسامته عندما رأى التعبير المرتسم على وجهها، فسألها بصوت منخفض، وقد مال نحوها حتى لا يسمعه أي شخص آخر حديثهما: «هل أنتِ بخير؟».

فأومأت برأسها نحو الباب وأجابته قائلة: «أيمكننا أن نتحدث؟ بالخارج؟».

- بالطبع.

ثم التفت لوك إلى الحارس الآخر وقال: «اسمع يا رجل، أحتاج للخروج للحظة. هل ستكون الأمور على ما يرام؟».

هز الحارس كتفيه، ونظر إلى بيلامي، الذي كان مستغرقًا في النوم ومقيَّدًا في السرير، ثم التفت إلى لوك مرة أخرى وأومأ برأسه. تبع لوك جلاس إلى ضوء الشمس بالخارج. ذهبا إلى وراء الكابينة، وبعد التحقق للتأكد من عدم وجود أحد حولهما، أخبرت جلاس لوك بكل ما سمعت رودس يقوله. لقد كرهت رؤية النظرة المؤلمة على وجهه وهو يستوعب ثقل كلماتها. أبعدَ نظره عنها، وحدَّق إلى قمم الأشجار. ظلَّ صامتًا للحظات طويلة، فحبست جلاس أنفاسها. كانت الطيور تزقزق، وتردد صدى صوت فأس تقطع الخشب عبر المخيم.

وأخيرًا، عاد لوك للنظر إليها، وعيناه تتقدان بالعزيمة، وقال بحزم: «لن أفعل ذلك».

رفرف قلب جلاس حبًّا واعتزازًا بحسِّ لوك السليم الواضح بالصواب والخطأ. لقد أعجبت بنزاهته وشرفه.. كانت تلك أحد أوائل الأشياء التي انجذبت إليها. لكنها لن تتركه أبدًا أبدًا يُعرِّض نفسه للخطر من أجل إنقاذ شخص آخر.

- لكن، لوك، أنت تفهم ما يعنيه ذلك، صحيح؟ سوف يعاقبونك.

ارتجف صوت جلاس من الخوف وهي تردف قائلة: «أعلم أنه قد أنقذ حياتي، لكن رودس شخص خطر. كان يجب أن ترى الطريقة التي تحدَّث بها عن إعدام بيلامي. كانت... مروعة. من يعرف ما هو قادر على فعله؟».

- أنا أعرف.

ظلَّ كلاهما هادئَين للحظة. أمسكت بيده وضغطت عليها. لقد بدا شارد الذهن، كما لو كان بعيدًا جدًّا عن هنا، تمامًا كما كان يبدو في أثناء استعداده للسير في الفضاء.

ضغطت على يده مرة أخرى قائلة: «لوك».

التفت ببطء لينظر إليها: «لا يمكن للأمر أن ينتهي بهذه الطريقة».

بعد كل ما مروا به، بعد كل ما قاتلوا من أجله ونجوا، سيكون ضربًا من الجنون إن سمحوا لرودس بتحويل أيٍّ منهم إلى كبش فداء، تمامًا مثلما كان يفعل مع بيلامي.

قال لوك وقد جذبها إلى عناق شديد: «هذا لن يحدث».

تنشقت رائحته المألوفة، التي أصبحت الآن مختلطة بروائح الأرض الترابية والتي أخذ حبها لها يزداد عندما بدأت في ربطها أكثر فأكثر بلوك. وضعت خدها على صدره، وشعرت بالإيقاع الثابت لنبضات قلبه. بدأ ضغط دمها في الانخفاض، وتباطأ نبضها وانحسر الأدرينالين في عروقها. كان هذا هو كل ما تحتاجه. إن لوك هو كل ما تحتاجه.

تحررت جلاس من عناقه فجأة. فتلفَّت يمينًا ويسارًا، فقد بُرمِجَت غرائزه على التحقق من الخطر.

قالت جلاس: «أعرفُ ما الذي علينا فعله».

نظر لوك إليها، وقد انعقد حاجباه معًا: «ماذا؟».

- سنغادر.

- ما الذي تقصدينه بـ «نغادر»؟ إلى أين عسانا أن نذهب؟

- لا أعرف، لكننا سنفكر في ذلك لاحقًا. يمكن لويلز أن يساعدنا. يستطيع هو وساشا إخبارنا من أي طريق علينا أن نذهب. يمكننا الاختباء لبعض الوقت.. إلى أن نتأكد من أنه عندما نعود، سيكون كل هذا قد أصبح طي النسيان.

سأل لوك وهو ينظر إليها وكأنها قد جُنَّت تمامًا: «وماذا عن الأرضيين؟ أولئك الخطرين؟».

- سنضطر إلى المخاطرة.

حدق لوك إليها للحظات طويلة، واستعدت جلاس لرؤيته يهز رأسه في ضجر، وسماع بضع كلمات تفيد بأنه لا يمكنه التخلي عن واجباته. ولكن لدهشتها، تسللت ابتسامة صغيرة إلى وجهه، وقال: «علينا الذهاب الليلة إذًا. لا نريد أن نمنح رودس فرصة ليعثر عليَّ».

نظرت إليه جلاس في ذهول: «هل أنت جاد؟ أتريدنا حقًّا أن نغادر بمفردنا؟».

وضع يده غير المصابة على خصرها وقال: «أتعرفين ما الذي أبقاني صامدًا خلال السنة الماضية؟ خلال كل الوقت الذي قضيتِه في الحبس، في تلك الليالي على والدِن حين كنتُ واثقًا من أننا كنا نموت؟ كان التفكير في أن

أكون معكِ على الأرض. حتى عندما كنت متأكدًا من أن الأمر مجرد خيال، لم أستطع التوقف عن تخيُّل استكشاف الأرض معكِ. كلانا فحسب».

ترك خصرها ومرر أصابعه من خلال شعرها وأردف: «لكن الأمر محفوف بالمخاطر. أنتِ تدركين ذلك».

أومأت برأسها قائلة: «أعرف. ولكنني أُفضِّل أن أكون في خطر معك على أن أخاطر بأن أكون هنا من دونك».

نظرت إليه وابتسمت ومررت يدها بلطف على خده الخشن غير المحلوق. أمسك بيدها وطبع قبلة على أطراف أصابعها، وقال: «أُفضِّل أن أكون معكِ على أن أتسبب في المزيد من الألم لأي أحد».

- إذن، فلنستعد. سنأخذ ما في وسعنا أخذه من المؤن دون جذب الانتباه، ومن ثم ننطلق.

- لا بد لي من إنهاء مناوبتي. أحضِري بعض الماء وأي طعام يمكنك إخفاؤه في ملابسك، وسنلتقي هنا ثانيةً بعد غروب الشمس. عندما يكون الجميع يتناولون عشاءهم.

وافقته جلاس قائلة: «حسنًا. سأجد ويلز. وأعتقد أننا يجب علينا إخبار كلارك أيضًا. إنها بحاجة إلى معرفة ما يخططون لفعله في بيلامي. لأنه إذا لم يكن أنت من سينفذ خططهم، فسيكون شخصًا آخر».

- أيمكننا الوثوق بها؟

فأكدت جلاس دون أي تردد قائلة: «أجل. يمكننا الوثوق بها».

- حسنٌ.

أحنى لوك رأسه ليعطي جلاس قبلة سريعة، وناعمة. ثم قال مبتسمًا: «سنكون بالضبط مثل آدم وحواء».

- من المستحيل أن أرتدي أوراق شجر، مهما طالت مدة بقائنا وحدنا في الغابة.

أخذ لوك يحدق إليها من أعلى لأسفل، ثم ابتسم ابتسامة ماكرة، مُلَمِّحًا إلى ما كان يدور في عقله. ثم قال وهو يربت على مرفقها: «هيا اذهبي واستعدي».

وبعد نظرة طويلة أخيرة، استدار وعاد إلى كابينة المشفى.

الفصل العاشر

كلارك

للحظة عابرة هانئة، شعرت كلارك بالسعادة. كان ذلك عندما وقف كيث للمرة الأولى منذ هبوط سفن الإنزال وخطا بضع خطوات، وهلَّل جميع من كانوا في كابينة المشفى. وقفت كلارك أمامه، مادةً ذراعيها إليه وهو يعرج للأمام. كانت إحدى ذراعيه النحيلتين ملفوفة حول ضلوعه بشكل احترازي، بينما كانت الذراع الأخرى تلوِّح إلى الجانب للحفاظ على توازنه. تقدم حتى أصبح بين ذراعَي كلارك، عانقته بلطف. سيكون الفتى على ما يرام.

قالت كلارك: «حسنًا يا صديقي، لنعد إلى الفراش. هذا يكفي ليوم واحد».

- شكرًا د. كلارك.

ارتسمت على وجه كيث ابتسامة كبيرة بما يكفي لإضاءة الغرفة.

- نادِني كلارك فحسب.

ابتسمت، وساعدته في العودة إلى سريره. وبطرف عينها لمحت السرير الوحيد الخالي في الكابينة. لقد أتى الحراس بعد ظُهر ذلك اليوم لنقل بيلامي إلى كابينة السجن التي بنوها حديثًا على حافة ساحة المخيم، وهي عبارة عن كوخ موحش عديم النوافذ مصنوع من الصفائح المعدنية التي انتُشِلت من موقع الحطام. لقد حُبِسَ وحده، مع وجود رجلين مسلحَين أمام الباب طوال الوقت. لم تكن كلارك متأكدة بالضبط مما يخطط له رودس، لكنها كانت واثقة من أن الأمر سيظل يزداد سوءًا فحسب. إما أن يستسلم بيلامي

للعدوى من أثر نقص الرعاية الطبية الملائمة، وإما سيعجِّل رودس بموته عن طريق... نفضت كلارك تلك الفكرة المريعة عن رأسها. عليها أن تجد حلًّا. لا بد لها من ذلك.

في أثناء ما كان كيث يحاول الجلوس بحذر شديد، التفتت كلارك إلى مارين، التي أظهرت ساقها تحسنًا كبيرًا. لقد بدأ الجرح في الالتئام دون أي إشارة للعدوى.

قالت كلارك: «أنتِ التالية يا مارين. سنراكِ تنهضين وتخطين بقدميك على الأرض قريبًا جدًّا».

ابتسمت مارين وقالت: «لا أستطيع الانتظار. كم من الوقت قد مضى وأنا على سطح هذا الكوكب، وما زلت لم أرَ شجرة ولا حتى ورقة شجر واحدة؟».

مازحتها كلارك في مشاكسة وقد أخفت نبرتُها المرحة الخوفَ الذي أخذ ينمو بصدرها: «حسنًا، هذا ما تحصلين عليه من جراء فقدانكِ للوعي. لكنني سأحضر لكِ بعض العينات لاحقًا، كتصبيرة لحين خروجك».

نادى أحدهم من المدخل، بنبرة تنطوي على مسحة من اليأس: «كلارك؟».

استدارت كلارك لترى جلاس شاحبة الوجه، وقد بدا عليها القلق، وأخذت تنقل وزن جسدها من ساق إلى الأخرى.

- جلاس، ما الخطب؟

- أنا... أريد أن أتحدث معكِ للحظة.

- طبعًا!

هرعت إليها بالسرعة التي تسمح بها ساقاها المرهقتان.

- هل كل شيء على ما يرام؟

انقبض قلب كلارك للحظة. هل حدث شيء لويلز؟

قالت جلاس وهي تلقي نظرة قلقة حول الكابينة: «أعتقد أن علينا التحدث في الخارج».

أومأت كلارك برأسها، ودون النطق بأي كلمة، تبعت جلاس عبر الباب إلى ساحة المخيم. بدت شمس ما بعد الظهيرة وكأنها تخفف من وطأة المشهد

المحموم إلى حد ما، على الرغم من أنه في كل مكان نظرت إليه كلارك، كان بإمكانها رؤية علامات التوتر: أناس يتجادلون حول حصص الإعاشة، وحراس يلقون بنظرات مضطربة نحو الغابة، وعلى بُعد مسافة، كان ثمة أشخاص يحنون رؤوسهم لتجنب التقاء أعينهم أعينَ الحارسين الواقفين أمام سجن بيلامي. إن فكرة وجوده بالداخل هناك، وحيدًا ومريضًا، جعلت كلارك ترغب في الركض إلى هناك وتكسير ذلك الباب، وليذهب الحراس إلى الجحيم! أبعدت جلاس عينيها عن الزنزانة ووجهت انتباهها إلى جلاس.

قالت: «ما الذي يجري؟».

- الأمر يتعلق بلوك... وبيلامي.

تجهم وجه كلارك في حيرة وارتباك. ما علاقة بيلامي ولوك ببعضهما بعضًا؟ لقد كان بيلامي في الأساس إما فاقدًا الوعي وإما نائمًا منذ هبوط لوك على الأرض.. هل التقيا؟

أخذت جلاس تستنشق أنفاسها وتزفرها ببطء، كما لو كانت تستدعي الشجاعة على الكلام.

- كلارك، أنا فقط... اعتقدت أنكِ يجب أن تعرفي. إنهم يخططون لإعدام بيلامي.

كان صوتها خافتًا وواهنًا وهي تنطق بتلك الكلمة المروعة، وكأنها كانت تتطلب مجهودًا بدنيًا هائلًا. شعرت كلارك بمعدتها تنقلب رأسًا على عقب. عضت شفتها لكتم البكاء وهمست قائلة: «يعدمونه؟».

لم يكن الأمر كما لو أن كلارك لم تكن تتوقع شيئًا كهذا. فقد علَّمها تدريبها الطبي وضع كل الاحتمالات في الحسبان ومواجهة أبشع المواقف. ولكن كان هناك فرق هائل بين إجبار نفسها على تخيل السيناريو الأسوأ وبين سماعه في الواقع مُفَصَّلًا على لسان شخص آخر.

- إنهم يخططون لعقد محاكمة، لكنها ستكون زائفة تمامًا.

تابعت جلاس كلامها، ووجهها يتألم أكثر مع كل كلمة. أوضحت لها جلاس أن رودس سيجعل لوك يقتل بيلامي. لكنها أسرعت قائلة في لهفة: «لكننا لن

نسمح لهم بإجبار لوك على فعل ذلك. سوف نغادر المخيم، الليلة. من شأن ذلك أن يمنحكِ بعض الوقت».

- كيف... كيف لذلك أن يساعدنا؟

- إذا لم يكن لوك موجودًا لتنفيذ أوامر رودس، فسيتعين عليهم إعادة التفكير في أمر الإعدام. إنه ليس حلًّا نهائيًّا، ولكنه قد يمنحك يومًا إضافيًّا لإيجاد حل ما.

- هل هذا... هو سبب مغادرتكما؟ لكيلا يضطر لوك إلى قتل بيلامي؟

أومأت جلاس إيجابًا، وتحرك شيء ما بداخل كلارك، شيء جعلها تشعر بموجة هائلة وغير مسبوقة من المحبة والامتنان. أرادت كلارك أن تمسك بيد جلاس وتتوسل إليها طلبًا لمسامحتها عن كل تعليق لاذع، عن كل مرة ضحكت فيها بينها وبين نفسها على أحد أخطاء جلاس في المدرسة. لم يسبق لها أن حكمت على أي شخص بهذا الشكل المجحف. لكنها لم تستطع الحركة، وبالكاد استطاعت التحدث. سيقتلون بيلامي. سيجرُّون الفتى الذي أحبته إلى ساحة المخيم، ويوجهون مسدسًا نحو ألطف وأشجع شخص قد قابلته في حياتها، وينهون حياته بضغطة إصبع.

ولكن بعد ذلك، بدأت أفكار كلارك تسير في اتجاه آخر. وشعرت بأن غرائز أخرى قد بدأت تسيطر. كلا! لقد رفضت السماح بحدوث ذلك. لقد أنقذت أرواحًا، ولم تقف مكتوفة الأيدي لتشاهدهم وهم يتلاشون في غياهب النسيان. ستجد طريقة لإنقاذ بيلامي. لو استطاعت جلاس أن تجد الشجاعة للهرب من المخيم مع لوك، فستستطيع كلارك إيجاد الشجاعة لفعل كل ما هو ضروري. ومع هذه الفكرة، بدأت تستوعب خطورة خطة جلاس.

- جلاس، لا بد أن يكون هناك حل آخر. هذا خطر للغاية. أنتما يا رفيقيَّ لا تعرفان المكان، وهنالك... هنالك.... أشخاص... يودون إيذاءنا.

- لقد أخبرنا ويلز عن الفصيل الآخر من الأرضيين. سنكون حذرين، أعدكِ.

اصطنعت ابتسامة لم تصل إلى عينيها الزرقاوين الحزينتين. ثم وضعت يدها على ذراع جلاس وأردفت قائلة: «ولكن اسمعي يا كلارك. مجرد أن لوك

لن يكون هنا فإن هذا لا يعني أن بيلامي سيصبح في أمان. سيجدون شخصًا آخر لفعل ذلك».

أومأت كلارك وشعرت بعقلها يطنُّ. قالت: «أعرف. أعتقد أن لدي خطة».

فكرت في رائحة أنفاس سكوت اللاذعة ونظراته الثاقبة. شعرت بقشعريرة تسري في جسدها، لكن إصرارها كان قويًا، ستستخدم أي طريقة للإقناع قد يتطلبها الأمر. كان عليها أن تجعل سكوت يطلق سراح بيلامي.

سألت جلاس قائلة وقد بدا وجهها مملوءًا بالأمل والقلق: «هل يمكنني تقديم أي مساعدة؟ أعني، قبل أن نغادر؟».

راجعت كلارك الخطة التي تتشكل في رأسها مرة أخرى، وأومأت برأسها ببطء قبل أن تتلعثم في قول ما تحتاج جلاس لفعله. للحظة، شعرت كلارك بالقلق خشية أن تكون قد قالت الكثير. كانت جلاس تحدق إليها بعينين واسعتين وكادت تشعر بعقلها وهو يدور وراءهما. ولكن ما لبث أن تغير شيء ما في وجه جلاس، وارتسمت عليه نظرة توحي بالفهم والعزيمة. كان من الواضح أنها قد فهمت إلى أي مدى كانت كلارك على استعداد للذهاب من أجل إنقاذ بيلامي. كانت تأمل فقط أن يفي ذلك بالغرض.



الفصل الحادي عشر

ويلز

لم يسعَ ويلز قط لتولي زمام الأمور. لقد تطور الأمر بهذا الشكل ليس إلا. لقد رأى أشياء تستوجب فعلها، ففعلها. وإذا اعتقد أن شيئًا ما يمكن فعله بشكل أفضل، كان يقترحه. لم يكن للأمر علاقة بالسلطة أو فرض السيطرة، كما هو واضح بالنسبة إلى رودس. كانت تلك أفضل طريقة وجدها لإبقاء الناس على قيد الحياة.

دخل كابينة المؤن وتفحص أكوام بقايا الحطام والمتعلقات التي جمعوها من مواقع الحطام. كان يعلم أن رودس لا يريده أن يفعل ذلك، لكن نائب المستشار كان غائبًا بصورة ملحوظة لمعظم اليوم. واعتقد ويلز أن بإمكانه دائمًا أن يختلق بعض الأعذار إذا أُمسِكَ به. لقد كان بحاجة لفعل شيء ما يُبقيه مشغولًا. بالكاد كان يتحمل وجوده في ساحة المخيم. كانت تؤذيه رؤية الحارسين المسلحين أمام السجن الجديد. لقد أرهق دماغه في محاولة للتوصل إلى طريقة لمساعدة بيلامي. لكنه لم يستطع التفكير في طريقة للتحدث مع رودس من دون أن يزيد الوضع سوءًا. لذا حتى يتوصل إلى خطة لا تتضمن قتله هو وبيلامي، سيُجري الجرد. لم يكن هناك الكثير فيما يتعلق باللوازم الفعلية التي حُضِّرت وحُمِّلت على سفينة المئة من قِبل أي مَن كان الشخص المسؤول على متن المستوطنة. بدا الأمر كما لو أنهم لم يتوقعوا أن المئة سينجون من الرحلة، ناهيك بقضاء أكثر من شهر على الأرض. كان ثمة القليل من الأشياء النافعة: علبة أدوية واحدة وحقيبة إسعافات

أولية، كرتونتان من معجون البروتين، وقد نفدتا منذ فترة طويلة، وعدد من البطانيات، وحاويات مياه، وأوانٍ للطبخ، وأسلحة. أما الدفعة الثانية من سفن الإنزال فقد كانت أقل تجهيزًا. أدرك ويلز أن ذلك كان نتيجة أنهم غادروا المستوطنة دون سابق إنذار. ولكن بطريقة ما، تمكن المئة والوافدون الجدد من اختزان عدد هائل من المؤن واللوازم. لقد أعادوا توظيف المقاعد المكسورة والشظايا المعدنية بتحويلها إلى دلاء مياه، وأسِرة نقالة، وكراسٍ، وطاولات. استخدموا الأحزمة والأسلاك في تحويل فرش المقاعد وحشوتها وهياكلها إلى خيام وبطانيات. وكانوا يبحثون عن أوراق نبات عريضة ومسطحة يمكنهم تجفيفها واستخدامها في أغراض متعددة: بدايةً من السلال المنسوجة إلى الأطباق والأواني. لقد استخدموا كل ما أمكنهم العثور عليه للطهي والتنظيف وحماية أنفسهم. إنه لأمر مذهل بحق، كيف اتحد كل هؤلاء الأشخاص معًا وتوصلوا إلى طريقة للبقاء على قيد الحياة. لم يكن ويلز أكثر إدراكًا في أي وقت بمدى سهولة حياتهم على متن السفينة.

كان هدوء سقيفة المؤن مثل تغيير مرحب به عن الضجيج في الخارج. أخذ ويلز وقته في جرد المخزون، وسجَّل ملاحظة في عقله بأنهم بحاجة إلى البدء في جمع المزيد من الأوراق وقِطَع الخشب الصغيرة من أجل إشعال النار. لقد كانوا يبلون بلاءً حسنًا فيما يتعلق بجمع التوت والنباتات، وكان ثمة فريق كامل جديد يتدرب على تعقب الحيوانات.. وهو أمر جيد، بالأخذ في الاعتبار أن بيلامي على الأرجح لن يتمكن من العودة للصيد إلا بعد وقت طويل.

وقف ويلز ومدد ذراعيه فوق رأسه. سمع صوت خرير خافت على جانب المبنى. ربما كان فيليكس يسحب براميل المطر، كما طلب منه ويلز. خرج ليرى ما إذا كان بإمكانه تقديم المساعدة. وبينما كان متجهًا إلى جانب الكابينة، وقعت عيناه على كيندال وتجمَّد جسده فجأة. لقد بدت الفتاة الأصغر لطيفة في البداية وأولت اهتمامًا كبيرًا بويلز لدرجة أنه ظن بأنها ستعجب به إعجابًا بريئًا. ولكن على مدار الأسبوع الماضي، بدأ قلق ويلز يزداد بشأن سلوكها. لم يكن ثمة أي شيء منطقي بشأنها. بدايةً من لهجتها الغريبة، إلى الطريقة التي ظلت تتغير بها قصتها حول كيف انتهى بها الأمر في الحبس.

ولكن لم يكن ذلك هو الجزء الأكثر إثارة للقلق. سرت قشعريرة في جسده حين تذكَّر بريا، صديقته التي قُتِلَت بصورة وحشية وتُرِكَت معلقة على شجرة. لقد ظنوا جميعًا أن الأرضيين هم من فعلوا ذلك، بطبيعة الحال، مثلما قتلوا آشِر. ولكن حتى التفاصيل المروعة لذلك اليوم الرهيب لم تؤكِّد هذا التخمين. فقد كان الحبل الذي عُلِّقَت به بريا حبلًا من مخيم المئة على وجه التحديد. وكانت الحروف الشنيعة المنقوشة على قدميها تشبه إلى حد صادم النقش الموجود على شاهد قبرها.. الشاهد الذي صنعته كيندال بنفسها.

كان جزء من ويلز يعتقد أنه مصاب بجنون الشك ليس إلا، وأن ذلك كان بسبب تأثير الأحداث الصادمة فيه. ولكن كان ثمة جزء منه أيضًا يعلم أنه لا يجب عليه إبقاء كيندال بعيدًا عن عينيه. كانت تقف وحدها، وظهرها إليه، تميل فوق أحد براميل المطر، وتمد يدها بداخله.

قال ويلز، محاولًا إبقاء نبرته طبيعية: «مرحبًا كيندال».

قفزت عند سماع صوته واستدارت، وقد التصقت على وجهها ابتسامة كبيرة. قالت برقَّة ولطف: «أوه، مرحبًا ويلز».

- ماذا هناك؟ ما خطب برميل المطر؟

- لا شيء. أتحقق فحسب لمعرفة مقدار ما بداخله. لقد دحرج فيليكس هذه البراميل للتو. لا أعرف كيف فعل ذلك مع وجود الكثير من الماء بداخلها.

أجاب ويلز قائلًا: «هذا ليس صعبًا إذا فعلتِه من الزاوية الصحيحة. لماذا تحتاجين للتحقق من مستوى المياه؟».

نظرت كيندال إلى السماء ورفعت يديها بالقرب من كتفيها، وكفَّيها نحو الأعلى، كما لو كانت تتحقق من رطوبة الهواء.

- لا يبدو أننا سنحصل على أي أمطار اليوم، وأردت أن أتأكد من أن لدينا ما يكفينا من المياه.

حدَّق ويلز إلى وجهها للحظات. بدا أن شيئًا ما غير طبيعي.. كان الأمر كما لو أن صوتها البريء الساذج ونظرتها الحادة لا ينتميان إلى نفس الشخص، ولكن انتهى بهما المطاف معًا في وجهٍ واحدٍ عن طريق الخطأ.

- هل وجدتِ أي شيء في داخله؟

ضحكت كيندال ضحكة مكتومة وقالت: «في برميل المطر؟ لا. لماذا؟».

- ماذا كانت تفعل يدكِ بداخله إذن؟

- ويلز، لا أعرف ما الذي تتحدث عنه. لم تكن يدي بداخل البرميل.

- كيندال، لقد رأيتك واقفة هنا ويدك بداخله.

ضيقت عينيها وزَمَّت شفتيها معًا. لوهلة قصيرة، ظن ويلز أنه لربما كان يتخيل هذا. تغير تعبير وجهها من البراءة والارتباك إلى البرود والمكر، ثم اتسعت عيناها مجددًا، وضحكت بخجل، وهزت كتفيها قائلة: «ويلز، لا أعرف ماذا عساي أن أقول لك. لم أضع يدي في البرميل. عليَّ الذهاب إلى مناوبة الصيد خاصتي».

وقبل أن يتمكن ويلز من قول أي كلمة أخرى، كانت قد استدارت وأسرعت عائدةً إلى وسط المخيم. شعر ويلز بعدم ارتياح. شيء ما كان مريبًا. نظر إلى داخل البرميل، لكن كل ما رآه كان مياهًا صافية ونقية، تصل إلى نصف البرميل تقريبًا. صفع ويلز جانبَي البرميل بكفيه في إحباط، وقرر أنه بحاجة لإخبار رودس بما رآه للتو. فإن التأكد من أن الماء آمن للشرب لهو أهم من الصراعات الغبية على السلطة. لم يكن من الصعب اقتفاء أثر نائب المستشار. كان عليه فقط العثور على مجموعة الحراس التي تحتشد حوله، في انتظار الأوامر. وبعد قول «عذرًا» لمرة واحدة أو اثنتين، كان قد شق طريقه إلى مقدمة الحشد وأصبح واقفًا خلف رودس، الذي كان يتحدث إلى الضابط بورنِت، الرجل الثاني في القيادة.

قال ويلز بنبرة شديدة الاحترام، نبرة ضابط مُدَرَّب جيدًا: «سيدي؟».

استدار رودس ونظر إلى ويلز من رأسه إلى أخمص قدميه. لقد بدا مدهوشًا لرؤية ويلز مرة أخرى.

- نعم أيها الضابط جاها؟ كيف يمكنني مساعدتك؟

شعر ويلز بوقْع نظرات الحراس عليه.

- لقد شهدت شيئًا أعتقد أنك يجب أن تعرفه يا سيدي.

- فعلًا؟

- أجل. لقد رأيت فتاة تُدعى كيندال تلقي بشيء ما في أحد براميل المطر. أعتقد أنها كانت تضع شيئًا في خزان مياهنا.

سأل رودس في برود: «وما الذي تعتقد أن هذه الفتاة المدعوة كيندال كانت تضعه في خزان المياه؟».

- لا أعرف يا سيدي. ثمة شيء ما بشأنها مثير للريبة. إنها تبدو... غريبة نوعًا ما.

ضحك رودس ضحكة مكتومة وقال: «غريبة؟».

فأومأ ويلز برأسه.

نظر رودس لبورنِت، ثم عاد ينظر إلى ويلز مرة أخرى قائلًا: «حسنًا يا جاها. شكرًا للفت انتباهي إلى تلك المسألة المهمة. سأتأكد من جعل رجالي يتحرون أمر أي شخص قد يبدو «غريبًا» نوعًا ما. لا يمكننا السكوت على ذلك».

ضحك الحراس من حوله. وشعر ويلز بوجنتيه تشتعلان. قال ويلز بحزم: «هذه ليست مزحة. إنها كانت تدبر لشيء ما. أنا فقط لا أعتقد أنها بريئة مثلما تبدو».

ثبَّت رودس ويلز بنظرة باردة، ثم قال: «أُدرِكُ أن وقتك القصير كونك قائدًا هنا على الأرض كان مرضيًا جدًّا بالنسبة إليك. وذات يوم، إن تمكنت من احتواء يأسك وتهورك، لربما تعود قائدًا مرة أخرى. ولكن في الوقت الحالي أجد أنه من المخجل أن تختلق اتهامات ضد فتاة بريئة ببساطة لأنك ترغب في الشعور بالأهمية».

اختفى أي شعور بالحرج قد راود ويلز في لمح البصر، وحل مكانه شعور بالاشمئزاز الخالص. لم يكن هو مَن يحوك الألعاب هنا ولم يكن هو مَن ترك هوسه بالسلطة يتملَّكه. كان رودس يعرض حياتهم جميعًا للخطر لأنه... ماذا؟ مُهَدَّد من قِبل فتاة مراهقة؟ لم يكن ليرضى رودس بالسماح له بأن يراه محبَطًا. وعلى الرغم من صعوبة الأمر، لقد تجاهل اتهامات رودس وركز على إعطائه دليلًا ملموسًا لكي يضطر إلى اتخاذ إجراء ما، بغض النظر عن أي ضغينة شخصية كان يحملها تجاه رودس.

- سيدي. قبل وصولك إلى هنا، قُتِلَ اثنان من أعضاء مجموعتنا.

فقال رودس وهو يلوح لويلز بيده في استخفاف: «أجل، لقد سمعت عن تلكما الحادثتين المؤسفتين. ولكنني أفهم أنكم لم تكونوا محميين بالشكل الملائم. لقد أنشأنا محيطًا أمنيًّا سيمنع حدوث ذلك مرة أخرى».

- لا أعرف كيف من شأن محيط أمني أن يمنع سهمًا من إصابة شخص ما في رقبته يا سيدي. ولا أعرف كيف من شأن هذا المحيط أن يساعدنا إذا كان أحد منهم قد تسلل بالفعل إلى معسكرنا. لقد كانت صديقتي بريا معلقة على شجرة مثل حيوان! لم نستطع أن نفهم كيف يمكن لشخص ما أن يتسلل إلى المخيم ويبقى لفترة كافية لفعل ذلك بها من دون أن يلاحظ أحد وجود شخص غريب بيننا. ولكن أعتقد أنني قد اكتشفت الأمر. أظن أن الجاني كان بالفعل هنا، وليس دخيلًا على الإطلاق. أعتقد أنها كانت كيندال.

نظر رودس إلى ويلز كما لو كان قطعة قمامة عالقة في حذائه: «هذا يكفي. عد إليَّ عندما تكون مستعدًّا للمساعدة. ليس لدي وقت للاستماع إلى أوهامك ونظريات المؤامرة الخاصة بك. لدي مسؤوليات عليَّ أداؤها وأناس أحتاج لإطعامهم. إذا كان بإمكانك إخبارنا أين نجد إمدادات غذائية وفيرة، فسيسعدني حينها الاستماع إليك. أما الآن فاذهب!».

ودون أي كلمة، ابتعد ويلز مسرعًا. وبينما كان ينعطف حول زاوية أقرب كوخ، ارتطم بشخص ما. قال: «آسف».

ثم رفع نظره ليرى أمامه وجهًا مألوفًا. كيندال. لقد كانت تقف هناك وسمعت كل ما قاله لرودس. استعد ويلز للدخول في شجار أو شيء من هذا القبيل. ولكن بدلًا من ذلك، كان كل ما فعلته كيندال هو أن ابتسمت له ابتسامة غريبة وغير مفهومة قبل أن تستدير وتتوجه إلى الغابة. راقبها ويلز والأشجار تبتلعها، وقلبه ينتفض في صدره... بطريقة ما عَلِم في داخله أنها لن تعود.

الفصل الثاني عشر

كلارك

لم تكن لدى كلارك الجرأة لإخبار ويلز بكل التفاصيل المتعلقة بإنقاذ بيلامي. كانت بحاجة إلى مساعدته، ولكن كان هناك حد لما يحتاج حبيبك السابق لمعرفته. خاصة حين تكون الخطة في الأساس تتكون من خطوة واحدة وخطيرة: أن تدلل حارسًا مخبولًا وعدائيًّا. ناهيك بأن الحبيب السابق ذو طبع عصبي وأحيانًا ما يلعب دور الواعظ الأخلاقي، فضلًا عن كونه القائد الفعلي للمخيم.

سأل ويلز وهو يحدق إليها بنظرة قد أوضحت بشكل كبير أنه يعلم بأنها لم تكن تخبره بكل شيء: «إذن ما الذي تريدين أن أفعله بالضبط؟».

- يجب على شخصٍ ما أن يختلق إلهاءً حتى أتمكن أنا وبيلامي من الخروج من المخيم دون أن يلاحظ أحد.

- يمكنني بالتأكيد خلق مصدر إلهاء. ولكن كيف تخططين بالضبط لتجاوز الحراس؟

- لدي خطة. ألا تثق بي؟

تنهد ويلز ومرَّر أصابعه في شعره. ثم أجابها قائلًا: «بالطبع أثق بكِ يا كلارك، لكن ما لا أفهمه هو لماذا لا تثقين أنتِ بي؟ لماذا لا تخبرينني بما يجري؟ أعلم أنه حبيبك، ولكنه أخي أيضًا».

بدت الكلمة غريبة وهي نابعة من شفتَي ويلز، ولكنها مع ذلك قد لامست أعماق قلب كلارك.

- أعرفُ يا ويلز. ولهذا السبب أحتاجك لتصدقني. كلما قلَّ ما تعرفه، ستكون فرصة نجاح ذلك أفضل.

هز ويلز رأسه، ثم ابتسم لها ابتسامة ساخرة: «إن بإمكانكِ إقناعي بفعل أي شيء تقريبًا. أنتِ تعلمين ذلك، صحيح؟».

فابتسمت كلارك قائلة: «عظيم. لأنه لدي معروف واحد آخر لأطلبه منك».

- أي شيء تريدينه، يا آنسة جريفين؟

- بمجرد أن نخرج من هنا، سنحتاج إلى مكان نذهب إليه. أتعتقد أن ساشا ستطلب من الأرضيين أن يستقبلونا... في الوقت الراهن على الأقل؟

قال ويلز: «سأتحدث معها».

كان هو وساشا قد اتفقا على اللقاء في الغابة ظهيرة كل يوم، كتدبير مؤقت حتى يصبح من الآمن لها زيارة المخيم مجددًا.

- متأكدٌ من أنها ستفعل ذلك.

- أشكرك.

راجعت قائمة التحقق في ذهنها مجددًا. جميع عناصر خطتها تقريبًا في مكانها الصحيح. كان أسفها الوحيد هو أن مغادرة المخيم تعني ترك الطبيب لاهيري وراءها. لم تتح لها فرصة لإنهاء محادثتهما، وكانت تعلم أن ثمة شيئًا ما لم يخبرها به عن والديها.

سأل ويلز، وقد بدا وكأنه قرأ القلق البادي على وجهها: «ما الأمر يا كلارك؟ ماذا دهاكِ؟».

دائمًا ما كان قادرًا على معرفة ما تفكر فيه، إنها لمهارة قد منحت علاقتهما بداية ساحرة للغاية، ونهاية تنفطر لها القلوب.

أخبرته بكيف بدا الطبيب لاهيري عندما سألته عن والديها وكيف لم تتح لها الفرصة لإنهاء المحادثة. وضع ويلز يده على كتفها وقال: «كلارك، أنا آسف».

- على ماذا؟

- على كل شيء. لكوني ساذجًا. لعدم إدراكي لمدى قبح رودس. لقد اعتقدت حقًّا أن ما سيفعلونه هو الصواب. يبدو هذا في غاية الغباء الآن.

أرادت كلارك أن تأخذ ويلز بين ذراعيها وتعانقه... بدافع الامتنان والتقدير والتعاطف. لكن هذا لم يعد مكانها.

- لا تعتذر أبدًا عن محاولتك رؤية الخير في الناس يا ويلز. تلك سمة مذهلة.

أبعد نظره عنها وتنحنح، ثم قال: «إن بيلامي أخي. وسأفعل أي شيء للمساعدة».

ثم أعاد نظره محدقًا إلى كلارك، وعيناه تومضان بشرارة لم ترها فيهما من قبل.

- وإذا تطلب الأمر تقويض سلطة رودس في خلال ذلك، حسنًا، فسيكون ذلك كضرب عصفورين بحجر واحد.

***

بعد ساعة، استحمَّت كلارك سريعًا في الجدول المائي، ثم بدلت بملابسها ملابس أقل اتساخًا. ثم انطلقت في مهمتها. أخذت تكرر إلى نفسها قائلةً في محاولة لتهدئة نبضات قلبها المتسارعة: *إنها مجرد تمثيلية. لا شيء سيحدث في واقع الأمر.* هدأها ذلك التكرار، وسرعان ما امتزجت الكلمات في لحن أخذ يتردد في رأسها.

توقفت كلارك. ها هو هناك، متكئًا على كابينة المؤن، وإبهاماه مُعلَّقان في حِزامه، وعلى وجهه ابتسامة متغطرسة. كان يتحدث إلى فتاة آركادية في مثل عمر كلارك، ونفس لون شعرها وهيئتها الجسدية أيضًا. حدَّثت نفسها قائلة: *حسنًا، على الأقل لديه ذوق معين. هذا مقزز.*

أخذت كلارك نفسًا عميقًا لتهدئة نفسها، وراجعت خطتها، متمنيةً للمرة المليون أن تنجح في تنفيذها، وألا تكون على وشك استحضار أحد كوابيسها.

قالت في أثناء توجهها نحو باب كابينة المؤن: «مرحبًا سكوت».

وبدلًا من تجنب التقاء عينيها بعينيه والمرور من أمامه بأسرع ما يمكن، كما تفعل عادةً، أجبرت نفسها على إطالة النظر في وجهه، وناغشته بما كانت تأمل أن تكون ابتسامة مشرقة، رغم أنها كانت في واقع الأمر تكشيرة عن أنيابها.

نظر إليها نظرة سريعة من أعلى لأسفل، ثم أجابها في بطء وتشدق قائلًا: «مرحبًا أيتها الطبيبة».

التفتت الفتاة التي كان يتحدث إليها سكوت لتحملق في كلارك، وعندما كان واضحًا أن انتباه سكوت قد أصبح الآن منصبًّا على شخص آخر، أسرعت بالذهاب في غيظ.

قالت كلارك في بالها: *سأتركه لكِ بالكامل يا حلوة، فقط بمجرد أن أحصل على ما أريده.*

شعرت بتدفق الأدرينالين في عروقها حالما توقفت عند مدخل الكابينة، على بُعد بضع بوصات فقط من سكوت. وتَّرتها حدة التعبير المرتسم على وجهه... لقد بدا مرتابًا. هل بدا أداؤها مبالغًا فيه؟ دعنا نقول إن التدلل والمغازلة لم يكونا من اختصاصها. دائمًا ما كانت أكثر راحة في استخدام المَشارِط والمَجاهِر عن ابتسامات المغازلة والخطوات المتقصِّعة. ارتفعت زاويتا فم سكوت في ابتسامة، وارتفع حاجباه، كما لو كان يسألها سؤالًا صامتًا.

سألها وقد مد يده لفتح الباب لها: «ما الذي أدين به مقابل هذا الشرف؟».

قالت كلارك: «فقط أود البحث عن شيءٍ ما بالداخل هنا. أتمانع في مساعدتي؟».

- بالطبع لا، لا مشكلة على الإطلاق.

تبعها إلى الداخل وسحب الباب خلفه بقوة ليغلقه، بصوتٍ قد رجَّ معدة كلارك، ولكن كان عليها المواصلة. حركت شعرها وأدلته من فوق كتفها واستدارت في مواجهته. قالت: «اسمع، أود أن أعتذر».

بدا عليه الذهول للحظات، ولكنه ابتسم بعد ذلك وقال: «تعتذرين عن ماذا يا حبيبتي؟».

جعل صوته كلارك تقشعر اشمئزازًا، لكنها واصلت: «عن عدم إعطائك الرعاية الطبية اللائقة دائمًا. أنا...»، كانت تلك هي اللحظة، لا يمكنها أن تفسد الأمر الآن. خفضت صوتها وحاولت جعله هامسًا بقدر الإمكان: «ما زلتُ أتوتر قليلًا، في أثناء التعامل مع بعض المرضى».

رفع أحد حاجبيه قائلًا: «فعلًا! أي نوع من المرضى؟».

أجبرت نفسها على وضع يدها على كتفه. وأجابته قائلة: «أولئك الذين يجعلونني أشعر وكأنني طالبة مدرسية مولعة بشخص ما أكثر من كوني طبيبة حقيقية».

جحظت عينا سكوت بطريقة أعطت كلارك إحساسًا جديدًا كليًّا تجاه تلك اللمعة في عينيه. لو لم تكن تلك عينَي سكوت، لشعرت بالإطراء لرؤية شاب ينظر إليها بتلك الطريقة. ثم ما لبثت أن اجتاحها شعور بالذنب إذ أدركت أن بيلامي قد نظر إليها بتلك الطريقة بالفعل.

- حقًّا؟

كان صوته مشوبًا بشيء من عدم التصديق. لكن ذلك لم يمنعه من وضع يده على خصرها.

أومأت كلارك برأسها، متجاهلةً لمسته، على رغم من أن شعورها كان كما لو أنها قد سمحت لعنكبوت بالزحف على جلدها.

- هل تسامحني؟ أعدك بأن أكون أكثر... احترافية مستقبلًا.

وضع سكوت يده الأخرى على خصرها كذلك. لقد تطلب الأمر قدرًا كبيرًا من الإرادة لكيلا تفر هاربة.

- قد تكون الاحترافية شيئًا مبالغًا فيه.

استجمعت شجاعتها، وانحنت لتهمس في أذنه قائلة: «حسنًا، في هذه الحالة، أتود الذهاب في نزهة قصيرة معي؟ هنالك جزء من الغابة كنتُ أتوق لاستكشافه».

شدَّ قبضتيه للحظة، قبل أن يطلق سراحها وعلى وجهه ابتسامة خبيثة، ثم أجاب قائلًا: «بكل تأكيد».

خرجا من الكابينة، وأملت ألا يلاحظ سكوت كيف ارتجفت عندما وضع يده أسفل ظهرها.

- فلتقودي الطريق أيتها الطبيبة.

استدارت كلارك نحو الغابة في الوقت المناسب تمامًا لرؤية أوكتافيا تعبر حافة الغابة، وتمسك بيدَي طفلين صغيرين. ارتعبت كلارك لرؤيتها أخت بيلامي تحدق إليها مباشرةً، بنظرة تتقد بالكراهية الخالصة. لم تكن أوكتافيا على علم بخطة كلارك لاستغلال سكوت. على الأرجح أنها اعتقدت أن المشهد كان تمامًا كما بدا بالنسبة إليها: كلارك تخون بيلامي مع أحد الحراس.

نظرت كلارك في عينَي أوكتافيا، وتمنت لو أنهما كانتا لا تزالان تمتلكان شرائح القرنية وأن بإمكانها أن ترسل للفتاة رسالة. ولكن الطريقة الوحيدة للتواصل معها على الأرض هي التحدث إليها، وهذا لن ينجح أبدًا. لقد ابتلع سكوت الطُّعم، ولا يمكنها أن تكسر الزخم الآن. لم تكن تريد أن تفعل أي شيء قد يثير شكوكه. لن يكون التحدث إلى أوكتافيا إلا مخاطرة كبيرة. كل ما كان في وسع كلارك فعله هو أن تأمل في ألا تذهب أوكتافيا إلى بيلامي قبل أن تفعل هي. فلو أخبرته أوكتافيا بما رأته، لن يغادر بيلامي المخيم مع كلارك الليلة أبدًا. استدارت أوكتافيا عائدة نحو حفرة النيران.

راقبت كلارك أوكتافيا وهي تبتعد، ثم أخذت نفسًا عميقًا والتفتت إلى سكوت مرة أخرى. حدَّقت إلى عينيه للحظة لإضفاء مزيدٍ من التأثير، وتركت يدها تلمس يده، وقالت بصوت مبحوح: «اتبعني»، وأشارت برأسها نحو الغابة.

اتسعت عينا سكوت، ثم همس في أذنها قائلًا: «أنا خلفكِ مباشرةً».

شعرت بأنفاسه ساخنة ورطبة على وجهها. قمعت كلارك رغبتها في التقيؤ وذكَّرت نفسها أن بيلامي سيموت إذا لم تفعل ذلك. أمسكت بيد سكوت وشدته نحو الأشجار. انغمسا داخل الغابة المظلمة، حتى إن الفروع كانت تلامس أكتافهما. لقد قادت سكوت إلى منطقة كثيفة بشكل خاص من الغابة، حيث نمت الأوراق بشكل متشابك. كانا سيتمكنان من سماع أي شخص يقترب قبل أن يستطيع رؤيتهما. استدارت لمواجهة سكوت، الذي ارتطم بها من فرط

حماسه. ضغط بصدره على صدرها وأحاط كتفيها بذراعيه. لم يكن يضيع أي وقت. حاولت كلارك تركيز أفكارها على بيلامي. كان كل هذا لأجله. لأجلهما.

- هل أنت في عجلة من أمرك؟

تمكنت كلارك من قول ذلك قبل أن يطبع قبلة قوية وحارة على شفتيها. أدارت وجهها في الاتجاه المعاكس، فزلقت شفتاه على خدها.

قال سكوت وهو يمسك وجهها بكلتا يديه ليعيده إلى الأمام مرة أخرى: «كنتُ أرغب في فعل ذلك منذ وقت طويل».

فقالت كلارك وقد رفعت يدها في الهواء ثم أنزلتها بقوة على رقبته، وغرست الحُقنة في جلده مُصدرةً طَقَّة خافتة: «وأنا أيضًا كنت أرغب في ذلك منذ وقت طويل».

ضغطت بإبهامها بقوة على المكبس، جرعة ضخمة من المهدئ في مجرى دمه مباشرةً. لجزءٍ من الثانية، امتلأت عينا سكوت بالارتباك والشعور بالخيانة. ثم خارت قبضتاه وانزلق مرتطمًا بالأرض.

مسحت كلارك خدها الملطخ باللعاب بكُمَّيها وواصلت العمل. جثت على ركبتيها وبدأت تفتش في ارتباك زِيَّ سكوت وحزام الأدوات الخاص به. كانت يداها ترتجفان، لكنها تمكنت أخيرًا من إحكام قبضتها على حلقة مفاتيحه الثقيلة والمعدن الأملس البارد لمسدسه. ودون النظر إلى الوراء كثيرًا، اندفعت عائدةً عبر الغابة في نشوة وحماس، تاركةً إياه فاقدًا للوعي على الأرض. أرادت كلارك أن تكون بعيدة جدًّا عنه عندما يستفيق.

أخرجت سكوت من عقلها وعادت إلى ساحة المخيم، تفحصت المكان بعينيها، للتحقق من وجود الحراس وبحثًا عن ويلز. لقد كان في المكان المتفق عليه. أغمضت كلارك عينيها وأصاخت السمع -أجل- استطاعت سماع صافرة خافتة آتية من الغابة، كانت تلك إشارتهما من ساشا. لقد فهمت الرسالة. أهَّبَت كلارك نفسها. لقد حان وقت الرحيل.

الفصل الثالث عشر

بيلامي

كان الألم شديدًا ومتواصلًا، ليس كأي شيء قد شعر به من قبل. كان أسوأ بكثير من المرة التي سقط فيها على الدرج في أثناء شجار وانكسرت عظمة ترقوته. كان هذا ألمًا عميقًا، ونابضًا، كما لو كانت عظامه تحترق من الداخل. اتكأ بيلامي على حائط معدني بارد.. حائط لا بد أنه قد بُنِيَ في أثناء ما كان فاقدًا للوعي، لأنه كان متأكدًا تمامًا أنه لم يكن موجودًا عندما أُطلِقَ عليه الرصاص. قرقرت معدته بصوتٍ عالٍ، رغم أن مجرد التفكير في ابتلاع أي شيء قد أضاف طبقة من الغثيان فوق موجات الألم. لم يستطع تذكر آخر مرة أكل فيها، كانت لديه ذكرى مشوشة لكلارك وهي تشجعه لتناول بضع جرعات من معجون البروتين ولكن لم تكن لديه أي فكرة منذ متى كان ذلك.

أغمض عينيه بشدة وحاول تشتيت نفسه عن طريق إعادة لحظاته المفضلة مع كلارك مرارًا وتكرارًا داخل عقله. أول مرة قبّلَته، عندما تخلت عن شخصية الطبيبة الجادة المتحفظة كما لو كانت تتخلى عن سُترة مُقيِّدة وألقت بذراعيها حوله لتعانقه في الغابة. والليلة التي ذهبا فيها للسباحة في البحيرة وشعر وكأن الكوكب بأكمله كان مِلكه هو وتلك الفتاة المشرقة ذات الشرارة الصبيانية اللعوب في عينيها. حتى إنه استذكر الأيام القليلة الماضية في كابينة المشفى، وشعوره بأن الألم يسكن في كل مرة قد لامست فيها خده، أو أتبعت قبلة رقيقة على جبينه بقبلة أخرى على رقبته بطريقة لا شك في أنها غير مهنية أبدًا من طبيبة. اللعنة، لقد بدا تلقيه لتلك الرصاصة في كتفه

ثمنًا عادلًا مقابل واحدٍ فقط من حمامات الإسفنج خاصتها الماتعة إلى حد مدهش.

نجح الأمر للحظة، لكن الألم عاد لا محالة بضراوة متجددة. بدأ يرفع يده لضبط الضمادة وأدرك أن معصميه كانا مربوطَين معًا ومعلقَين في الحائط من خلفه. تأوَّه وهو يستدير ليتحقق من الأمر، كانت كتفه ترتجف احتجاجًا على الحركة، لكن الألم لم يكن كافيًا ليطغى على فضوله. لم يكن قد رأى شيئًا كهذين الصفدَين من قبل. كانا خفيفَي الوزن، ومصنوعَين من سلك معدني رفيع بدا أشبه بالخيط مع قفل صغير يربطهما معًا. حاول أن يفصل يديه عن بعضهما بعضًا، لكن السلك كان قويًّا جدًّا ويحفر في جلده. وكلما شدَّ، شعر بأن السلك كان يضيق أكثر فأكثر، وشاهد معصميه في دهشة وهما يرتطمان ببعضهما بعضًا. كان المعدن يتفاعل مع حركاته. بقي ثابتًا تمامًا، وببطء، بدأ السلك يتوسع قليلًا، حتى أصبح قادرًا على تحريك يديه مرة أخرى.

شعر بحُرقة في كتفه، فرفع ظهره على الحائط، في محاولة لإيجاد وضع مريح. أخذ يتأوه ويتذمر مع كل حركة، حتى استقر وأحنى رأسه إلى الوراء. كان مُنهَكًا، لكن الألم جعل النوم مستحيلًا لأكثر من بضع دقائق في كل مرة.

تسللت أشعة رفيعة من ضوء الشمس من خلال الشقوق بين الصفائح المعدنية التي تشكل حائط الكابينة وسقفها. درس زاوية الضوء وأصغى بانتباه إلى الأصوات بالخارج، محاولًا معرفة أين يقع مكان السجن. أخبره صوت الفأس البعيد الذي يضرب في الحطب أنه كان على بُعد مسافة جيدة من كومة الحطب. سمع مجموعة من الفتيان يسيرون على الجانب الآخر من الحائط مباشرة، يتحدثون عن فتاة والدنية. وبجانب أصواتهم، سمع تدفقًا للماء، مما يعني أنه كان بالقرب من المسار الذي اعتاد الناس أن يسلكوه للوصول إلى الجدول المائي. جهد بيلامي للتعرف على كل صوت يمكنه سماعه. سمع أحطابًا تتبعثر، وحفيف بطانيات وأقمشة وكأن شخصًا ما كان ينفضها، وها هي نبرة حارس آمرة وهو يصحح لأحدهم طريقة الطي. لكن لم يكن ثمة سوى صوت واحد أراد بيلامي سماعه، وحبس أنفاسه، وتراكم الإحباط في صدره. صوت أوكتافيا. لقد أراد -احتاج- سماع صوت أخته. سيكون قادرًا على معرفة ما إذا كانت سعيدة أم خائفة، في خطر أم بأمان.

بيد أنه لم يتعرف على أيٍّ من الأصوات التي ترفرف عبر ساحة المخيم. لقد اجتاح الوافدون الجدد المكان.

لم يعد حتى لدى بيلامي القوة ليغضب بعد الآن. لم يكن يهمه سوى أوكتافيا، وكلارك، لولاهما، ما كان ليهتم ما إن عاش أو مات، ما إن أُعدِم أو أُطلِقَ سراحه ليعيش وحيدًا في الغابة. ولكن ماذا سيحدث لأخته لو قُتِل؟ من الذي سيعتني بها بعد رحيله؟ لقد شكَّل المئة مجتمعًا بالفعل، ولكن الآن بعد أن أصبح رودس وكل الآخرين هنا، قد أُلغيت جميع الرهانات. لم يكن واثقًا من أن أي أحد سيعتني بأخته الصغيرة بينما هم جميعًا مشغولون بالبحث عن مصالحهم. تمامًا كما كانوا على السفينة.

سقط بيلامي على جانبه عند سماع ضربة قوية خارج الحائط الجانبي للكابينة.. مما سبَّب له ألمًا حادًّا في الجزء العلوي من جسده. صاح قائلًا: «رباه!».

ثم سمع شجارًا، متبوعًا بأصوات عالية. ارتفع صوت واحد مألوف فوق أصوات البقية: لقد كان ويلز. قال ويلز بنبرة لم يسمعها بيلامي من قبل، نبرة منخفضة ومُهدِّدة: «ضع الأصفاد. ضعها الآن! ولا تصدر صوتًا. إذا فتحت فمك فسأطلق النار عليك».

ورغم أن ذلك كان يتعارض مع كل ما يعرفه بيلامي عن أخيه غير الشقيق، بدا الأمر وكأنه كان يعني ما قاله. قال بيلامي في قرارة نفسه: *اللعنة، يبدو أن المستشار الصغير بدأ يتحول إلى نسخة مصغرة من نائب المستشار.*

ساد الصمت، على الأرجح، قد امتثل الحارس لأمر ويلز. وبعد بضع ثوانٍ، اندفع شخصان من باب الكابينة -ويلز بوجهه الجامد وعينيه المتقدتين بالتحدي والإصرار، وكلارك محمرة الوجه لاهثة- وهرعا إليه، بينما كان رأس بيلامي يسبح بين الارتباك والارتياح. هل كانا بالفعل هنا لإنقاذه؟ كيف بحق الجحيم تمكنا من فعل ذلك؟

امتلأ رأس بيلامي بشعور لم يعرفه من قبل؛ الامتنان. لم يقدم أي شخص على فعل شيء بهذه الخطورة من أجله من قبل، لم يعتقد أحد قط أنه يستحق هذا النوع من المخاطرة. لقد أمضى حياته كلها يفعل تصرفات متهورة من أجل حماية أوكتافيا، لكن أحدًا لم يفعل أي شيء أكثر من أن يحول له حصة

من حصص الإعاشة أو التسلل في وقت حظر التجول للاطمئنان عليه في المرات القليلة التي مرض فيها.

ومع ذلك، ها هما هنا، الفتاة التي لم يكن يجرؤ قط على أن يحلم بها على متن السفينة، والأخ الذي لم يكن يعلم بوجوده مطلقًا، يضعان حياتهما على المحك من أجله. جثت كلارك على ركبتيها بجانبه. وقالت بصوت مرتجف وهي تمرر يدها على خده: «بيلامي. هل أنت بخير؟».

لم تبدُ قط خائفة، وهشَّة إلى هذه الدرجة من قبل. ومع ذلك، لم يكن هناك أي ضعف بشأن فتاة بإمكانها مواجهة ساحة ملأى بالحراس المسلحين.

أومأ بيلامي برأسه، ثم جفل عندما شد ويلز الأصفاد المُعلقة في الوتد المثبَّت على الحائط. سأل بيلامي بصوت أجش: «كيف ستنتزعان تلك الأصفاد؟».

بإمكان الحارس الموجود بالخارج تنبيه الآخرين في أي لحظة. إذا لم يخرجوا من هنا بسرعة، فلن يعيش أيٌّ منهم ليرى غروبًا واحدًا آخر.

قال ويلز: «لا تقلق. لديها المفتاح».

مدت كلارك يدها إلى جيبها وأخرجت مفتاحًا رفيعًا، مصنوعًا من نفس معدن الأصفاد المرن. دُهِش بيلامي وقال: «كيف بحق الجحيم استطعتما... أتعرفان ماذا؟ انسيا الأمر. لا أريد أن أعرف. فقط انزعاها عني».

أخذ ويلز المفتاح من كلارك وبدأ يحاول فتح القيود بينما عادت كلارك إلى دور الطبيبة وفحصت كتفه سريعًا، وأخذت تتمتم إلى نفسها وهي تزيل الضمادة الملطخة بالدم. لم يستطع بيلامي أن يرفع عينيه عنها. تجعَّد جبينها في تركيز، وغشت وجهها لمعة رقيقة من العرق، لكنها لم تكن قط أجمل مما بدت عليه في هذه اللحظة.

قال ويلز وقد فتح الأصفاد: «لقد فعلتُها. هيا بنا».

مد يده لأسفل، ولف ذراعه خلف بيلامي وسحبه ليقف على قدميه. وانزلقت كلارك تحت ذراع بيلامي الأخرى، وساعدته على المشي بسرعة للخروج من الكابينة. وعند وصولهم إلى الباب، رفعت كلارك يدها وأشارت لهما بأن ينتظرا ريثما تستمع إلى الأصوات بالخارج. في البداية، لم يكن

بيلامي متأكدًا مما كانوا ينتظرونه، ولكنه ما لبث أن سمعه بنفسه. صوت انفجار عنيف وسلسلة من النداءات تردد صداها من الجانب البعيد من ساحة المخيم، متبوعة بصيحات تقول: «نحن نتعرض للهجوم!»، و«أيها الحراس.. خذوا أماكنكم!».

سمعوا اندفاع خطى أقدام ثقيلة تعبر من أمام الكابينة، متجهة نحو تلك الجلبة.

التفتت كلارك إلى ويلز وابتسمت قائلة: «لقد فعلَتها! أحسنتِ يا ساشا!».

سأل بيلامي وقد مال على ويلز أكثر قليلًا، فهو لم يمشِ منذ أيام، وشعر بأن عضلاته أصبحت كالهلام: «ما الذي فعلَته؟».

- لقد دَبَّرَت شيئًا ما وسط الأشجار لجعل الأمر يبدو كما لو أن أبناء الأرض قد شنوا هجومًا على المخيم. لو سارت الأمور وفقًا للخطة، سيكون رودس قد أرسل كل الحراس إلى الغابة، وسنصبح قادرين على التسلل إلى الجانب الآخر.

فقال بيلامي بابتسامة واهية: «إن فتاتك لا يُستهان بها أبدًا. هل ستكون بخير؟».

- ستكون على ما يرام. لقد ابتعدت لمسافة كافية في الغابة بحيث لن يتمكنوا من الوصول إليها في وقت قريب.

أصغت كلارك بأذنها إلى الباب للحظة أخرى، ثم لوَّحت لهما بسرعة قائلة: «لنتحرك».

تسللوا عبر الباب. كان المكان خاليًا... فجميع من في المخيم كانوا إما ينظرون نحو مصدر الصوت وإما يتسابقون نحوه على الجانب الآخر. هرع كلٌّ من بيلامي وكلارك وويلز إلى خلف الكابينة، وقبل أن يتمكن أي أحد من ملاحظة وجودهم كانوا قد رحلوا، اختفوا في دِثار الغابة.

الفصل الرابع عشر

ويلز

اختفى من الغابة كل صوت عدا الشهيق الحاد وسحق الأغصان والأوراق الجافة تحت أقدامهم. ركض ويلز، وبيلامي، وكلارك حتى آلمتهم جوانب بطونهم، ثم تباطؤوا أخيرًا وبدؤوا في السير. التفت ويلز إلى الوراء لإلقاء نظرة على بيلامي، الذي كانت معاناته من ألم كتفه واضحة، رغم أنه رفض الشكوى، والذي بدا قلقه بشأن أوكتافيا أكبر كثيرًا من قلقه بشأن إصابته.

سأل بيلامي بينما كان يسمح لكلارك بمساعدته على تخطي جذع مغطى بالطحالب يسد الطريق: «أمتأكدان من أنها لن تعتقد بأنني قد تخليت عنها؟».

قال ويلز وقد بدا سعيدًا لأنه استطاع أن يطمئنه على الأقل بخصوص هذا الشأن: «بالتأكيد. لقد أخبرناها بالخطة، ووافقت على أنه من الأفضل أن يبقى أحد في المخيم لمراقبة رودس لفترة».

وأضافت كلارك: «كانت ستأتي لولا الأطفال. إنها الوحيدة التي تعتني بهم. إنه لأمر رائع حقًّا، ما فعلَته».

رأى ويلز الفخر وهو يطارد الخوف لحظيًّا في وجه بيلامي.

- لطالما كنت أعلم أن لديها قلبًا حنونًا وشجاعًا.

سألت كلارك وهي تجول بنظراتها بين الأشجار في توتر: «أين قالت ساشا إنها ستقابلنا؟».

فقال ويلز: «سوف تجدنا».

سمعوا حفيفًا من شجرة أمامهم، وبعد لحظة، سقط شخص من بين فروعها، واقفًا على قدميه في صمت.

قال ويلز بابتسامة بينما كانت ساشا تقترب منهم: «حسنًا، هذا مخيف نوعًا ما».

لم يكن قد اعتاد بعد كيفية تمكن ساشا من الاندماج مع محيطها. كان الأمر كما لو أنها قد غيرت لونها، مثل السحالي التي قد قرأ عنها عندما كان طفلًا. لكنها لم تغير لونها، بالطبع... لقد كان شيئًا في طريقة تنفسها، وسكونها. لقد أصبحت ببساطة جزءًا من الغابة. سحبها بين ذراعيه، ودفن وجهه في شعرها الأسود الطويل الذي دائمًا ما تفوح منه رائحة المطر وأشجار الأرز. قال وهو يرفع ذقنها بيده ليقبِّلها: «شكرًا على مساعدتك، كان ذلك مدهشًا».

فسألت ساشا وهي تبتعد عن ويلز وتلتفت إلى كلارك وبيلامي: «هل يعني أنها نجحت؟».

قال ويلز: «لقد نجحت على أكمل وجه».

سأل بيلامي بوجهٍ شاحب وقد بدا متألمًا: «إذن ما هي الخطة الآن؟».

فأجابت ساشا قائلة: «سآخذكم معي إلى جبل العاصفة. يمكنكم البقاء هناك للمدة التي تحتاجونها».

سأل بيلامي وهو يبدل نظراته من كلارك إلى ساشا في قلق: «ألن يمانعوا؟».

هزت ساشا رأسها وأكدت له قائلة: «ما دمتم معي، سيكون الأمر على ما يرام».

فقال ويلز بصوت متوتر: «ليس علينا أن نطيل الوقوف هنا. فبمجرد أن يدركوا أنك مفقود، سيأتون وراءنا».

سألت كلارك برفق: «بيل، هل أنت بخير لمواصلة التحرك؟».

أجاب -رغم أنه لم يستطع وضع عينيه في عينَي كلارك- قائلًا: «أنا بخير».

وبدؤوا يتبعون ساشا وهي تندفع بسرعة وبهدوء، عبر الغابة المظلمة. سألت ساشا عندما أصبحا متقدمَين ببضعة أمتار عن كلارك وبيلامي: «إذن، أأنت بخير؟».

ففي خضم الاستعجال لتحرير بيلامي، بالكاد كان لديه هو وساشا الوقت للحديث عن أي شيء غير الخطوات اللوجستية الفعلية.

- لا أعرف.

كانت تلك هي الحقيقة. فقد حدث كل شيء بسرعة كبيرة، لدرجة أنه لم يكن لديه الوقت لاستيعاب الآثار المترتبة على عصيان رودس، ومغادرة المخيم. من المؤكد أن ويلز لم يكن ليقف متفرجًا ويترك رودس يعدم أخاه بدم بارد. ولكنه كان لا يزال من الصعب تفهُّم أنهم قد أُجبروا على ترك موطنهم الجديد وراءهم.. موطنهم، ومجتمعهم، الذي بنوه يدًا بيد، من اللاشيء.

- هذا لن يستمر إلى الأبد. فبمجرد أن يتحسن والدك، سينزل على واحدة من سفن الإنزال الأخرى وسيكون كل شيء على ما يرام.

- كلا، هذا لن يحدث يا ساشا، والدي في غيبوبة، ولا توجد سفن إنزال أخرى ملقاة في الأرجاء هكذا.

كانت نبرته حادة ومُرَّة، ولكنه لا يكترث. لم يكن هذا موقفًا يمكنه فيه الاعتماد على أي شخص لإصلاحه. لقد كان أحمق لوثوقه برودس. كان يجب عليه أن يسرع في التصرف، قبل أن يخرج كل شيء عن نطاق السيطرة.

كان من الممكن أن تتعرض فتاة أخرى للأذى.. أو الأسوأ، أن تعتذر كما لو أنها قد ارتكبت خطأً. لكن ساشا أمسكت بيد ويلز وضمتها بقوة. إن الأمر مجحف للغاية. كان بيلامي يحاول إنقاذ أخته فحسب. لم يكن هو حتى مَن ضغط على الزناد.. كان أحد حراس رودس الأعزاء هو من فعل. وعلاوةً على ذلك، إن والد ويلز هو من تلقى الطلقة، وإذا لم يعتقد ويلز أن بيلامي عليه أن يدفع ثمن ذلك، فمن يكون رودس ليقول خلاف ذلك؟

ابتسم ويلز بمرارة، فإنه في الواقع، والد بيلامي أيضًا. لو عرف رودس ذلك، فعلى الأرجح أنه سيصاب بجلطة. لم يستطع ويلز إنكار أن ذلك التصور قد جلب إليه بعض المتعة. رفعت ساشا حاجبًا وبدا من الواضح عليها الفضول بشأن ما كان يفكر فيه.

قال ويلز: «كنت أتخيل فحسب، ماذا عساه أن يحدث لو اكتشف رودس أنني أنا وبيلامي أخوان».

ضحكت ساشا قائلة: «على الأرجح سيصاب بنوبة قلبية. في الواقع، ربما تكون هذه هي الخطة الأفضل. سأعود إلى المخيم وأهتف بالخبر، وأنتظر حتى يسقط رودس ميتًا. حُلَّت المشكلة!».

ضغط ويلز على يدها وقال: «عقلك التكتيكي لا يتوقف عن إدهاشي».

واصلوا المشي، ولم يكن ويلز إلا نصف مستمع إلى ما تقوله ساشا وهي تشير إلى معالم جغرافية مختلفة. وعند نقطةٍ ما، بدأت كلارك تُغرِق ساشا بأسئلة حول سلالات الحيوانات المختلفة، لكن ويلز أمكنه القول إنها تفعل ذلك من أجل إلهاء بيلامي أكثر من أي سبب آخر.

مشوا على ما يبدو لساعات. وأخيرًا، أشارت ساشا إلى ارتفاع طفيف في مستوى الأرض، طفيف جدًّا لدرجة أنهم لم يلاحظوا ذلك من تلقاء أنفسهم. قالت: «من هذا الاتجاه».

تبعوها، وشقوا طريقهم بحذر بين الفروع. شعر ويلز بأن الأرض تنحدر من تحته ببطء إلى أسفل، فعدَّل مشيته حتى لا يسقط على وجهه. أخذوا منعطفًا، وحُبِسَت أنفاس ويلز في صدره عندما رأى المشهد الممتد أمام عينيه. عند أسفل التل، في وادٍ واسع، كانت هناك مدينة كاملة، تمامًا كالمدن التي قد أمضى حياته كلها يقرأ عنها. وتمامًا كما كان يتخيل شكل البناء مع المئة على الأرض.

لم ير ويلز قط أي شيء بهذه الروعة منذ وصوله إلى الكوكب... لا الأشجار اللامتناهية التي تمتد إلى الأفق، ولا البحيرة ولا السماء. كانت الطبيعة جميلة بطريقة لم يكن يتخيلها قط، ولكن هذه... هذه هي الحياة! بدت علامات الحيوية والطاقة والنشاط في كل مكان: نوافذ ملأى بالضوء مع ظلال العائلات بالداخل، حيوانات تدب بحوافرها، سروج تصلصل، دخان يتلوى من عشرات المداخن في رقصات متضافرة نحو السماء، عربات نقل يدوية منقلبة على جوانبها، كما لو كانت قد أُسقِطَت منذ لحظات فقط، كرات وألعاب ملقاة على الأرض، وأصداء ضحكات الأطفال تطفو في الهواء من حولها. ضحك ويلز ضحكة اندهاش، فالتفتت إليه كلارك وابتسمت قائلة: «رائع، أليس كذلك؟».

كان سعيدًا لوجودها هنا ومشاركة هذه اللحظة معه. فقد كانت واحدة من القلائل في المجموعة الشمسية الذين يعرفون كم كان يعني هذا بالنسبة إليه.

- هذا مذهل!

أمسكت ساشا بيده وقالت: «هيا بنا».

قادتهم إلى أسفل التل، وساروا عبر الطريق الترابي المؤدي إلى مركز مدينتها. شمَّ ويلز رائحة شيٍّ اللحم ورائحة شيء آخر أخف وأحلى... أكان أحدهم يصنع الخبز؟

سارت ساشا حتى وصلت إلى الباب الأمامي للمنزل الأخير في أحد الصفوف ودخلت دون أن تطرقه. عبروا عتبة الباب ليجدوا أنفسهم داخل غرفة مضاءة بمصباح صغير ولهب مدفأة وامض. كانت أول ما وقعت عليه عينا ويلز هي لوحة زيتية ضخمة معلقة على الحائط لسماء مملوءة بالنجوم. لو كان ثمة شيء كهذا هناك على السفينة، لكان سيُحفظ وراء حاجز من الزجاج المضاد للرصاص، ربما داخل حجرة خالية من الأكسجين، ولكنها هنا مُعَلَّقة بغير تكلف، غير محمية من شرر النار التي تبعد عنها بضعة أمتار قليلة فقط. ومع ذلك، يمكن لويلز القول بأن ضوء النار قد جعلها بطريقةٍ ما تنبض بالحياة أكثر مما كانت ستفعل أضواء الفلورسنت الحادة على متن فينكس، جاعلةً النجوم تبدو وكأنها تتوهج.

رفع ويلز عينيه عن اللوحة ووجَّه انتباهه إلى الرجل أشيب اللحية الذي قد وقف لتوه ليحييهم. كان يقف بجانب طاولة خشبية بسيطة مغطاة بالإلكترونيات، التي لم يتعرف ويلز على معظمها. الشيء الوحيد الذي بدا مألوفًا له إلى حد كبير كان حاسوبًا محمولًا قديمًا قد لُحِم على لوح شمسي ضخم، وليس بدرجة كبيرة من الإتقان.

قالت ساشا وقد تقدمت خطوة لتطبع قبلة على خد أبيها: «مرحبًا أبي. إنك تذكر كلارك وبيلامي، أليس كذلك؟».

فرفع الرجل أحد حاجبيه الكثيفين وأجاب قائلًا: «وكيف عساني أن أنسى؟».

ثم التفت إلى ضيوفه وقال: «مرحبًا بعودتكم».

قال بيلامي بشيء من الخجل: «شكرًا لك. آسف لاستمراري في الظهور بهذا الشكل».

ألقى والد ساشا نظرة على ذراعه الملفوفة بالضمادات وقال: «لسببٍ ما، لا أعتقد أنه خطؤك بالكامل، على الرغم من أنك تبدو صاحب موهبة خاصة في إيجاد المتاعب».

قالت كلارك وهي تمد يدها إلى الأمام: «الموهبة كلمة قليلة. سررت برؤيتك مجددًا يا سيد والجروف».

نظرت ساشا إلى ويلز نظرة مشجعة للحظة وجيزة ثم قدَّمَته قائلة: «أبي، هذا ويلز».

فتقدم ويلز إلى الأمام ومد يده قائلًا: «سررت بلقائك يا سيدي».

صافح والد ساشا يد ويلز بقوة وقال: «وأنا أيضًا سررت بلقائك يا ويلز. نادِني بماكس».

التفت ماكس إلى بيلامي مرة أخرى وقال: «أين أختك؟».

لقد لفظ الكلمة بشكل عادي، من دون أن يلوي شفتيه في ازدراء مثلما كان رودس يفعل. ففي هذا العالم، وجود أشقاء لك لا يجعل من عائلتك أشخاصًا مذنبين.

قال بيلامي لماكس، محاولًا الحفاظ على ثبات صوته وهو ينظر إلى كلارك نظرة أسى: «لم تأتِ معنا».

رافقتهم ساشا للخارج مرة أخرى وأوضحت أنه لا يوجد سوى غرفة احتياطية واحدة في الوقت الحالي، وتحتوي على سرير واحد فقط. فقال ويلز بسرعة إنه يجب على بيلامي أن يأخذها، وساعد كلارك في إعانة بيلامي على السير إلى هناك بينما ركضت ساشا لإحضار بعض اللوازم الطبية لكلارك.

وبمجرد دخول كلارك وبيلامي إلى الداخل بمسافة آمنة، أمسكت ساشا بيد ويلز وشبكت أصابعها بين أصابعه، وقالت: «إذن... إلى أين؟ يمكنك النوم على الأرضية في منزل أبي، أو إن كنت لا تمانع الشعور بالبرد، يمكنني أن آخذك إلى مكاني المفضل».

قال ويلز متظاهرًا بموازنة الخيارات: «هممم... بينما يبدو النوم على بُعد أمتار قليلة من أبيكِ فكرة رائعة، سأضطر إلى اختيار الخيار (ب)».

ابتسمت ساشا وقادت ويلز مرة أخرى عبر شوارع البلدة الصغيرة إلى رقعة صغيرة من الأشجار قد نمت بين الكبائن والتل المؤدي إلى جبل العاصفة.

ابتسمت ساشا وهي تمرر يدها على جذع إحدى الأشجار الكبيرة قائلة: «آمل أن أجده في الظلام».

فسأل ويلز قائلًا: «تجدين ماذا؟».

فأجابت بنبرة انتصار: «هذا».

في خضم هذا الضوء الخافت، بالكاد تمكن من رؤية سلم ما، مصنوع من حبال بالية.

- اتبعني.

وبصمت، تسلقت ساشا الشجرة، واختفت بين الفروع قبل أن تنادي إلى ويلز بالأسفل قائلة: «هيا، أيها الكسول!».

أمسك ويلز بالحبل بتردد. بالكاد بدا قادرًا على تحمُّل وزنه، ولكن كان من المستحيل أن يتراجع أمام ساشا. وبنفس عميق، وضع قدمه على الدرجة الأولى، و.. بعد أن استند على الشجرة لتثبيت نفسه، أخذ خطوة كبيرة. كان يتأرجح من جانبٍ لآخر، لكنه تمكن من متابعة التسلق، وهو يجفل قليلًا، إذ كان الحبل يُجرِّح يديه. ودون النظر إلى أسفل، صعد السلم ليرى ساشا في نهاية المطاف متكئة على منصة خشبية صغيرة مدسوسة بين الفروع.

سألت مبتسمة كما لو كانت قد دعت ويلز للتو إلى واحد من أفخم القصور: «هل أعجبك؟».

بحذر، انزلق عن الحبل وزحف إلى جانبها، ثم ابتسم قائلًا: «أجل، أحببتُه. هل صنعتِه بنفسك؟».

- كنتُ صغيرة جدًّا، لذا فقد ساعدني أبي.

- وهو لن يمانع إذا قضينا الليلة هنا؟

- ويلز، أبي مسؤول عن مجتمعنا بأكمله، إنه مشغول لدرجة أنه لا يملك الوقت ليكترث أين سأنام.

ضحك ويلز قائلًا: «لا يوجد أب مشغول إلى هذا الحد».

- سيكون الأمر على ما يرام. ومع ذلك يمكننا العودة بالتأكيد لو كان ذلك سيجعلك أكثر راحة.

وردًّا على ذلك، لف ويلز ذراعه حول ساشا وضمها إليه قليلًا وقال: «في الواقع، أنا مرتاح جدًّا هنا».

فابتسمت وأعطته قبلة خفيفة وسريعة، ثم قالت: «رائع».

قال ويلز وهو يتكئ على المنصة الخشبية ويسحبها معه إلى أسفل: «لقد اشتقتُ إليكِ في الأيام القليلة الماضية».

قالت بصوت مكتوم إذ كانت بين ذراعيه وصدره: «وأنا أيضًا اشتقت إليك».

- شكرًا لكِ على كل شيء. لم أقصد قط أن أورطك في كل هذا، ناهيك بالتطفل على أهلك.

نهضت ساشا في جلستها ببطء ونظرت إليه وهي تُمَلِّس بيدها على جانب وجهه، ثم بدأت في تمريرها من خلال شعره قائلة: «ليس عليك أن تشكرني يا ويلز. أنا أيضًا أريدكم جميعًا بأمان، تعلمُ ذلك».

- أعلم.

ثم أخذ يدها وطبع عليها قبلة، وأردف قائلًا وهو ينظر حوله: «إذن... هذا يبدو مكانًا لطيفًا للنوم».

- هل أنت متعَب؟

قال وهو يجذبها بيده من أجل قبلة أخرى: «مُنهَك. وأنتِ؟».

- ربما ليس إلى تلك الدرجة.

قبَّلها مرة أخرى، ثم تلاشى العالم بأكمله. لم يعد هناك مستوطنون. ولا أرضيون. ولا رودس. لم يعد هناك سوى ساشا. ساشا فحسب. أنفاسها فحسب. شفتاها فحسب. بدا المخيم فجأة وكأنه على بُعد سنوات ضوئية، مثل بُعد الأرض عند النظر إليها من المستوطنة.

همس ويلز وهو يمرر يده إلى ظهرها: «إنكِ حرفيًّا تقودينني إلى الجنون. تعرفين ذلك، صحيح؟».

- لماذا؟ لأنني أغويتك فوق شجرة؟

- لأنه مهما كان ما يحدث، فإن وجودي معكِ يجعلني في غاية السعادة. إنه لأمر جنوني، كيف تبدلين حالي بهذه السرعة.

ثم مرر يده على خدها وأردف: «إنكِ كالمخدرات».

ابتسمت ساشا وقالت: «أعتقد أنك بحاجة إلى العمل على تغزُّلك يا فتى الفضاء».

- لم أكن قط بارعًا في الغزل. ولكنني أفضل كثيرًا في إظهار ما أعنيه.
- حقًّا؟

شهقت ساشا عندما بدأ ويلز يمرر يده الأخرى على بطنها، ثم أردفت قائلة: «أظن أنني سأضطر إلى أخذ كلمتك على محمل الجد».

فهمس ويلز في أذنها قائلًا: «رائع».

لم تعد الأشياء على الأرض تبدو بهذا السوء الذي كان يخشاه. ما دام كانت لديه ساشا، فسيشعر دائمًا أنه في الديار.

الفصل الخامس عشر

جلاس

نظرت جلاس حولها، وقد شعرت بالذهول والمهابة الحقيقيَين لأول مرة منذ أن وطئت قدماها الأرض. تسرَّب ضوء الشمس من خلال الأشجار، ممطرًا بنقاط ذهبية من الضوء، وكأنها آلاف من الأحجار الكريمة الصغيرة. هكذا يُفترض أن تبدو الأرض... آمنة، وجميلة، وملأى بالعجائب.

أخذ لوك يد جلاس ليساعدها على نزول منحدر حاد. كان ثمة جدول مائي ضيق بالأسفل، مياهه صافية تمامًا، باستثناء عدد قليل من الأوراق الحمراء والصفراء ترقص مع التيار. وعندما وصلا إلى الأسفل، ترددت جلاس، وأخذت تتلفت من جانبٍ إلى آخر بحثًا عن أفضل مكان لعبور الجدول. ولكن بمجرد أن أخذت أول خطوة مترددة نحو الحافة، حملها لوك بذراعه السليمة وعبر الجدول بسهولة وبقفزة واحدة، على الرغم من حقيقة أنهما كانا يحملان أمتعة ثقيلة.

وعلى الحافة الأخرى، أنزلها لوك بعناية وحذر على الأرض، ثم أمسك بيدها مرة أخرى وأكملا طريقهما. في البداية، ظلَّا يتبادلان الأحاديث بشكل مستمر تقريبًا وهما يصيحان ويشيران إلى أشجار متنوعة، وآثار الحيوانات المختلفة. ولكن بعد فترة، سكتا، غارقَين في الجمال من حولهما لدرجة أنهما لم يكونا قادرَين على إيجاد الكلمات المناسبة للتعبير عنه. كانت جلاس تفضل هذا الصمت. لقد أحبت رؤية وجه لوك وهو يضيء في كل مرة تقع فيها عيناه على أعجوبة جديدة. استغرق الأمر بضع ساعات حتى ينخفض معدل ضربات

قلب جلاس بعد هروبهما من المخيم. أخافها الهدوء في بادئ الأمر. ودوى كل انكسار لغصن أو حفيف لأوراق الشجر في أذنيها وجعلها تقفز فزعًا. كانت تعلم أنها ليست إلا مسألة وقت حتى يدرك رودس أنهما قد ذهبا ويرسل فريق بحث لمطاردتهما.

لكن بعد بضع ساعات، تلاشى توترها، وبدأت في تذوق الصمت، وحرية كونها بمفردها تمامًا مع لوك. لم تستطع جلاس تصديق كيف كانا يفكران في البقاء في المخيم. كان الهواء عبِقًا برائحة الأوراق النَديَّة وعبير لحاء الأشجار المِسكي. لقد كان فيضًا من المدخلات الحسية التي لم يسبق لجلاس أن اختبرتها من قبل. لم تكن لتتخيل كم كانت الألوان أكثر زهوًا وإشراقًا على الأرض، وكم كان الهواء أطيب، أو كيف كانت الروائح الغنية تتنافس على جذب انتباهها.

أمضيا طوال الليل في السير ولم يناما إلا لبضع ساعات قليلة قبل الانطلاق مرة أخرى، وكلاهما حرص على إبقاء أكبر مسافة ممكنة بينهما وبين رودس قبل أن يرسل نائب المستشار فريق بحث لتعقبهما. وكل نصف ساعة أو نحو ذلك، كان لوك يتوقف، ويُخرج البوصلة من جيبه. يضعها على الأرض، ويتحقق من أنهما لا يزالان في اتجاههما نحو الشمال. فقد أخبرته ساشا أن الأرضيين المنشقين، أولئك الأشخاص العنيفين، قد استولوا على منطقة شاسعة جنوب مخيم المستوطنين وأعلنوها إقليمًا لهم. لم يكن هذا ضمانًا لتجنب أذاهم بالطبع، ولكن التوجه شمالًا على الأقل لن يقودهما مباشرةً إلى فم الذئب.

نمت الأشجار متقاربة من بعضها بعضًا، مكونةً مظلة سميكة من الأوراق لدرجة أنها حجبت السماء تقريبًا. لكن الضوء الكهرماني المتسرب من بين الفروع وبرودة الهواء المتزايدة أوضحا أن النهار قد أوشك على الانتهاء.

قالت جلاس وقد بدا عليها التعب الشديد: «أعتقد أننا نجحنا. لن يرسلوا أحدًا لملاحقتنا، أليس كذلك؟».

لقد تلاشى الخوف والأدرينالين اللذان منحاها القوة بالأمس وحل محلهما الإرهاق.

فتنهد لوك قائلًا: «لا يبدو الأمر كذلك».

ثم مد يده وأنزل حقيبة جلاس من على كتفها وأردف قائلًا: «دعينا نرتاح قليلًا».

ألقيا بالحقائب وسارا باتجاه شجرة عملاقة، جذعها مغطى بالطحالب، وجذورها الملتوية الضخمة بارزة من الأرض. رفع لوك ذراعيه فوق رأسه وتمدد قبل أن يجلس على الجذر. ثم قال وهو يمسك بيد جلاس ويشدُّها لتجلس على حِجره: «تعالي إلى هنا».

ضحكت وضغطت بيدها على صدره قائلة: «لدينا الكوكب كله، وتريدنا أن نتشارك نفس المقعد».

فقال لوك وهو يلف خصلة من شعرها حول إصبعه: «ليس لدينا الكوكب كله، أيتها الإمبريالية الصغيرة. علينا ترك بعض المساحة للأرضيين».

أومأت كلارك بجديَّة زائفة: «أوه، صحيح. في هذه الحالة، من الأفضل أن نوفر في المساحة».

فقال وهو يلف ذراعيه حول خصرها، ويقلص المسافة الضيقة بينهما إلى آخرها: «خطة رائعة».

قَبَّلَ شفتيها بلطف ثم بدأ في تقبيل ذقنها ورقبتها. فتنهدت تنهيدة صغيرة، وابتسم لوك. قَبَّلَ البقعة الصغيرة حيث تلتقي فكها برقبتها، ورفع رأسه ليهمس في أذنها قائلًا: «إنه لشعور جيد ألا نكون أنانيين، أليس كذلك؟».

فهمست جلاس وهي تُمَسِّد ظهره قائلة: «له منافعه».

بعيدًا عن مزاحهما، لقد كان وجودهما بمفردهما تمامًا شعورًا مذهلًا بحق. فعلى السفينة، كان ثمة آلاف من البشر مكدسون في مكان مصمم في الأساس ليسع مئات فقط. في كل مكان كانت ثمة آذان تنصت، وأعين تراقب، وأجساد تتصارع مع بعضها بعضًا. الناس يعرفون اسمك، وعائلتك، وأفعالك. ولكن هنا، لم يكن هناك أحد يراقبهما. ولا أحد ليحكم عليهما.

قالت جلاس مشيرةً من فوق كتف لوك إلى مجموعة من الزهور الوردية الصغيرة لم تكن قد لاحظتها قبلًا: «أوه، انظر!».

استدار لوك، ومد يده لكي يقطف إحداها. ولكن بمجرد أن كانت أصابعه على وشك أن تنغلق حول عنق الزهرة، تراجع وترك يده تسقط إلى جانبه. قال وهو ينظر إلى جلاس في خجل: «لا يبدو أنه من الصواب قطفها».

ابتسمت وقالت وهي تضع يدها على مؤخرة رأسه وتعيد شفتيها إلى شفتيه: «أوافقك الرأي».

تمتم لوك قائلًا: «خسارة حقًّا. كانت ستبدو جميلة في شعركِ».

- من الأفضل أن تتخيلها فحسب.

قَبَّلها لوك مرة أخرى، ثم حملها ورفعها في الهواء. ضحكت قائلة: «لوك! ماذا تفعل؟».

مشى بضع خطوات، ودون أن ينبس ببنت شفة، أنزلها برفق فوق رقعة الزهور. تسارعت أنفاس جلاس وهي تنظر إلى لوك الراكع بجانبها. اختفى المرح من وجهه، وحل محله شيء أقرب إلى الخشوع. مد يده إلى أسفل ومرر أصابعه بين شعرها، ليسمح لخصلاته بالانتشار فوق الزهور الوردية. خفق قلب جلاس بقوة، لكنها أجبرت نفسها على البقاء ثابتة عندما انحنى لوك ليُقَبِّلها، وقد استخدم يده السليمة لتثبيت نفسه. فتحت شفتيها قليلًا، ولفَّت ذراعيها حوله لتجذبه إليها. أخذت نفسًا عميقًا، متلذذةً بهذه التوليفة المُسكِرة من رائحة الزهور، وهواء الغابة، ولوك!

قال لوك أخيرًا وهو ينظر إلى السماء التي بدأ الظلام يكسوها: «علينا أن نذهب. سنحتاج لإيجاد مكان لنبيت فيه الليلة».

تنهدت جلاس تنهيدة طويلة قانعة، ثم قالت: «ألا يمكننا البقاء هنا للأبد فحسب؟».

- أتمنى. لكننا في الواقع لسنا بأمان هنا في الظلام. علينا إيجاد مكان أكثر حماية.

سارا بطاقة ونشاط متجددَين لبضع ساعات أخرى بينما تحولت السماء فوق رأسيهما من اللون الأرجواني الغامق الضارب إلى الرمادي، إلى لون أسود مخملي، وغني. كان القمر ساطعًا جدًّا، حتى حجب معظم النجوم ورسم ظلالًا جميلة على نحو غريب فوق أرضية الغابة. كان جميلًا جدًّا، لدرجة آلمت

قلب جلاس، إذ كانت كل أعجوبة جديدة تذكرها بمقدار ما يفوت أمها، وكم الأشياء التي لن تستطيع رؤيتها أبدًا.

توقف لوك فجأة ومد يده ليوقفها. وأخذ يحرك رأسه كما لو كان يحاول الاستماع إلى شيءٍ ما، رغم أن جلاس لم تسمع شيئًا. وبعد لحظة، همس لوك قائلًا: «هل ترين هذا؟».

في البداية، كان كل ما يمكنها رؤيته هو الأشجار. ولكنها استطاعت رؤيته بعد ذلك: كان مبنى صغيرًا. هناك مباشرة في وسط الخلاء. سألت وقد توترت فجأةً خوفًا من أن يكونا قد شَرَدا إلى مكان ما لم يكن من المفترض الوجود فيه: «ما هذا؟».

قال لوك: «يبدو وكأنه كابينة».

ثم شد قبضته على يدها وهو يقودها للأمام، ببطء وفي صمت. شَقَّا طريقهما إليه. لم يكن كابينة، بل منزل حجري صغير، بدا مهجورًا تمامًا، وكأن قدمًا لم تطأه قبلًا. كانت جوانبه مغطاة بالكروم والطحالب، ولكن كان من الواضح أن جدرانه متينة وقوية.

توقفا على بُعد أمتار قليلة منه. حفحفت رياح قوية أوراق الأشجار، ثم ساد الصمت. حبس كلٌّ من لوك وجلاس أنفاسهما، في انتظار أي علامة على وجود حياة بداخله، ولكن شيئًا لم يظهر. اقترب لوك من الباب، ووضع أذنه عليه للحظة، ثم دفعه، فانفتح. خطا خطوة للداخل قبل أن يومئ لجلاس لكي تنضم إليه. أخذت نفسًا عميقًا، وعدَّلت وضعية حملها لحقيبتها، ثم عبرت العتبة. بالكاد كان هناك ما يكفي من الضوء المتسرب عبر النوافذ المشروخة المغطاة بالغبار ليتمكنا من رؤية المشهد المُجَمَّد بالداخل.

غمغمت جلاس قائلة: «أوه!».

كانت نصف متفاجئة ونصف آسفة. كان الأمر كما لو أن أيًّا مَن كان يعيش هناك قد خرج للحظة لكنه لم يعد قط. كان ثمة سرير صغير في الزاوية البعيدة. وبجانبه، بضعة صناديق خشبية مكدسة بدت كخزانة. أخذت عينا جلاس تجوبان المكان الصغير، مقابل السرير كان هناك مطبخ بدا حجمه مناسبًا تمامًا لعائلة من الدمى. تدلت أوانٍ ومقالٍ من مسامير في الحائط. ووضِعَت طاولة خشبية غير متوازنة في انتظار جلوس أي شخص بجوار

المدفأة الباردة. رأت حوضًا مثبتًا على حائط بعيد، مع أطباق نظيفة مكدسة على أحد جانبيه. بدا المنزل وحيدًا، كما لو أنه قد انتظر طويلًا عودة أُسرته إليه. ذهبت جلاس إلى الطاولة ومررت يدها على سطحها الخشن، فاكتست كفها بالغبار.

التفتت إلى لوك، وسألته في خوف من أن يكون هذا كله من نسج الخيال، إذ كان أفضل من أن يكون حقيقيًّا: «هل يمكننا البقاء هنا؟».

فأومأ لوك برأسه قائلًا: «أعتقد أنه يجب علينا ذلك. إنه يبدو مهجورًا، ومن المؤكد أنه أكثر أمانًا من البقاء في الخارج».

قالت جلاس وهي تنظر حولها مبتسمة: «رائع».

شعرت بالامتنان لحسن حظهما وللفرصة المتاحة لطرد الشعور بالوحدة الذي كان عالقًا في المكان أكثر من الغبار العالق فيه. أسقطت حقيبتها على الأرض، ثم مدت يدها لتمسك بيد لوك قائلة: «أهلًا بكَ في المنزل».

وقفت على أطراف أصابعها لتطبع قبلة على خده. فطوَّقها بذراعه وابتسم قائلًا: «أهلًا بكِ في المنزل».

عادا للخارج للبحث عن حطب وأي مستلزمات أخرى قد يكون السكان السابقون قد تركوها وراءهم. وجدا سقيفة خشبية صغيرة نصف منهارة خلف المنزل، لكن الأداة الوحيدة التي عثرا عليها كانت مجرفة تالفة وصدئة لدرجة جعلتها غير صالحة للاستعمال. ولكن لحسن الحظ، وجدا عددًا كافيًا من الأغصان الجافة على الأرض، فلم يكونا بحاجة إلى فأس، على الأقل ليس الآن.

جذب انتباههما الصوت الخافت للمياه الجارية عبر الظلام. أمسكت جلاس بيد لوك وسحبته نحو الصوت. المنزل محاط بالأشجار من ثلاث جهات، وثمة منحدر في الخلف يؤدي إلى نهر بالأسفل.

قال لوك مشيرًا إلى كتلة من الخشب المتعرج تَبرُزُ فوق الماء: «انظري، يبدو أنهم قد بنوا شيئًا في النهر. أتساءل لماذا».

شد قبضته على يد جلاس واقتربا قليلًا، في حرص على ألا يتعثرا في الظلام. تباطأ وهو يشير إلى ظلٍّ غريب الشكل، مزيج غريب من الحواف

الحادة والخطوط المنحنية. قالت جلاس وهي تقترب بضع خطوات لتمرر إصبعها عليه: «هذا قارب، أليس كذلك؟».

كان باردًا، كالمعدن تقريبًا ولكنه أخف. لقد كان أبيض ذات يوم، لكن معظم الطلاء قد تَقَشَّرَ، تاركًا لا شيئًا سوى رقع كبيرة من الصدأ. أمعنت النظر بداخله ورأت ما يبدو أنه مجداف جاثِم في القاع.

- أتظن أنه لا يزال يعمل؟

تمشى لوك بضع خطوات بجانبه وأخذ يحدق إليه ثم أجاب قائلًا: «لا يبدو أن به مُحَرِّك، لا يوجد سوى مجداف فحسب. أعتقد بما أنه لا يزال يطفو، فإن هذا يعني أنه سليم».

ثم التفت إلى جلاس وابتسم وأردف قائلًا: «ربما عندما يتحسن معصمي، سنجربه».

- حسنًا، إن معصميَّ يتمتعان بصحة جيدة. إلا إذا كنت تعتقد أنني لستُ أهلًا لهذه المهمة.

وضع لوك ذراعه حول كتفيها وقال: «أنتِ تعلمين أنه لا يوجد شيء، على الإطلاق، أعتقد أنكِ لا تستطيعين فعله يا فتاة السير في الفضاء الشجاعة. لقد فكرت فقط في أنه سيكون من الرومانسي أن آخذكِ في جولة بالقارب».

فمالت جلاس عليه قائلة: «يبدو هذا رائعًا».

وقفا هناك للحظة، يشاهدان ضوء القمر وهو يترقرق فوق الماء، ثم عادا إلى الداخل المنزل. باستخدام أعواد الثقاب التي أخذها من المخيم، أشعل لوك نارًا صغيرة في المدفأة بينما أخرجت جلاس ما بحوزتهما من طعامٍ قليلٍ. إذ لم يشعر أيٌّ منهما بالراحة في أخذ أكثر من حصص بضعة أيام من حصص الإعاشة.

قالت جلاس وهي تعطي لوك قطعة فاكهة مجففة من حقيبتها: «هذا جنونيٌّ. إنه أشبه بالقصص الخيالية. منزل في قلب الغابة!».

أخذ لوك رشفة ماء من قارورته، ثم مررها إلى جلاس وقال: «أتمنى لو أننا نعرف ما حدث للأشخاص الذين عاشوا هنا، هل حاولوا النجاة من الكارثة، أم أنه قد تم إجلاؤهم؟».

ثم نظر حوله وأضاف: «يبدو أنهم قد غادروا وهم في عجلة من أمرهم».

كانت ثمة نبرة حزن في صوته أوضحت أنه كان يفكر في الشيء نفسه الذي تفكر فيه جلاس.

- أجل، وكأن المنزل ظل يحتفظ بذكرياتهم لفترة طويلة بعد رحيلهم.

في أثناء نشأتها على السفينة، بدا التصديق في وجود الأشباح وكأنه أحمق الأشياء في العالم. ولكن هنا، على الأرض، في هذا المنزل، بدأت جلاس تفهم كيف يمكن لشخصٍ ما أن يؤمن بالأثر الذي يبقى عالقًا لأرواح الأشخاص.

قال لوك بابتسامة: «حسنًا، إذن إنها مسؤوليتنا أن نستبدل بها بعض الذكريات السعيدة».

اقترب من جلاس وطوَّقَها بذراعيه.

ثم أغمضت عينيها حين بدأ يُقَبِّلها، بنعومة في البداية، ثم بنهم. ولكن بمقدار ما أرادت نسيان نفسها بين يديه، لم تستطع التخلص من الفكرة المزعجة والمُلحة التي كانت تتشكل في خلفية عقلها. كان لوك مخطئًا. لا يمكن للمرء أن يستبدل بالذكريات الحزينة أخرى سعيدة. تلك هي مشكلة وجع القلب. لا يمكنك محوه. ستظل تحمله معك، دائمًا.

كان إيقاع أنفاس لوك كالتهويدة. رفعت جلاس رأسها ووضعته فوق صدره وهو يستنشق أنفاسه، ويزفرها. لطالما كانت تحسد قدرته على النوم العميق... نوم الأبرياء، كما كانت تطلق عليه والدتها دائمًا. كان رأس جلاس يدور بالكثير من التساؤلات، يدور ويدور لدرجة أنها لم تستطع النوم. تمنت فقط أن تتمكن من الاستمتاع باللحظة، وتذوق سحر الاستلقاء بجانب لوك، لكنها بالكاد استطاعت أن تنظر إليه دون أن تشعر بغصة مفاجئة تضرب قلبها. لا يملكان الكثير من الوقت. فقريبًا، سيتعين على جلاس إنهاء الأمر، قبل أن يكتشف لوك السر الذي من شأنه أن يقتل كليهما.

ترقرقت الدموع في عينَي جلاس، وشعرت بالامتنان لأنه لم يستطع رؤية وجهها. لم يكن يعلم أن مستقبلهما معًا لا يتضمن أي شيء سوى الألم والأسى. أخذت نفسَين عميقَين، وأهَّبَت نفسها.

تمتم لوك بصوت مثقل بالنوم: «أأنتِ بخير يا عزيزتي؟».

همست قائلة: «بخير».

مدَّ ذراعه، ومن دون أن يفتح عينيه، قرَّبَها إليه وقَبَّل قمة رأسها قائلًا: «أحبكِ».

- وأنا أيضًا أحبك.

تمكنت من إجابته قبل أن يختنق صوتها. وبعد لحظات قليلة، استطاعت القول من خلال إيقاع أنفاسه إنه قد غرق في النوم مجددًا. أمسكت بيده، وبرفق وضعتها فوق بطنها، سامحةً لدفئه بالتسرب إلى جلدها. راقبت وجهه النائم. لطالما كان يشبه الصبي الصغير وهو نائم، ورموشه الطويلة تكاد تلامس خديه. ليتها فقط تستطيع أن تخبره عن طفلهما، الذي كان ينمو بداخلها بينما هما مستلقيان هناك.

ولكنه لن يستطيع أن يعرف أبدًا. فبينما كانت جلاس في السابعة عشر من عمرها، ولديها فرصة ولو ضئيلة ليُعفَى عنها بعد انتهاكها لعقيدة الجايا، كان لوك في التاسعة عشر من عمره، وسيُقصَى إلى الفضاء.. سيُعدَم بعد محاكمة سريعة وعابرة. لذلك كان عليها تركه، وقطع أي اتصال معه حتى لا يتمكن المجلس من الوصول إليه من خلالها.

همست جلاس بينما تسيل الدموع على خديها، متسائلةً أيٌّ منهما سيؤلمه قلبه أكثر: «أنا آسفة».

تنهد لوك في أثناء نومه، اتكأت جلاس على مرفقها، ومررت يدها على خده بلطف، متمنيةً أن تتمكن من معرفة ما كان يفكر فيه. ففي خضم فوضى هروبهما من المخيم، وصدمة هبوطهما العنيف على الأرض، لم يكن هناك وقت للحديث عن شجارهما الكارثي على السفينة. أو ربما هذا ما أراده لوك.

لقد حاولت جلاس إخفاء حملها، لكن اكتُشِف ذلك في النهاية. كان انتهاك قواعد السفينة الصارمة لتحديد عدد السكان من أخطر الجرائم على الإطلاق، وحتى بعد معاناتها من الإجهاض، كان لا يزال على جلاس مواجهة المستشار. عندما أصر على أن تكشف جلاس عن الأب، أصابها الذعر وكذبت. فبدلًا من

إعطائه اسم لوك، أعطته اسم رفيقه في السكن، كارتر. وهو فتى أكبر سنًّا، متلاعب وخَطِر، كما أنه قد حاول الاعتداء عليها عندما كان لوك بعيدًا.

ولكن على الرغم من أن كارتر كان خسيسًا وحقيرًا، فإنه لم يكن يستحق الموت. لكن هذا بالضبط ما حدث. أخذ المستشار كلمتها، وأرسل جلاس، القاصر، إلى الحبس، وأمر بإعدام كارتر. لم تنسَ جلاس قط نظرة الغضب والاشمئزاز على وجه لوك عندما اكتشف الحقيقة. ورغم أنه قد سامحها، فإنها خشيت أن تكون قد كسرت شيئًا لا يمكن إعادة إصلاحه بالكامل أبدًا.. ثقة لوك.

تنهد ثانيةً، ودون أن يفتح عينيه، لف ذراعه حول جلاس وجذبها بالقرب منه. ابتسمت، وسمحت لضربات نبض قلبه المطمئنة بإغراق كل أفكارها الأخرى. لقد كان القدوم إلى الأرض فرصة للبدء من جديد، لترك رعب الماضي وراءهما.

أغمضت عينيها وكانت قد بدأت لتوها تغفو في النوم عندما أفزعتها ضوضاء عالية. تيقَّظَت كل حواسها، وجلست في السرير وأخذت تنظر حولها. كانت الكابينة فارغة. هل حلمت بهذا الصوت؟ ماذا كان ذلك؟ أخذت تتردد داخل رأسها -لم يكن عواءً بالضبط، ولم يكن صوت شخص أيضًا. كان شيئًا آخر- كنداء، أو إشارة، ولكنها ليست كلمات. مجرد... تواصل من نوعٍ ما. ولكن بين أي نوع من المخلوقات، لم تكن لديها فكرة. لقد كان المخيم على بُعد أميال، ولم يريا أي علامات أخرى على وجود حضارة هنا. كانا وحدهما تمامًا. على الأغلب كان صوت الرياح على سطح الكابينة أو شيء من هذا القبيل. لم يكن لديها شيء لتقلق بشأنه. استلقت جلاس مجددًا، واحتضنت الجسد الدافئ المسترخي بجوارها، وأخيرًا غلبها النوم.

الفصل السادس عشر

بيلامي

لم يكن بيلامي معتادًا على الجلوس دون فعل أي شيء. لم يحب الشعور بالعجز وقلة الحيلة. لقد اعتاد القتال من أجل الأشياء التي يحتاجها -الطعام، الأمان، أخته، الحياة نفسها- وبدأ الاضطرار إلى الاعتماد على الآخرين يدفعه للجنون. بيد أن هذا بالضبط هو ما أدى به إلى تلك المتاعب منذ البداية. لو لم يكن في مثل هذا الاندفاع الجنوني للوصول إلى سفينة الإنزال مع أوكتافيا، ما أُطلِقت النار على المستشار -والده- من الأساس. وبعدها بأسابيع قليلة فقط، كان بإمكان بيلامي النزول مع الموجة الثانية من المستوطنين، كونه مواطنًا، بدلًا من كونه سجينًا مُدانًا.

جلس على مقعد خشبي في الضيعة الخضراء، وهي منطقة عشبية وسط بلدة ساشا وماكس. شاهد مجموعة من الأطفال يصغرونه ببضع سنوات يمرون بجانبه في طريقهم إلى المدرسة. ثلاثة فتيان، كان باستطاعته سماع نبرتهم المشاكسة. انطلق أحدهم راكضًا، وطارده الآخران ضاحكَين. ورأى فتى أكبر سنًّا وفتاة مُشبِّكَي الأيدي، يلوحان بالوداع، ويتشاركان نكتة خاصة وقُبلة خجولة.

عاد لأفكاره مجددًا، لم يكن لديه أي فكرة أن الأكسجين كان ينفد من المستوطنة وأنهم كانوا على بُعد أسابيع من الإخلاء الطارئ، وليس من المحتمل أن والدنيًّا نكرة في التاسعة عشر من عمره سيكون الأول في طابور الحصول على مكان فوق متن سفينة الإنزال. كان شق طريقه إلى الأرض هو

القرار الصحيح. سيكون قادرًا على إبقاء عينيه على أوكتافيا ورعايتها. وهنا قد التقى فتاة جميلة وذكية بشكل حاد ومخيف، جعلته يبدأ كل يوم وينهيه بنفس الابتسامة الحمقاء على وجهه، ذلك حينما لا تقوده إلى الجنون تمامًا.

رفع رأسه ونظر حوله بحثًا عن كلارك، التي طُلِبَ منها فحص ذراع طفل مكسورة. في ظل ظروف أخرى، لن يكون البقاء في هذه المدينة سيئًا. فهي منظمة ومريحة في آن واحد. كان لدى الجميع مكان ليعيشوا فيه وما يكفيهم من الطعام، بلا حراس، مسيئين لاستخدام سلطتهم، يركضون بالأرجاء، يراقبون تصرفات الجميع وتحركاتهم. كان والد ساشا هو مَن يتولى مسؤولية هذه المدينة بشكل واضح، ولكنه لم يكن مثل رودس، أو حتى مثل المستشار. لقد كان يصغي إلى مستشاريه. ومما رآه بيلامي يمكن القول إن أهم القرارات كانت تُطرَح للتصويت. والميزة الأخرى هي أن لا أحد هنا يعتقد أنه من الغريب أن يكون لديه أخت.. فقد كان لديهم جميعًا أشقاء، كثيرون.

ومع ذلك، كان الهدوء نذير شؤم في ضوء الأحداث الأخيرة. ماذا لو كان رودس يتعقبهم؟ ماذا لو حوَّل بيلامي دون قصد قرية الأرضيين الهادئة هذه إلى بقعة من ساحات الحروب؟ لن يسامح نفسه أبدًا لو تأذى الأبرياء بسببه.

أخذ يؤرجح ساقه بعصبية. كان في حيرة من أمره منذ وصوله إلى هنا قبل ثلاثة أيام. لم يكن يعرف ما العمل. ماكس، وساشا، وشعبهما أرادوه أن يبقى. لقد أرادوا حمايته. والأمر لم يكن بهذا السوء، البقاء في مكان به سقف حقيقي فوق رأسه، وطعام لذيذ ليس عليه صيده وسلخه بنفسه. لم يستطع بيلامي إنكار ذلك، كان ثمة بذرة صغيرة بداخله تتوق إلى حياة بهذه البساطة. أراد أن ينسى رودس أمره، وأن يختفي ماضيه، وأن تصبح حياته سهلة كحياة هؤلاء الأطفال.

تفحصت عيناه النطاق الشجري لحافة الغابة والطريق المؤدي إلى المدينة، بحثًا عن أي علامة على وجود دخلاء. لكن لا شيء. لقد كان بالكاد قادرًا على النوم منذ وصوله إلى هنا. فقد كان مشغولًا للغاية في إجهاد أذنيه في أثناء هدوء الليل، بمحاولة سماع أي وقْع لخطى تقترب، أو حفيف لأوراق الشجر من شأنه أن يخبره أنهم على وشك التعرض للهجوم.. وأنه على وشك أن يُقبَض عليه. لم تكن تلك طريقة للعيش. لم يعد قادرًا على تحمُّل الترقب

والخوف، وحتى هذه البلدة الصغيرة بدأت تبدو وكأنها سجن. فمنذ أن أصبح على الأرض، اعتاد قضاء ساعات من كل يوم في الغابة بمفرده. من المؤكد أن البقاء محتجزًا في القرية كان أفضل من بقائه عالقًا على متن سفينة في الفضاء، ولكن مع ذلك...

أسند ظهره إلى الخلف على المقعد وتنهد وهو ينظر إلى السماء الزرقاء من فوقه. ماذا بحق الجحيم سيفعل طوال اليوم؟ لا يستطع الصيد، ولا يستطع حتى التجول بمفرده. وحتى الأطفال كانوا في المدرسة، لذلك لن يستطيع لعب الكرة معهم. كان لكل شخص آخر شيء ليفعله. نظر حوله إلى الأشخاص المنشغلين بأداء مهامهم وأعمالهم.. البناء، والإصلاح، والغسيل، ورعاية الحيوانات، وهلم جرًّا. جميعهم كانوا ودودين جدًّا، مما جعله نوعًا ما غير مرتاح. كل شخص مر بجانبه قد تمنى له يومًا طيبًا. ولم يكن يعرف ماذا عليه قوله أو فعله بوجهه.. هل كان من المفترض أن يبتسم لهم هو الآخر؟ أن يقول مرحبًا؟ أم يكتفي بإيماءة فحسب؟

على الأقل كان يعلم أن أوكتافيا بخير. لقد عادت ساشا إلى المخيم مرتين للاطمئنان عليها من بعيد وأوصلت رسالة إلى أوكتافيا تخبرها بأن بيلامي بأمان. لأي سبب كان، لقد اختار رودس ألا ينتقم من أوكتافيا، على الأقل حتى الآن. ولكن مع ذلك، لا يستطيع بيلامي أن يبقى بعيدًا عنها لوقت طويل. لا يمكنه الاعتماد على نوايا رودس الحسنة -لو كانت فعلًا كذلك- طويلًا.

اقترب ماكس دون أن يلحظه بيلامي. وقال: «صباح الخير».

فأجابه بيلامي، سعيدًا بنفض أفكاره البائسة عن ذهنه: «صباح الخير».

- أتسمح لي بالجلوس؟

قال بيلامي وقد أسرع بالتنحي جانبًا: «بالتأكيد».

جلس ماكس على المقعد بجانبه. وتصاعد البخار من كوب معدني في يده. جلسا في صمت للحظة طويلة، يراقبان آخر طفل وهو يركض متأخرًا إلى المدرسة.

ثم سأل ماكس قائلًا: «كيف حال كتفك؟».

- أفضل. شكرًا لإعطاء كلارك كل تلك الأشياء لاستخدامها. أعلم أنها غالية جدًّا، قد قدمتَ الكثير من أجلنا بالفعل.

ثم سكت لبرهة، متسائلًا عما إذا كان من النبل أم من الحماقة مشاركة مخاوفه بشأن البقاء هنا، ثم أردف: «ومع ذلك لا أعتقد أن البقاء هنا فكرة سديدة».

- إلى أين تخطط للذهاب؟

لم يبدُ ماكس متفاجئًا، وقَدَّرَ بيلامي عدم وجود نبرة اتهام أو حُكم في صوته.

- لم أقرر هذا الأمر بعد. كل ما أعرفه هو أنني لا أستطيع أن أظل جالسًا هنا فحسب في انتظارهم ليأتوا ويمسكوا بي، ولا يمكنني السماح لأي شخص هنا بالمخاطرة بالتعرض للأذى من أجلي.

- أتفهَّمُ ما تشعر به، وأنت تعلم أن هنالك أشخاصًا يريدون أن يؤذوك. لكنهم ليس لديهم الحق في سلبك حياتك يا بيلامي. ليس لدى أحد الحق في ذلك.

سكت ماكس لبرهة، ثم أردف قائلًا: «ولا أحد هنا يفعل أي شيء لا يريد فعله. الحقيقة أنني لا أعتقد أنك ستكون أكثر أمانًا بعيدًا عن هنا».

ثم أمال رأسه نحو الغابة وأضاف: «هناك مخاطر أكبر من خطر رودس. لست متأكدًا من مدى معرفتك بالآخرين؟».

رفع ماكس حاجبيه وتابع قائلًا: «هل تعرف تلك الجماعة التي انشقت عنا؟».

- القليل.

آخر مرة كان فيها هنا، عندما أتى لإنقاذ أوكتافيا، سمع بيلامي قصة المستوطنين الذين نزلوا من السفينة، قبل وقت طويل من وصول المئة. لقد استقبلهم الأرضيون، وشاركوهم طعامهم، ولكن لم يكن الجميع سعداء بالترحيب بالغرباء، خاصة أن هؤلاء الغرباء هم من نسل الأشخاص الذين فروا من الأرض الهالكة في مركبة فضائية، تاركين الآخرين للموت. لقد ساد بين الجماعتين سلام غير مستتب، ولكن بعد ذلك حدث شيء ما. مات طفل من

أطفال الأرضيين، واندلعت الفوضى. كان هناك فصيل من شعب ماكس قد ألقوا باللوم على المستوطنين، وألقوا اللوم على ماكس لأنه مَن سمح للغرباء بالدخول إلى موطنهم. طالبوا بالقصاص، وعندما رفض ماكس السماح لهم بقتل المستوطنين، انشقوا ليعيشوا بمفردهم، خارج سلطة ماكس. كان الجزء الأكثر جنونًا في القصة بأكملها هو أن والدَي كلارك اللذين ظنت أنهما قد ماتا، بعد أن حُكِمَ عليهما بالإعدام على المستوطنة.. كانا ضمن تلك الموجة الأولى من المستوطنين. لقد نُفِيا مع الآخرين بعد موت الطفل.

أخذ ماكس رشفة أخرى من شرابه وقال: «أنا كبرت معهم. لقد ربينا أطفالنا معًا، واعتقدت أنني أعرفهم».

ثم سكت لبرهة أخرى، كما لو يستحضر الذكريات، قبل أن يكمل قائلًا: «لكن الآن أصبح من المستحيل معرفتهم. لقد أصبحوا مهووسين بالعنف وبالاستحواذ على أكبر مساحة ممكنة من الأرض. إنهم ساخطون وليس لديهم ما يخسرونه. مما يجعلهم خطرين جدًّا، جدًّا».

سأل بيلامي، غير واثق حتى من رغبته في معرفة الإجابة: «ماذا يريدون؟».

تنهد ماكس ومرر يده على شعر لحيته الأشيب وقال: «ليتني كنتُ أعرف. الانتقام؟ السطوة؟ الهيمنة؟ ما الذي قد يريدون ألا يكون لدينا هنا؟».

سكتا للحظة. ثم قال بيلامي: «تريد كلارك الذهاب للبحث عن والديها».

- أعلم أنها تريد ذلك. لكن الوضع غير آمن. إذا كانت الجماعة المنشقة على استعداد لإيذاء جيرانهم وأصدقائهم، فمن المؤكد أنهم لن يترددوا في إيذاء كلارك. وإذا اكتشفوا أنها ابنتهما... حسنًا، سأكره التفكير فيما قد يفعلونه. لم يكن لعائلة جريفين أي علاقة بموت الصبي ولكن مَن نتحدث عنهم هنا ليسوا أشخاصًا عقلانيين.

استدار ماكس وقال وقد وضع عينيه في عينَي بيلامي: «هل تعتقد أنها تفهم حجم المخاطر؟».

فهز بيلامي رأسه قائلًا: «لا أعلم. لكنها لن تبقى هنا وتنتظر إلى الأبد. إنها تريد أن تجد أمها وأباها، عاجلًا. حاولتُ إقناعها بالانتظار حتى يصبح من

الآمن بالنسبة إليَّ أن أذهب معها. وأننا نحتاج لمعرفة المزيد عن المكان الذي ربما قد ذهبا إليه. لكنها مصممة».

تنهد ماكس وقال: «أنا لا ألومها. لو كنتُ مكانها لكنتُ سأود أن أجدهما أيضًا».

- أجل.

عرف بيلامي كيف كان الشعور بالحاجة البدائية المُلحة للعثور على شخص تحبه. كان يفهم سبب رغبة كلارك في البدء في البحث عن والديها. ولكن هل كان على استعداد لتركها لتموت من أجل ذلك؟

قوطِعت أفكار بيلامي عندما اندفع رجل نحوهما راكضًا. قال الرجل لاهثًا بعد أن توقف فجأةً أمام مقعدهما: «ماكس، هناك جماعة تقترب من المدينة. إنهم على بُعد نحو مئة متر. سيكونون هنا في غضون بضع دقائق. و... ماكس... إنهم مسلحون».

وقع قلب بيلامي في قدميه إذ اجتاحته موجة من الشعور بالذنب. *إنهم هنا من أجلي*.

هبَّ ماكس واقفًا وقال: «أرسِل الإشارة. وابعث فريقًا لاستقبالهم وإحضارهم إلى المدينة. بسلام».

أومأ الرجل وفرَّ ذاهبًا. والتفت ماكس إلى بيلامي مجددًا وقال: «اتبعني».

حاول بيلامي أن يظل هادئًا، ولكن طوفان من الغضب والخوف أخذ يتصاعد بداخله، نفس المزيج من المشاعر التي عادة ما تدفعه إلى فعل شيء غبي. تتبع ماكس من كثب وأخذا يهرولان على طول الطريق باتجاه مبنى المدينة الرئيسي، حيث كان الناس قد بدؤوا بالفعل في الاحتشاد، وكان العديد منهم يحملون بنادق ورماحًا. وبعد بضع دقائق، دخلت كلارك، وويلز، وساشا إلى الداخل، وقد بدوا قلقين، إلا أن عزيمتهم كانت قوية أيضًا. انضمت ساشا إلى أبيها في مقدمة القاعة، بينما شق ويلز وكلارك طريقهما عبر الحشد للوقوف مع بيلامي في الخلف.

قال ويلز لبيلامي بينما كان الحشد يتجاذب أطراف الحديث في قلق من حولهم: «لا تقلق. لن نسمح لهم بأن يأخذوك».

في الواقع، ليس ذلك ما كان يُقلق بيلامي. لقد كان أكثر قلقًا بشأن ما قد يحدث عندما يرفض الأرضيون تسليمه... بشأن ما قد يفعله رودس إذا لم يحصل على ما يريد.

رفع ماكس يده، وسكتت القاعة. خاطب الحشد، بنبرة قيادية حازمة ولكن هادئة، قائلًا: «كما يعلم معظمكم، إن لدينا بعض الزوار القادمين. سيُحضَرون الآن. سنلتقيهم، وسنستمع إلى ما يريدون، وبعد ذلك سنقرر ما سنفعله».

تعالت من الحشد موجة من الهمهمات والأسئلة الخافتة. ولكن ما لبث أن رفع ماكس يده مرة أخرى، فهدأ الجميع. ثم تابع: «أعلم أن لديكم الكثير من الأسئلة. أنا أيضًا لدي. لكن دعونا نبدأ بالاستماع. وتذكروا، لا سلام من دون تفاوض سِلمي».

خيم على القاعة صمت شديد. وبعد بضع دقائق، قاد حفنة من الأرضيين مجموعة من حراس رودس. لقد انتُزِعت أسلحتهم، ولكنهم لم يكونوا مُقَيَّدين بأي شكل من الأشكال. كان الحراس صامتين، وعيونهم تحوم في كل مكان في القاعة، يدرسون المكان ويخططون.

قال ماكس: «مرحبًا بكم. خذوا راحتكم وأخبرونا لماذا أتيتم».

تبادل الحراس النظرات، ثم تقدم أكبرهم إلى الأمام، وهو رجل في منتصف العمر يُدعى بورنِت، الذي قد تعرف عليه بيلامي من كابينة السجن.

قال بورنِت بنفس الصوت الرتيب البارد الذي قد سمع بيلامي عددًا لا يحصى من الحراس يتكلمون به قبل أن يَجُرُّوا شخصًا ما إلى الحبس، وإخفائه إلى الأبد: «نحن لسنا هنا لإيذاء شعبك. لدينا أوامر بأخذ سجيننا، هذا كل شيء. إنكم تؤوون هاربًا يجب أن يُحاسَب على جرائمه. سلِّموه وسوف نترككم في سلام».

حامت عيناه في الغرفة حتى سقطتا على بيلامي، الذي توترت كل عضلة في جسده، وكان عليه محاربة الرغبة في الاندفاع إلى مقدمة القاعة ولف يديه حول رقبة بورنِت السميكة. أمسكت كلارك بيد بيلامي وشَدَّت عليها. كان يعلم أنها مستعدة لفعل أي شيء للحفاظ على سلامته، لكن في هذه اللحظة، كل ما أراد فعله هو تجنيبها أي مزيد من الألم.

حدَّق ماكس إلى بورنِت مليًّا، وأجابه قائلًا: «يا صديقي، أُقدِّر أنك أتيت إلى هنا بموجب أوامر. وليس في نيتنا التسبب في مشكلة بأي شكل من الأشكال».

ثم رمق ماكس بيلامي بنظرة من فوق بحر الرؤوس التي تفصل بينهما، وعلى وجهه تعبير غير مقروء. وأردف: «ولكن حسبما أفهم فإن هذا السجين، كما تطلقون عليه، لن يحصل على أي نوع من الأحكام العادلة. إذا عاد إلى مخيمكم، سيُعدَم».

اندلع من الحشد بحر من الشهقات المصدومة والهمسات. التفتت امرأة أرضية بالقرب من كلارك وبيلامي لتحدق إليهما، ولاحظت تعبيرَي وجهيهما الخائفَين ويديهما المتشابكتين، فتغير تعبير وجهها من التشوش والحيرة إلى اليقين. وتبادل ثلاثة رجال كانوا يقفون بالقرب من جانب بيلامي النظرات، ثم أخذوا بضع خطوات حتى أصبحوا يقفون بين بيلامي والحراس.

وأنهى ماكس كلامه قائلًا: «ونحن لا نشارك في إرسال الشباب إلى موتهم».

نظر بورنِت إلى أحد الحراس الآخرين في سخرية، وتسللت ابتسامة صغيرة إلى وجهه. ثم قال: «ذلك لم يكن طلبًا. أنت تدرك أن هناك عواقب لرفضك، أليس كذلك؟».

أجاب ماكس في هدوء، رغم أن عينيه قد اتسعتا: «أجل. لقد أوضحتَ الأمر للغاية».

ثم استدار نحو الأرضيين الآخرين، وأردف: «أعتقد أنني أستطيع التحدث نيابةً عن الجميع هنا عندما أقول، إننا لن نكون شركاء في هذه العقوبة الجائرة. لكنني سأسمح لهم باتخاذ القرار».

ساد الصمت للحظات طويلة. وشعر بيلامي بالغثيان فجأةً عندما نظر حوله إلى وجوه هؤلاء الناس -هؤلاء الغرباء- الذين يحملون مصيره في أيديهم. هل كان من العدل جعلهم يقررون؟ أن نطلب منهم أن يضعوا سلامتهم على المحك لأجل حمايته؟

كان يستعد للذهاب لتسليم نفسه لرودس، عندما تنحنح ماكس وقال: «فليتفضل كل الذين يؤيدون السماح لزوارنا بأخذ الفتى معهم برفع أيديهم».

ابتسم أحد الحراس ابتسامة متكلفة، بينما أخذ الرجل الواقف بجانبه يطقطق أصابعه. من الواضح أنهم كانوا يستمتعون بالأمر، ومتحمسون لرؤية الأرضيين وهم يتخلون عن بيلامي ويسلمونه إلى مصيره القاتم. ولكن لصدمة بيلامي لم يرفع أحد يده.

همس بينما شدَّت كلارك على يده: «ما هذا بحق الـ...».

- إذن مَن يؤيد السماح لبيلامي وكلارك وويلز بالبقاء هنا تحت حمايتنا؟

ارتفعت أيادٍ لا حصر لها في الهواء، حاجبةً ماكس، وبورنِت، والحراس الآخرين عن نظره. شعر بيلامي بركبتيه توهنان إذ أخذت موجة عارمة من الشعور بالامتنان تتصاعد بداخله. لم يسبق للكبار على متن المستوطنة قط أن قدموا له ولو حتى فتاتًا من اللطف، مطلقًا. ولا حتى عندما كان هو وأوكتافيا يتضوران جوعًا بالمعنى الحرفي. لكن هؤلاء الناس كانوا على استعداد للمخاطرة بكل شيء من أجله.. وهو غريب عنهم تمامًا.

زاد هذا من سوء الأمر. هؤلاء أناس طيبون. لا يستحقون الموت من أجل فتى قد قضى تسعة عشر عامًا لا يفعل شيئًا سوى اتخاذ قرارات مريعة. وضعت كلارك ذراعها حول خصره وجعلته يتكئ عليها، مما ساعده على دعم وزنه.

همست في أذنه قائلة: «لا بأس. كل شيء على ما يرام».

تمتم بيلامي بصوت خافت قائلًا: «لا».

لم يسمعه أحد في خضم ضجيج القاعة. باستثناء كلارك وويلز. سقطت يد كلارك مبتعدةً عنه، وحدَّقت إليه هي وويلز في حيرة وارتباك.

قالت كلارك وقد اتسعت عيناها: «بيلامي! ما الذي تنوي فعله؟».

- لا يمكنني أن أقف هنا فحسب، وأدع كل هؤلاء الأبرياء يعرضون أنفسهم للخطر من أجلي. لديهم أطفال، لديهم عائلات. إنهم ليسوا بحاجة إلى هذا الهراء!

تقدم ويلز خطوة للأمام ووضع يده على كتف بيلامي وقال: «مهلًا، مهلًا. اهدأ فحسب».

حاول بيلامي التخلص من قبضة ويلز، لكن ويلز لم يسمح له بذلك.

- بيلامي، أفهمُ ذلك. أنت لست معتادًا على قبول المساعدة. لكن هذا ليس اعتقالًا لبيع بضائع مسروقة في قسم المعاملات. هذه عقوبة إعدام. سوف يقتلك رودس.

انحنى بيلامي ووضع يديه على ركبتيه. أخذ بضعة أنفاس عميقة متواصلة. كان يعلم أن شعب ماكس وساشا يؤمنون بشيء أكبر من أنفسهم. لقد رأى ذلك في لطفهم تجاه بعضهم بعضًا، وفي الطريقة التي رحبوا بها بثلاثة غرباء وضموهم إلى حياتهم. لقد رأى ذلك في أسلوب قيادة ماكس. لكنه لم يكن يعرف كيف يمكنه تحمُّل عبء كرمهم.

أمسكت كلارك بيد بيلامي مرة أخرى ونظرت في عينيه، وقالت: «حتى لو لم تفعل ذلك من أجل نفسك، أيمكنك فعل هذا من أجلي، رجاءً؟».

كان صوتها يرتجف، وتغيَّر شيء ما في صدر بيلامي. فلم يسبق له أن سمع صوتها ضعيفًا، وخائفًا لهذه الدرجة من قبل. لم يسمعها قط تتوسل لأحد من أجل أي شيء. أي شيء كانت تريده، كانت تذهب للحصول عليه بنفسها. لكن هذا لن يكون كافيًا هذه المرة. كانت بحاجة للمساعدة.

صفق ويلز بيده فوق كتف بيلامي السليمة قائلًا: «ومن أجلي أيضًا».

تحول انتباه بيلامي من كلارك إلى ويلز. كيف حدث هذا؟ عندما غادر هو وأوكتافيا المستوطنة، كانا هما فقط في مواجهة الكون بأكمله. والآن أصبح لديه أشخاص يهتمون لأمره. أصبح لديه عائلة.

قال بإيماءة، محاولًا قمع الدموع المُحرِجة التي كانت تُهَدِّد بالظهور: «حسنًا».

أجبر نفسه على الابتسام وأردف قائلًا: «ولكن هذه المرة فقط. في المرة القادمة التي يُحكَم عليَّ فيها بالإعدام لكوني غبيًّا متهورًا، عليكما أن تدعاهم يأخذونني».

قال ويلز وهو يتراجع بابتسامة: «اتفقنا».

- مستحيل. مستحيل يا فتاي الغبي المتهور.

وقفت كلارك على أطراف أصابعها وقَبَّلته. طوَّقها بيلامي بذراعه، وقَبَّلها هو الآخر، وقد طغى تأثره على حرجه من تلك الدموع المنبثقة في عينيه.

الفصل السابع عشر

جلاس



فتحت جلاس باب المنزل بدفعة من كتفها. كانت كلتا يديها ممتلئتين، إحداهما بها دلو من ماء النهر، والأخرى بها كيس من التوت، الذي وجدته ينمو في مكان قريب. وضعت الطعام على الطاولة الخشبية غير المستوية وحملت الماء إلى الحوض. ودون الحاجة للتفكير في الأمر، مدت يدها لأعلى وأنزلت وعاءً صغيرًا من الرف. بعد يومين فقط، أصبحت بالفعل مرتاحة للغاية في منزلهما الصغير لدرجة أشعرتها كما لو أنها كانت هي ولوك يعيشان هنا طوال حياتهما.

كانا قد خرجا في حذر للبحث عن أي علامة على وجود الأرضيين بالخارج. لكن لم يكن هناك دلالة على وجود أي حياة بشرية أخرى. وشيئًا فشيئًا، ازداد ارتياحهما وثقتهما، وأجريا رحلة قصيرة في محاولة للعثور على طعام. صبَّ كلاهما كامل تركيزه على البحث، وكادا ألا يلاحظا غزالًا يرعى بالجوار. رفعت جلاس رأسها لمناداة لوك، قبل أن تنطق باسمه، رأته واقفًا على بُعد قدمين فقط منها. كان صغيرًا -*هل كان هناك اسم خاص للغزال الصغير؟* اعتصرت جلاس ذهنها محاولةً تذكُّر الكلمة- وجميلًا جدًّا. أخذ خطمه البُني الناعم ينقبض وهو يتشمم الهواء، وبدت عيناه البُنيَّتان الواسعتان جميلتين وحزينتين. خافت جلاس من التحرك خشية أن يخاف ويبتعد. أرادت أن يراه لوك، لكنها لم تستطع إصدار صوت. حدَّقَت هي والغزال إلى بعضهما بعضًا للحظة طويلة، حتى استدار لوك أخيرًا ورآه. تجمد في مكانه. واستطاعت

أن تدرك من خلال النظرة على وجهه أنه كان منذهلًا لرؤية الحيوان مثلها. ظل ثلاثتهما واقفين هناك، محبوسين في تبادل صامت للنظرات. وأخيرًا، بعث حفيف بعيد في الأشجار الغزال للانطلاق عبر الغابة دون إصدار صوت تقريبًا. وبمجرد أن اختفى، تنهدت جلاس قائلة: «كان ذلك مدهشًا!».

وافقها لوك -على الرغم من النظرة الجادة على وجهه- قائلًا: «أجل».

سألته وقد تفاجأت من ردة فعله: «ما الخطب؟».

- إنه فقط... إذا لم نجد شيئًا نأكله، فسنضطر إلى، كما تعلمين...

وترك الجملة معلقة في الهواء.

اعتُصِرَ قلب جلاس. لقد كانت مفتونة للغاية بعينَي الغزال المُعَبِّرتين، ولم تفكر قط في أنها قد تضطر إلى أكله. انقلبت معدتها بمجرد التفكير في الأمر. قالت: «دعنا لا نقلق بشأن ذلك الآن. فقط استمر في البحث».

ولحسن الحظ، وجدا التوت. وحتى الآن، كانا على ما يرام. لكنها لم تعلم أنها لم تكن إلا مسألة وقت قبل أن يتغير شيءٌ ما. كانت أقراص تنقية المياه خاصتهم على وشك النفاد، ولم يكن هناك قِدر في المنزل يمكنهما غلي الماء فيه. وكانت هناك حشرات غريبة تركض على الأرضية في الساعات التي تسبق الفجر، وتوقِظ جلاس من نوم عميق وتجعلها تقشعر رعبًا. كان لوك يضحك فحسب عندما تُسرع في الاقتراب منه وشد البطانيات بإحكام فوق كليهما. وفوق ذلك، كان هناك قلق مزعج، ومستمر بشأن ما سيحدث بعد ذلك. هل سيكونان قادرَين على البقاء هنا؟ أيمكن للأمر أن يكون حقًّا بهذه البساطة؟ تذكرت تعلمها عن فصول السنة على الأرض.. كانت أوراق الخريف الجميلة تعني أن شتاءً كان على الأبواب، وأنه سيتعين عليهما إيجاد طريقة للنجاة من البرد. ومع ذلك، لقد بذلت قصارى جهدها لدفع تلك الأفكار بعيدًا. تركت القلق بشأن الشتاء ليوم آخر. أما اليوم فأرادت فقط أن تعيش هذه الحكاية الخرافية، في منزلهما الخيالي تحت مظلة من الأشجار الطويلة.

دخل لوك عبر الباب، ووقف يكشط الوحل عن حذائه، ويزيل الأوراق التي علِقت في شعره المموج الكثيف. فاحت منه نفحات من رائحة أشجار الصنوبر وملأت أنفها. استنشقت جلاس نفسًا عميقًا. كان مجرد كونها قريبة منه لتتنفس رائحته يجعل قشعريرة حلوة تسري في جسدها بأكمله.

قالت وقد رفعت طبق التوت في بهاء ساخر: «أتود تناول العشاء؟ لقد أعددت لك شيئًا مميزًا الليلة».

ضحك لوك قائلًا: «آه، حساء التوت. إنه المفضل لدي. هل هذه مناسبة خاصة؟».

فأمالت رأسها إلى الجانب وابتسمت ابتسامة لعوبًا وقالت: «من الممكن أن تكون كذلك».

قطع لوك الغرفة في خطوتين واسعتين وسريعتين، ولف ذراعيه حول خصرها، وضمها إليه في قبلة عميقة شعرت بأنها لن تنتهي أبدًا.

***

في وقت لاحق من تلك الليلة، غلبهما النعاس بجوار المدفأة، وجسداهما متشابكان معًا. لقد غفت جلاس بسرعة. فمع كل ليلة يمضيانها في الغابة، كانت تصبح أكثر استرخاءً، بدأ قلق وتوتر الأسابيع القليلة الماضية يتلاشى شيئًا فشيئًا من ذاكرتها. أخذت تنام بعمق، وإن كانت شبه جائعة، كما لو أن النوم قد قدم لها طعامًا طالما كانت تتوق إليه.

عندما أتى أول ضجيج عبر النافذة، أدمجته جلاس في حلمها. ولم تستيقظ إلا عندما جلس لوك معتدلًا بجانبها، ومن ثم سقط جسدها عندما هبَّ واقفًا في ذعر. فتحت عينيها، وعادت إلى وعيها على الفور. وعندها، رأت وجهًا يظهر من نافذة المنزل. كان شخص ما يحدِّق إليهما.. شخص أرضي، استطاعت رؤيته بسبب انعكاس ضوء نار المدفأة التي كانت على وشك الانطفاء. عرفت ذلك من خلال الشعر الطويل والملابس الضخمة. لا أحد من المستوطنين يرتدي مثل هذا الزي. ولا يتصرفون بتلك الطريقة. اندفع الذعر والأدرينالين عبر جسدها، اجتاحا عروقها وأجَّجا ذهنها. سمعت صراخًا على بُعد مسافة، ولكنها استغرقت لحظة لتدرك أن الصوت كان يخرج من فمها.

قفز لوك ومد يده ليُخرِج المسدس الذي أخذه من المخيم. ثم ذهب وفتح الباب الأمامي للكابينة، وهو عاري الصدر وحافي القدمين، وخرج إلى الظلام. نادت عليه جلاس، وقد بدا في صوتها نبرة من اليأس: «لوك، لا! لا تخرج إلى هناك!».

لكنه قد اختفى بالفعل عن نظرها. قَبَضَ الذعر صدرها، وكان على وشك أن يوقعها أرضًا، لكنها تقدمت نحو الأمام، في خطوات متعثرة وراء لوك، وهي تلهث من أجل الهواء كلما حاولت مناداة اسمه. ركضت إلى الخارج، وراحت تبحث متحسسةً طريقها في الظلام حتى تكيفت عيناها. غمرها الارتياح عندما رأت لوك واقفًا على بُعد أمتار قليلة، وظهره لها. رفع المسدس في الهواء، موجهًا إياه نحو السماء. وأمامه، وقف ثلاثة رجال وامرأة، مشكلين نصف دائرة. كانت ملابسهم تشبه ملابس ساشا، مكونةً من مزيج من جلود الحيوانات والصوف، ولكن هذا كان وجه التشابه الوحيد. فقد كانت وجوههم كالأقنعة الوحشية، عيونهم تلمع بالخبث وهم يتبادلون نظرات الغبطة مع بعضهم بعضًا.

ظل كلٌّ من لوك والأرضيين واقفين في حالة من الجمود والصمت للحظة. ثم رفع الأرضيون أذرعهم، ونصبوا رماحهم في علو أكتافهم، في استعداد للهجوم. بدوا وكأنهم ينتظرون إشارةً ما. ركضت جلاس نحو لوك. لفَّ ذراعه حولها بقوة ودفعها خلفه. كان بإمكانها الشعور بكل عضلة من عضلات جسده مشدودة، ومستعدة لخوض قتال. رفعت رأسها من خلفه وتوسلت للأرضيين بصوت مرتعش قائلة: «أرجوكم. نحن لسنا هنا لإيذاء أي أحد. نحن صديقا ساشا. أرجوكم لا تؤذونا».

فقال أحد الرجال بصوت خشن ونبرة ساخرة: «أوه، أنتما صديقا ساشا، صحيح؟ حسنًا في هذه الحالة، سنقتلكما مباشرةً بدلًا من ترككما نصف ميتَين لتنهشكما الحيوانات. من باب المجاملة ليس إلا».

حاول لوك دفعها للوراء أكثر. سادت لحظات طويلة ومخيفة من الصمت والهدوء، إذ كان كل طرف ينتظر بدء الآخر. وأخيرًا، تقدم أحد الأرضيين -الرجل الذي قد رأت وجهه من النافذة- للأمام متوعِّدًا، وقال في غضب: «لقد حاولنا تحذير أصدقائك. وأظهرنا الرحمة في قتلنا واحدًا منهم فقط. ولكن بدلًا من أن تدركوا أنكم غير مُرحَّب بكم هنا، فقد أحضرتم من الفضاء المزيد من جنسكم. لقد طفح الكيل».

صرخت جلاس قائلة: «هذا ليس ما حدث. إننا لم نكن نعلم... لم تكن هناك أي وسيلة للتواصل معهم. ولكن لن يأتي أحد منا بعد الآن. أعدكم».

انكسر صوتها، من الخوف، ومن إدراكها المحزن أن ما قالته كان صحيحًا. فأيًّا كان من لم ينجح في الوصول إلى إحدى سفن الإنزال، فقد فُقِدَ إلى الأبد!

ضحكت المرأة الأرضية وقالت: «تَعِديننا؟ لقد تعلمنا بالطريقة الصعبة ما يحدث عندما نثق بالغرباء».

ثم أومأت برأسها إلى الرجل، الذي رفع ذراعه ووجَّه رمحه مباشرةً نحو قلب لوك، وأرجح ساعده للخلف.

صاح لوك قائلًا: «لا تتحرك! رجاءً. لا أريد أن أؤذيكم، إنني أحمل مسدسًا. لا تجبروني على استخدامه».

توقف الرجل، كما لو كان يفكر في كلام لوك، ولكن ليس لأكثر من لحظة واحدة. ثم أخذ خطوة أخرى حذرة للأمام. رنَّ صوت الطلقة القوي في أذنَي جلاس. وتردد صداها بين جذوع الأشجار، ثم ارتد عائدًا إليهما. أطلق لوك النار نحو السماء، موجهًا المسدس بعيدًا عن الأرضيين، ولكن ذلك كان كافيًا لإخافتهم. فقد قفزوا في الهواء وتفرقوا عن بعضهم بعضًا، وما لبثوا أن اختفوا في الظلام.

شعرت جلاس بارتياح شديد لرؤيتهم يتراجعون لدرجة أنها في البداية لم تدرك ما الذي حدث. لقد نشبت حركة مفاجئة بعد أن أطلق لوك النار مباشرةً. هل ألقى أحد منهم شيئًا ما؟ عادت إلى لوك، وقد تجمد الدم في عروقها. وقف في مواجهتها، وعيناه مفتوحتان عن آخرهما في ذهول التام. كان فمه مفتوحًا، ولكن صوتًا لم يخرج منه. مررت عينيها لأسفل على جسده، متبعةً ذراعيه وصولًا ليديه، اللتين كانتا ممسكتين بساقه اليسرى بقوة. سال الدم من بين أصابعه. وكان ثمة رمح خشبي ملقى على الأرض بالقرب من قدمه.

صرخت قائلة: «لوك! لوك... لا!».

انهار لوك على ركبتيه. ركضت جلاس إليه، وألقت بنفسها على الأرض بجانبه. أمسكت بذراعه قائلة: «لوك!».

كانت تنادي اسمه كما لو كانت تحاول إبقاءه معها، تحاول منعه أن يفلت بالذهاب بعيدًا إلى مكان قد لا تستطيع اللحاق به إليه. قالت وقد بذلت قصارى جهدها في محاولة إخفاء الذعر من صوتها: «ستكون بخير».

لقد كان لوك بحاجة لبقائها هادئة. بحاجة لأن تفكر فيما يجب فعله.

- دعني فقط آخذك للداخل.

نظرت إلى أسفل، وشحب وجهها. فحتى في ضوء القمر الخافت، استطاعت رؤية العشب من حول ساق لوك يتحول إلى اللون الأحمر الداكن. مدت يديها من تحت ذراعَي لوك وحاولت سحبه ولكنها توقفت عندما أطلق صرخة ألم. قال لوك وقد كزَّ على أسنانه: «فقط ساعديني على النهوض. سنتعامل مع الأمر عندما ندخل».

لفَّ ذراعه حول كتفَي جلاس ونهض على رِجل واحدة. حاولت الحفاظ على أنفاسها منتظمة، وحاولت نسيان حقيقة أنهما على بُعد يومين من المشي من أي مكان قد يحصلان منه على مساعدة طبية. كيف يمكنهما أن يكونا أحمقين لدرجة أن يهربا بمفردهما؟

قال لوك وهو يجفل مع كل قفزة: «لا تقلقي».

التفت للخلف، وحدق إلى الأشجار الداكنة، بحثًا عن أي أثر للأرضيين. ثم أردف قائلًا: «الأمر ليس بهذا السوء».

لكن حتى لوك لم يستطع إبعاد الخوف عن صوته. كلاهما كان يعرف أنه يكذب. وكلاهما كان يعرف ما سيحدث إذا لم تتحسن حالته. ستكون جلاس وحدها تمامًا، في مواجهة العالم بأسره.

الفصل الثامن عشر

كلارك

تبدَّلت الأجواء في قرية الأرضيين بصورة دراماتيكية. فمع غروب الشمس، وكذلك الإثارة المحمومة التي جعلت دماء الجميع تفور في عروقهم في أثناء مواجهة رجال رودس، كانوا لا يزالون متمسكين بحماية بيلامي -وإذا كانت تلك المواجهة قد أوضحت أي شيء، فهي مدى خطورة الإذعان للمستوطنين- لكن وجوههم قد أصبحت قاتمة ومكفهرة، وبدت أصواتهم مُتَكَتِّمة ومُتعَجِّلة وهم يقتادون أطفالهم إلى منازلهم ويسرعون بإغلاق الأبواب.

كانت كلارك جالسة خارج الكابينة، تسابق ضوء الغروب الخافت وهي تستعد لإصلاح الغرز التي مزقها بيلامي في أثناء الهروب. قالت بينما كانا يستقران فوق رقعة من العشب تقع وراء الظلال الممتدة: «اخلع قميصك».

بدا بيلامي مدهوشًا وأخذ يدير رأسه من جانب إلى آخر ليرى ما إذا كان هناك أناس بالجوار: «ماذا؟ هنا؟».

- أجل، هنا. المكان مظلم للغاية داخل الكابينة.

بدا مترددًا، فرفعت كلارك حاجبيها وقالت: «منذ متى وبيلامي بليك يفكر مرتين قبل أن يخلع قميصه؟».

- بحقكِ يا كلارك. إنهم بالفعل يعتقدون أنني هارب مجنون سوف يقتلهم جميعًا. هل يجب أن أكون هاربًا مجنونًا وعاري الصدر أيضًا؟

- أجل، إلا إذا كنت تريدهم أن يروك كهارب ميت عاري الصدر. أحتاج لإصلاح تلك الغرز.

تنهد بشكل دراماتيكي ثم أمسك بحافة قميصه، مستخدمًا ذراعه السليمة، وسحبه فوق رأسه.

قالت كلارك وهي تحاول إخفاء ابتسامتها: «أشكرك».

كونه مريضًا، كان بيلامي يحمل تشابهًا كبيرًا مع بعض الأطفال الذين اعتادت معالجتهم هناك في المركز الطبي. لكن هذا كان أحد الأشياء التي أحبتها فيه. كان بإمكانه أن يكون محاربًا وصائد غزلان في لحظة، وطفلًا أحمق يرش بالماء في الجدول في اللحظة التالية. لقد أعجبت بالطريقة التي كان يلقي بها بنفسه في كل دور، وكيف يعيش كل لحظة إلى أقصى حد. كانت الأسابيع القليلة الماضية على الأرض مُنهِكة ومروعة، ولكنها كانت أيضًا ساحرة تمامًا، لأنها قد تعلمت خلالها كيف ترى الكوكب الجامح من خلال منظور بيلامي الرومانسي إلى حد غير متوقع. فعلى عكس معظم أفراد المئة، الذين كانوا يُفضِّلون الثرثرة حول النيران على استكشاف الغابة، بدا بيلامي أنه يفضل رفقة الأشجار على الناس. أحبت كلارك التمشية معه في الغابة، ومشاهدته وهو يتخلى عن سلوكه العدواني الفظ وينظر حوله في تعجب واندهاش.

استلقى بيلامي بينما أدخلت هي الخيط في الإبرة التي قد عقمتها للتو على النار. سألت كلارك وقد وضعت يدها فوق ذراع بيلامي: «أتريدني أن أرى ما إذا كان لديهم أي مسكنات؟».

فأغمض عينيه بشدة وهز رأسه قائلًا: «لا. لقد سببتُ ما يكفي من المتاعب بالفعل. لن أنتقص من أدويتهم».

زمَّت كلارك شفتيها معًا ولكنها لم تجادل. فقد كانت تعلم جيدًا أن الجدال مع بيلامي لن يُجدي نفعًا عندما يدخل في تلك الحالة من العناد. ضغطت بقوة أكبر على ذراعه، لتثبيتها ولتأهُّب نفسها كذلك.

- حسنًا. خُذ نفسًا عميقًا.

أدخلت الإبرة في جلده، وأجبرت نفسها على عدم التحرك بينما كان يجفل ويتأوه. كان أفضل ما يمكنها فعله هو العمل بسرعة ودقة، لجعل الإجراء يتم في أقصر وقت ممكن.

قالت له وهي تزيل الإبرة وتستعد لغرزة ثانية: «إنك تبلي بلاءً حسنًا».

فقال بيلامي وقد كزَّ على أسنانه بقوة: «لو لم أكن أعرفكِ جيدًا، لاعتقدتُ أنكِ تستمتعين بهذا».

نادى صوت قائلًا: «هل كل شيء على ما يرام هنا؟».

لم تلتفت كلارك، لكنها استطاعت القول بأنه كان ماكس، ومعه ويلز، وربما ساشا، يتجهون نحوهما. قال بيلامي قبل أن تتمكن من الإجابة: «رائع. فقط أستمتع قليلًا بالجانب السادي لدى كلارك. عادي جدًّا».

تأوه مرة أخرى ثم أردف: «أتركها تفعل هذا بي كل ليلة».

قالت كلارك: «لا تتحرك».

شدَّت الخيط برفق وشاهدت في رضاً الجلد وهو ينغلق على الجرح.

- أعتقد أنك لا تريد ليدي أن تفلت وتخيط شفتيك معًا عن طريق الخطأ.

كانت باستطاعتها سماع الضحك في صوت ساشا وهي تقول: «أنتما يا رفيقان حبيبان غريبا الأطوار حقًّا».

فقال بيلامي بصوته المتألم: «انظروا مَن التي تتحدث؟ فتاة أرضية تواعِد فتًى قد سقط من السماء؟».

ربطت كلارك عقدة صغيرة وقطعت الخيط الإضافي، وقالت: «ها قد انتهينا».

ضغطت على ركبة بيلامي لإخباره بأنه يمكنه الجلوس. ألقى نظرة على الغرز وهو يومئ برأسه، ثم قال بصوتٍ عالٍ حتى يسمعه الآخرون: «عمل جيد أيتها الطبيبة».

وابتسم بعد ذلك وجذبها إليه وهمس في أذنها قبل أن يطبع قبلة على رأسها قائلًا: «شكرًا لكِ».

ثم مدَّ يده يبحث عن قميصه.

قال ماكس، وهو يلقي نظرة خاطفة على الأشجار المحيطة بالقرية: «عليك التوجه إلى الداخل. لا أعتقد أن شعبك سيسبب أي مشكلات الليلة، ولكن لا داعي لتسهيل الأمر عليهم إن قرروا فعل ذلك».

تنحنح ويلز وقال: «أردت التحدث معكم بخصوص هذا. نحن نعلم أنها مسألة وقت فقط قبل عودة الحراس مجددًا، على الأرجح مع المزيد من الأشخاص، والمزيد من الأسلحة النارية هذه المرة. وبحسب ما نعرفه عن رودس، فهو لن يقلق كثيرًا بشأن إيذاء الأبرياء. سيعتبر إيواء بيلامي عملًا من أعمال الحرب».

ثم سكت لبرهة ونظر إلى ساشا، التي أومأت له إيماءة صغيرة، وتابع قائلًا: «أعتقد أنه سيكون من الآمن أن نعيد الجميع إلى الداخل. تحت الأرض... في جبل العاصفة».

حَدَّقَ ماكس إليه. وكرر الكلمة بمرارة قائلًا: «تحت الأرض».

قالت كلارك: «إنه حصن، أليس كذلك؟ إذا كان بإمكانه حجب مئات الأطنان من الإشعاع، فبالتأكيد يمكنه حجب بضعة حراس».

رمق ماكس ساشا بنظرة لم تستطع كلارك قراءتها تمامًا، لكنها كانت كافية لجعلها تعض شفتها بعصبية. وعندما تحدَّث، بدا صوته متوترًا: «نحن مدركون جيدًا لإمكانات جبل العاصفة. لقد عاش شعبنا فيه لقرون، أجيال كاملة دُفِنَت هناك. لقد عاشوا وماتوا دون أن يلمحوا السماء أبدًا. وعندما صعدنا أخيرًا فوق سطح الأرض، تعهدنا بالبقاء حيث أصبحنا. لن نسمح لأي شيء -ولا لأي شخص- أن يجبرنا على العودة إلى تحت الأرض مرة أخرى».

وبصفتها شخصًا نشأ في محطة فضائية، التي كانت لا تزال تشعر بأثر إحساسها المثير بأول نَفَس لها لهواء الصباح المنعش، استطاعت كلارك أن تتفهم ما يقوله ماكس. ولكن إذا أصبح الخيار بين العيش تحت الأرض والموت في الأعلى، فإن الخيار واضح.

قالت: «إن رودس لن يتوقف حتى يحصل على ما يريد. ولن يهتم بعدد الأشخاص الذين سيقتلهم في سبيل ذلك».

احتد وجه ماكس وقال: «لقد حاربنا معتدين من قبل. إننا نعرف كيف ندافع عن أنفسنا».

قال يلز: «لكن لم تحاربوا أناسًا كهؤلاء. هؤلاء جنود مدربون.. جيش صغير. أعرف أن الأرضيين الآخرين خطرون، ولكن لا يمكن مقارنتهم برجال رودس».

سكت ماكس، ولكن على الرغم من أن تعبير وجهه ظل صارمًا، كان بإمكان كلارك معرفة أنه كان يفكر بجدية في كلام ويلز.

تحدثت ساشا أولًا قائلة: «أبي، يجب أن نستمع إلى كلام ويلز. إنه يعرف ما يتحدث عنه. أنا أيضًا لا أريد الذهاب إلى تحت الأرض، ولكن في هذا الحال، أعتقد أن هذا هو الشيء الصائب لفعله».

حدَّق ماكس إليها بنظرة تنم عن التفاجؤ، ثم تغير شيء ما في وجهه، كما لو كان ينظر إلى ابنته من منظور جديد، قد تحولت من كونها طفلة إلى كونها صديقة يثق برأيها.

خفق قلب كلارك متألمًا إذ تذكرت أباها والساعات الطويلة التي أمضياها في مناقشة تدريب كلارك الطبي أو بحثه الخاص. في السنة التي سبقت اعتقاله، كان قد بدأ يعاملها كزميلة موثوقة، وصديقة حقيقية. هل ستتاح لها الفرصة لتخبره بكل مغامراتها على الأرض؟ هل ستتمكن من مشاركته كل الأسئلة التي كانت تحتفظ بها خصيصى له؟

وأخيرًا، أومأ ماكس قائلًا: «حسنًا، سنفعل هذا بهدوء. وعلينا أن نؤكد لشعبنا أن هذا مجرد إجراء احترازي. سنرسل الإشارة ونجعل الجميع يتحركون على الفور. ويلز، تعال معي. يمكنك إطلاعنا على تفكير رودس واستراتيجيته بينما نُجري الإخلاء».

وبعد التشاور مع بعض مستشاريه، قرر ماكس نقل الجميع إلى داخل جبل العاصفة في تلك الليلة. أرسل بعض المهندسين أولًا للتأكد من أن الحصن مُهيَّأ لتدفق الناس إليه، وقضى بقية المساء يتنقل من منزل إلى آخر موضحًا الموقف.

بحلول منتصف الليل، كان جميع أفراد هذا المجتمع قد اجتمعوا عند قاعدة الجبل، مستعدين لقضاء الليل في أعماقه لأول مرة منذ عقود. حمل معظم الناس طعامًا وملابس، واقتادوا الأطفال الذين كانوا متشبثين بألعابهم المفضلة.

وقف ماكس بجانب الباب المعدني الضخم المنغرس في سفح التل، الذي قد فُتِحَ للسماح لجموع الناس بالدخول. انتظر كل من بيلامي وكلارك في الخلف حتى أصبح الجميع في الداخل تقريبًا، وكذلك كان ويلز، الذي وقف يراقب مع ساشا.

سألت كلارك ماكس عندما اقتربا: «هل هناك أي شيء أستطيع فعله؟».

- فقط تأكدي من أن الجميع قد استقر. يوجد من الغرف ما يكفي، ولكن يصعب العثور على بعضها. إذا بدا أي شخص تائهًا، يمكنكِ إخبارهم بأن ينتظروني. سأكون في الأسفل في غضون بضع دقائق.

أومأت كلارك برأسها، وأمسكت بيد بيلامي، وقادته عبر الباب نزولًا لأول درجة من سلالم ضيقة شديدة الانحدار التي بدت أنها تمتد وصولًا إلى مركز الأرض. لقد كان كلاهما داخل جبل العاصفة من قبل، ولكن حدث ذلك عندما كانا يعتقدان أن الأرضيين هم أعداؤهما، لذلك لم يقضيا حينها قدرًا كبيرًا من الوقت في التأمل والإعجاب بهذه البنية المذهلة. لم يكن هذا كهفًا مظلمًا.. لقد كان مخبأً متطورًا بناه أفضل المهندسين في أمريكا لكي يصمد في وجه الكارثة.

شقت كلارك وبيلامي طريقهما نزولًا إلى الممر السكني الأول، وهو عبارة عن قاعة ساطعة الإضاءة تصطف على جانبيها غرف النوم. وفي نهايتها، كانت هناك امرأة ممسكة بيدَي فتاتين صغيرتين تبدوان خائفتين.

سألت كلارك قائلة: «هل تحتاجون إلى أي مساعدة؟».

قالت المرأة وفي صوتها نبرة قلق: «كل الغرف ممتلئة».

فقالت كلارك: «لا تقلقي. هناك قسم كامل آخر في الطابق التالي في الأسفل. إذا انتظرتم هنا قليلًا فقط، فسأذهب مسرعة وأجده».

قالت إحدى الفتاتين الصغيرتين وهي ترفع لعبة خشبية في الهواء: «دميتي مُتعَبَة. إنها بحاجة للذهاب للفراش».

- لن يستغرق الأمر وقتًا طويلًا. وهل تعرفين ما يمكنكِ فعله في هذه الأثناء؟ يمكنكِ إخبار صديقي هنا بكل شيء عن دميتكِ.

فرمقها بيلامي بنظرة قائلًا: «ماذا؟ أنا سآتي معكِ».

- أنت ممنوع من فعل أي نشاط غير ضروري. تلك أوامر الطبيب.

ارتفع بؤبؤا عينَي بيلامي لأعلى في ضجر، ثم تنهد واستدار نحو الفتاة الصغيرة. وسمعته يقول بينما كانت تسرع بالابتعاد: «إذن... ما هي طريقة الصيد المفضلة لدميتكِ؟ هل تحب استخدام الرماح أم الأقواس والسهام؟».

ابتسمت كلارك ابتسامة عريضة بينها وبين نفسها إذ تخيلت نظرة الارتباك على وجه الفتاة عند سماع ذلك، ثم نزلت مجموعة أخرى من السلالم واستدارت في الاتجاه الذي افترضت أنه يؤدي إلى غرف النوم، لكن تصميم هذا الطابق كان مختلفًا عن الطابق أعلاه. تراجعت وحاولت السير في الاتجاه الآخر ولكن انتهى بها الحال في حيرة أكبر شاعرةً كما لو أن المكان يدور من حولها.

بدت الممرات مختلفة في هذا الجناح. كان يحتوي على عدد أقل من الأبواب وبدا أكثر نفعية، كما لو أنها قد بُنيت من أجل تخزين المعدات أو المؤن. لم تستغرب أن أول باب وصلت إليه كان يحمل لافتة مكتوبًا عليها: «عمليات البنية التحتية: غير مسموح بالدخول سوى للموظفين المصرح لهم فقط». ونظرًا إلى أن أي شخص مصرح له بفتح الباب قد مات منذ مئتَي عام على الأقل، أدركت أنه لا ضرر من إلقاء نظرة خاطفة. حرَّكت المقبض. كان مقفلًا.

انتقلت كلارك إلى الباب التالي، على الجانب الآخر من القاعة. الذي كُتِبَ على لافتته: «الاتصالات الراديوية: غير مسموح بالدخول سوى للموظفين المصرح لهم فقط». راديو؟ لم تفكر في هذا الأمر من قبل، ولكن بالطبع سيرغب الناس في وسيلة للتواصل إذا ما كانوا محبوسين داخل جبل العاصفة... ولكن مع مَن سيتواصلون؟ إذا كانوا يستخدمون هذه الغرفة، فمن المفترض أنه لن يكون هناك أي أحد متبقٍّ ليجيب عن هذا الاتصال. إلا إذا... هل من الممكن أن تكون هناك مخابئ أخرى؟ نسخ أخرى من جبل العاصفة؟

حدَّقَت كلارك إلى الباب للحظة طويلة، وشعرت بفكرة غريبة، وبعيدة، تدغدغ خلفية عقلها. لم تستطع تحديد الأمر بالضبط، ولكن شيئًا ما بخصوص هذا الباب -تلك اللافتة، وتلك الكلمات- بدا مألوفًا. جربت المقبض، ولكن كانت هذه الغرفة مقفلة أيضًا.

- كلارك؟ هل وجدتِ المزيد من الغرف؟

كان صوت بيلامي خافتًا، ولكن كانت تشوبه مسحة من القلق.

- كلارك؟

فأجابته بصوتٍ عالٍ وهي تستدير وتسرع بالنزول نحوه قائلة: «أنا هنا».

انتهيا من مساعدة الجميع على الاستقرار في أماكنهم، ثم ذهبا إلى ماكس، وويلز، وساشا لإجراء جرد لمخزونهم من المؤن. وفي طريقهم إلى الكافتيريا القديمة، أوضح لهم ماكس أن شعبه قد أبقى جبل العاصفة قيد العمل طوال هذا الوقت، تحسبًا لأي حالة طوارئ كهذه.

قالت كلارك: «إذن فأنت تعرف هذا المكان جيدًا، صحيح؟».

فأجاب ماكس، لدهشتها، قائلًا: «لقدت ولِدتُ هنا في واقع الأمر. كنتُ آخر مولود في جبل العاصفة. فبعد بضعة أشهر من ولادتي، صار من الواضح أن مستويات الإشعاع أصبحت آمنة أخيرًا، وعدنا جميعًا إلى السطح. ورغم ذلك، ما زلتُ أقضي كثيرًا من الوقت هنا. لقد كان مكاني المفضل للاستكشاف لأن الكبار نادرًا ما كانوا يدخلون إليه».

قالت كلارك وقد حاولت أن تتوخى الحذر لئلا تبدو متطفلة: «يمكنني تصوُّر هذا. إذن، بالحديث عن الاستكشاف. لقد وجدت غرفة راديو اليوم. هل تعرف ماذا قد يكون الغرض من استخدامها؟».

هز ماكس كتفيه قائلًا: «على الأغلب من أجل العبث فحسب، بصراحة. لقد كان لكل جيل نظام لإرسال الإشارات على نحو مستمر. لكن لم يحصل أي أحد -ولو لمرة واحدة- على رد. بقدر ما كنا نعلم، لم يكن هناك أي شخص ليجيب الاتصال».

شعرت كلارك بموجة غير متوقعة من خيبة الأمل، ولكن ما لبث أن انبثق سؤال آخر من بحر أفكارها المشوشة: «هل استخدمه العلماء الذين جاؤوا في أول سفينة إنزال؟».

نظر إليها ماكس مُتحيِّرًا، كما لو كان يحاول معرفة إلى ماذا تُلَمِّحُ بأسئلتها. وقال: «في الواقع، أجل. أي، لقد حاولوا على الأقل. لقد طرحوا الكثير من الأسئلة حول الراديو، حتى إنني سمحت لهم بالدخول لتجربته، لكنني قد أخبرتهم بما قلته لكم للتو...».

قاطعته كلارك قائلة: «هل لديك المفتاح؟».

- أجل لدي المفتاح. أتودين الدخول؟

- أجل، من فضلك. سيكون ذلك رائعًا فعلًا.

رمق بيلامي كلارك بنظرة متسائلة، ولكنها أشاحت بنظرها بعيدًا، تاركةً عقلها يهيم وراء سعيها للعثور على ذكرى لم تكن متأكدة من كونها من ذكرياتها أصلًا.

أجبرت كلارك نفسها على أخذ نفس عميق، تمامًا كما كانت تفعل قبل البدء في مساعدة الطبيب لاهيري في إجراء عملية جراحية معقدة. لكن هذه المرة، لم تكن على وشك استخدام المشرط للكشف عن الصمام الثلاثي لشخصٍ ما، لقد كانت تستعد لدخول قسم المعاملات. كانت كلارك تكره تلك القاعة الواسعة التي دائمًا ما كانت مكتظة، متى ما ذهبت إليها. لقد كرهت المساومة من أجل الحصول على سعر جيد، وكرهت حقًّا الاضطرار إلى إجراء محادثة قصيرة مع الحاضرين، متظاهرةً بأنها مهتمة بما إذا كان القميص يتكون من عشرة بالمئة من الألياف الأرضية أم خمسة عشر. ولكن كان عيد ميلاد ويلز غدًا، وكانت كلارك متلهفة لإيجاد الهدية المثالية له.

ولكن بمجرد أن استجمعت الشجاعة للدخول، رأت جلاس وكورا آتيتين في طريقهما إليها، مما دفع كلارك إلى الالتفاف حول الزاوية، فلم تكن ثمة أي فرصة لتتمكن من اختيار هدية لويلز وهما تراقبانها، والتعليق بصوتٍ عالٍ على اختياراتها كما لو أنها لا تستطيع سماعهما. كان عليها العودة

لاحقًا فحسب. كانتا تتفحصان قصاصات الأقمشة بنفس العناية التي كانت تتفحص بها كلارك عينات الأنسجة في المختبر.

سمعت كلارك صوتًا عاليًا لرجل جعلها تتوقف في مكانها. قال الرجل: «أنا فقط لا أرى أي ضرر في إلقاء نظرة».

- ديفيد، أنت تعلم أنه لن يكون هناك أي شيء قريب حتى مما نحتاجه في قسم المعاملات. لقد بيعت وانتهت كل الأجهزة التي تحتوي على تلك التكنولوجيا منذ سنوات. يمكننا التحقق من السوق السوداء في والدن، إذا كنت تعتقد أن الأمر يستحق المخاطرة.

حبست كلارك أنفاسها واختلست نظرة من حول الزاوية. كانا والديها! إن والدة كلارك لم تذهب إلى قسم المعاملات منذ سنوات، ولا تتذكر ذهاب والدها إلى هناك من قبل. ما الذي كانا يفعلانه هنا في منتصف النهار، بينما من المفترض أن يكونا في مختبريهما؟

قال والدها: «الراديو يعمل. نحتاج فقط لإيجاد طريقة لتضخيم الإشارة. سيكون الأمر بسيطًا، حقًّا. إننا بحاجة إلى بضع قطع من المعدات».

- هذا كله رائع للغاية، باستثناء حقيقة أنه لا يوجد أحد على الجانب الآخر ليسمعنا.

- إذا نجح أي شخص في الوصول إلى جبل العاصفة، أو إلى أحد مخابئ مراكز السيطرة على الأمراض، فسيكون بإمكانه الوصول إلى الراديو. نحتاج فقط للتأكد من...

قالت والدتها وقد خفضت صوتها: «أتعرف إلى أي مدى يبدو ما تقوله جنونيًّا؟ إن فرص نجاح ذلك متناهية الصغر».

- ولكن ماذا لو لم أكن مجنونًا؟ ماذا لو كان هناك أشخاص في الأسفل يحاولون التواصل معنا؟

خيَّم عليه الصمت لبرهة. ثم سأل قائلًا: «ألا تريدين إخبارهم بأنهم ليسوا وحدهم؟».

الحق يقال، لم يعارض أيٌّ من بيلامي وويلز وساشا عندما أخبرتهم كلارك عن والديها وكيف اعتقدت أنهما كانا على علم بالراديو في جبل العاصفة، وهو شيء يحسب لهما. كان الأمر جنونيًّا، ولكنه لم يكن أكثر جنونًا من اكتشاف بيلامي وويلز أنهما أخوان، أو من معرفة كلارك أن والديها كانا على الأرض طوال الوقت الذي قضته في حالة حداد على وفاتهما.

فتح ماكس الباب مع صوت نقرة عالية. أصدر الباب صريرًا عاليًا وهو يُفتَح بسبب المفصلات القديمة. تنحى جانبًا ومدَّ ذراعه، مشيرًا إلى كلارك بالدخول. أخذت خطوة مترددة إلى الداخل. كانت غرفة صغيرة، لا تسع أكثر من ثلاثة أو أربعة أشخاص، وكان هناك حائط كامل مغطى بمكبرات صوت، ومفاتيح تحويل، وأزرار، ومؤشرات. وعُلِّقَ على الثلاثة حوائط الأخرى لوحات إرشادية مختلفة. وقعت عينا كلارك على ملصق يُظهِر أعلامًا مختلفة بجوار سلاسل طويلة من الأرقام. وكانت التسميات كالآتي:

البرلمان الكندي، أوتاوا.

مركز السيطرة على الأمراض.

10 داوننج ستريت، لندن.

القصر الوطني، مدينة مكسيكو.

وكالة المخابرات المركزية (سي آي إيه).

جهاز الاستخبارات البريطاني (إم آي 6).

كانتاي، طوكيو.

الكرملين، موسكو.

سألت كلارك قائلة: «متى كانت آخر مرة حاولتم فيها إرسال إشارة؟».

قال ماكس: «منذ شهر تقريبًا. ومن المقرر أن نحاول مرة أخرى في غضون أسبوعين. لكن بصراحة، نحن نفعل ذلك فقط كنوع من الصيانة الروتينية، غالبًا للتأكد من أن المعدات لا تزال تعمل. لم نسمع أي شيء قط من قبل يا كلارك».

- أعرف. ولكن هذا لا يعني أن والديَّ لم يتوصلا إلى شيءٍ ما. ربما سيساعدني الوجود هنا واستخدام نفس المعدات التي استخدماها في معرفة المكان الذي ذهبا إليه.

قال ماكس وهو يومئ برأسه: «حسنًا، سأتركك لذلك إذن. حظًّا طيبًا».

سارت كلارك إلى أجهزة التحكم، ويداها ترتعشان. على اليمين، كانت هناك كومة عالية من المعدات. انبثقت منها كابلات وأسلاك من كل لون كما المخالب. مررت كلارك يديها على الآلات، في خوف شديد من الضغط على أي شيء عن طريق الخطأ. حدَّقت إلى العلامات، تراكيب من الأحرف والأرقام لم ترها من قبل: كهز، كم، غهز، مكم.

بدا مفتاح واحد واضح بما فيه الكفاية، مكتوبًا عليه: تشغيل/إيقاف. أخذت كلارك نفسًا عميقًا ورفعته بسرعة مع صوت طَقَّة عالية. حبست أنفاسها حين أضاء الجهاز بأكمله كما لو أنه قد أعيد إلى الحياة فجأة. أومضت الأضواء. صدر صوت نقرات وفرقعات من مكان ما في داخله. ومن ثم، مُلِئت الغرفة بصوت هسهسة خافتة. ثم بدأ الصوت يعلو ويصير أكثر انتظامًا. كان الأمر ساحرًا.. بدا وكأنه صوت الحياة الممكنة هناك، في مكان ما. استطاعت كلارك معرفة لماذا كان والداها يأتيان إلى هنا. لقد أرادا أن يريا بنفسيهما، وأن يسمعا اتساع الكوكب بآذانهما. ليسمعا صوت الأمل. لمحت دُرجًا صغيرًا أسفل وحدة التحكم. فتحته، ولدهشتها، وجدت كُتَيِّبًا صغيرًا. لقد كان دليل استخدام. خشخشت صفحاته في أثناء ما كانت تُقَلِّبها، وتمرر إصبعها على التعليمات. كان بإمكانها أن تقضي الليلة بأكملها بداخل حجرة الراديو. لم تكن لديها أي فكرة عن مقدار الوقت الذي مرَّ وهي تضغط على تلك الأزرار، أو تحرك المفاتيح بحذر بمقدار مليمتر أو مليمترين في اتجاه أو آخر. وفي كل مرة أجرت فيها تعديلًا طفيفًا، تَغيَّر صوت الهسهسة، بقدر ضئيل فحسب. بالكاد يمكن تمييزه، بيد أن كلارك كانت تستطيع سماعه. كان الأمر أشبه بالفارق الطفيف بين لهجة شخص فينيكسي وشخص والدني. وفي كل لحظة، شعرت بشيء لم تكن تحلم قط بأن تشعر به من جديد.. شعرت بحضور والديها. لقد استمعا إلى هذا الصوت اللامتناهي نفسه. لقد عدَّلاه وسبرا أغواره بحثًا عن أي إشارات للحياة خارج جبل العاصفة. كان

عليها فقط أن تقضي وقتًا كافيًا هنا لمعرفة ما اكتشفاه.. وإلى أين قادهما ذلك.

بحلول الوقت الذي أتى فيه بيلامي للاطمئنان عليها، كانت كلارك فعليًّا تشعر وكأنها ثملة من فرط الحماس والإثارة.

- كيف تسير الـ...

ولكن قبل أن يتمكن من إنهاء سؤاله، كانت قد ركضت إليه وطوَّقته بذراعيها، مما دفعه إلى الضحك والتأوه في آن واحد وهو يعانقها بذراع واحدة.

قالت ووجنتاها تحمرُّ خجلًا: «آسفة. يا لي من طبيبة غريبة، صحيح؟ هل أنت بخير؟».

ابتسم ابتسامة عريضة وسأل وهو يشير إلى معدات الراديو قائلًا: «أنا بخير. إذن، يبدو أن ما سمعته صحيح بخصوص هذا الشيء الذي أصابك بحماس شديد؟».

فقالت كلارك بابتسامة ضخمة: «لا شيء. إنه مجرد هواء فارغ. ولكنه مذهل!».

عقد بيلامي حاجبيه في ارتباك مبالغ فيه وقال: «آه، أعرف أنني لست عالمًا أو شيئًا من هذا القبيل، ولكن كيف لهذا أن يكون رائعًا؟».

فضربت ذراعه السليمة ضربة قوية وقالت: «حقيقة أنها تعمل في الأساس تعني أن لدي طرف خيط، أخيرًا. لقد اعتقد والداي أنه من الممكن أن يكون هناك المزيد من الناس».

ثم لوَّحت بيدها إلى السقف، إلى العالم من فوقهما وأردفت قائلة: «في مكانٍ ما! وربما أخبرهما هذا الراديو إلى أين يتجهان بعد ذلك. عليَّ فقط معرفة ما اكتشفاه. إنها بداية على الأقل!».

قال بيلامي وقد أشرق وجهه بابتسامة: «واو، كلارك، هذا لا يصدق».

ولكن ما لبث أن تلاشت ابتسامته وخيم ظل القلق على وجهه.

- ماذا هناك؟

هز رأسه وقال في أسف: «لا أود أن أكون مفسدَ الفرحة. أنا سعيد حقًا لأنك وجدتِ طرف خيط. ولكن هذا لا يغير مدى خطورة الوضع بالخارج. على الأقل في الوقت الراهن».

أمسكت بيده وشبَّكَت أصابعه بأصابعها، وقالت: «أعرف. ولكن هذا لن يمنعني».

- إذن سأذهب معكِ.

ابتسمت كلارك قائلة: «كنت آمل أن تقول ذلك».

ثم وقفت على مشط قدميها لتُقَبِّله.

- في الواقع، علينا الذهاب في أقرب وقت. غدًا. اليوم.

ابتعدت كلارك خطوة للخلف لتحدِّق إليه وقالت: «بيلامي، ما الذي تتحدث عنه؟ لا يمكننا الذهاب الآن! ليس بعد أن نزحت قرية بأكملها إلى جبل ليبقوك آمنًا».

- تلك هي النقطة. ما كان عليهم فعل ذلك. لا أحد يستحق تعريض مجتمع بأكمله للخطر وبالتأكيد ليس أنا.

قالت كلارك وهي تضغط على يده: «لقد تجاوزنا النقاش حول هذا. إن الأمر أكثر من...».

فتنهد قائلًا: «كلارك، استمعي لي فقط، أرجوكِ. لا أعرف كيف أشرح ذلك. إنه فقط... لم يحبني الكثير من الناس في حياتي. ويبدو أنه في كل مرة يهتم فيها شخص ما بي، يتأذى. أمي، ليلي، أوكتافيا...».

ثم سكت فجأةً، وانفطر قلب كلارك على الفتى الصغير الذي لم يكن لديه أحد ليعتني به، والذي نضج بسرعة كبيرة. سألت كلارك وهي تحدق إلى عينيه: «أتعتقد لو أنهم علموا بهذا سابقًا، كان سيغير ذلك من حبهم لك ولو لجزء في غاية الضآلة؟».

- إنني فقط.. فقط أكره أن أكون السبب الذي يجعل الناس دائمًا في خطر. لن أستطيع أبدًا التعايش مع نفسي لو أصابكِ أي شيء.

ثم مرر إصبعه على خدها وابتسم لها ابتسامة حزينة، وأردف قائلًا: «أنا لست مثلك. لا أستطيع خياطتك مرة أخرى».

- أأنت جاد؟ لقد كنتُ في حالة يُرثى لها عندما وصلتُ إلى هنا، بعد كل ما حدث مع والديَّ، ومع ويلز، وليلي... ومن ثم تاليا. لقد كنتُ محطمة، وأنت لملمتَ شتاتي من جديد.

قال بيلامي، بصوت خافت كمداعبة: «لم تكوني محطمة. كنتِ أجمل وأقوى فتاة رأيتها في حياتي. ما زلتُ لا أعرف ما الذي فعلته لأكون محظوظًا للغاية هكذا».

- ماذا عليَّ أن أفعل لأقنعكَ بأنني أنا المحظوظة؟

قبَّلته، بقوة أكبر من ذي قبل، تاركةً شفتيها لتُعبِّرا عن كل شيء لم تجد الكلمات لقوله.

تراجع بيلامي قليلًا، ثم وضع يده على خصرها وابتسم وقال: «أعتقد أنكِ ربما تكونين على الطريق الصحيح. على الرغم من أنني على الأرجح قد أحتاج إلى مزيد من الإقناع».

جذبها إليه، ثم تراجع إلى الوراء حتى أصبح ملاصقًا للحائط، وأخذ يضحك إذ أمسكت بقميصه وبدأت في سحبه إلى الأرض.

الفصل التاسع عشر

ويلز

لم ينم ويلز طوال الليل. ظل يتقلَّب لساعات على المرتبة الصلبة. لم يكن الأمر سيئًا للغاية بالنسبة إلى مخبأ تحت الأرض، ومن المؤكد أنه كان أفضل من النوم على الأرض هناك في المخيم، لكن عقله كان يدور دون توقف. كان ثمة صورتان مزعجتان تتزاحمان في رأسه للسيطرة على دماغه المنهك.. كأرض محايدة في انتظار أن تغزوها الفكرة الأكثر رعبًا. الأولى كانت صورة لجسد بيلامي الساكن، البارد، الوحيد في الغابة، والعشب ملطخ ببقع حمراء من دمه. والثانية لم تكن أفضل: عشرات من الأرضيين، مبعثرون فوق العشب وأمام أعتاب بيوتهم، والعديد منهم أطفال. مقتولون بوحشية من قِبل رودس ورجاله.

ومع ذلك، لا بد أن يكون قد استسلم للنوم عند نقطةٍ ما، لأنه عندما فتح عينيه، كان رأسه فوق بطن ساشا، بينما تخلل أصابعها في شعره. سألت بهدوء قائلة: «هل أنت بخير؟ لقد كان يراودك كابوس».

ورغم أن ذلك بدا أبعد ما يمكن عن الحقيقة، فإنه قال: «أجل، أنا بخير».

لم يستطع ويلز تحمُّل فكرة التخلي عن صديقه وأخيه، بيلامي. كان يفضل الموت على أن يسلمه لرجل مثل رودس. ولكنه في الوقت نفسه لم يستطع تقبُّل المخاطرة الرهيبة التي اتخذها الأرضيون بحمايتهم لبيلامي. وكما هو الحال مع العديد من القرارات التي رأى والده يواجهها، عرف ويلز أنه ليس ثمة خيار سهل.

تنهدت ساشا تنهيدة طويلة ولكنها لم تقل أي شيء. لم تكن مضطرة إلى ذلك. لقد أحبها ويلز، كانا قادرَين على فهم بعضهما بعضًا من دون الاضطرار إلى قول أي شيء على الإطلاق.

قالت وهي لا تزال تعبث في شعره شاردة الذهن: «سينتهي كل هذا قريبًا. سنُخيف رودس وسيقرر أن بيلامي لا يستحق كل هذا العناء. ومن ثم سيعود كل شيء طبيعيًّا».

نهض ويلز ليتكئ على لوح السرير، بجانب ساشا. وسأل بابتسامة مُحرَجة بعض الشيء قائلًا: «وما الذي تعنيه كلمة «طبيعي» بالضبط بالنسبة إلينا؟ حتى وقت قريب، كنتِ محتجزة في معسكرنا كسجينة».

كانوا المئة قد أمسكوا بساشا مختبئة بالقرب من ساحة المخيم عندما كانت أوكتافيا لا تزال مفقودة، وحسبها إحدى جواسيس أعدائهم.

- أعتقد أن هذا يعني أننا يجب علينا اختيار معنى جديد لكلمة طبيعي. ستبقى هنا، تُعلمنا كل تلك الأشياء عديمة الفائدة التي تعلمتها في الفضاء، وسنعلمك كيف تتفادى الموت.

قال ويلز متظاهرًا بأنه قد تلقى إساءة: «مهلًا. لقد أدينا عملًا جيدًا جدًّا في تفادي الموت قبل أن نقابلكم».

- حسنًا يا حضرة العَلَّامة. في هذه الحالة، ربما قد آن الأوان لتسوية الحساب القديم وجعلك سجيني.

أرجحت إحدى قدميها من فوقه حتى أصبحت في مواجهته، ثم ضغطت بيديها على صدره.

- سأكون سعيدًا بقضاء بقية حياتي كسجين لكِ إذا كان هذا هو ما يستلزمه الأمر.

ابتسمت ولكمت كتفه في مرح قائلة: «ولكنني جادة، إنك ستبقى هنا، معنا، أليس كذلك؟».

سكت ويلز لبرهة، لقد كان يصُب كامل تركيزه على التحديات العاجلة -إنقاذ بيلامي ومن ثم تفادي رودس- لدرجة أنه لم يتوقف ولو قليلًا للتفكير فيما سيحدث بعد ذلك. لم يكن باستطاعته العودة إلى المخيم. كان ذلك

واضحًا. لم يُرِد قط أن يجعل رودس نُصب عينيه مرة أخرى، حتى لو كان ذلك يعني التخلي عن كل شيء قد عمل بجِد لبنائه. ولكن هل يمكنه البقاء مع الأرضيين للأبد؟ ماذا سيفعل؟ كيف سيجعل نفسه مفيدًا؟ وعندما التقت عيناه عينَي ساشا، علم أنه لن يذهب إلى أي مكان. أراد أن يكون وجهها هو أول ما يراه كل صباح، وآخر شيء يراه قبل أن يغرق في النوم كل ليلة. غمرت ذهنه تصورات جديدة، وأفكار لم يكن يظن أنها ستخطر على باله، بيد أن كل هذا كان يبدو منطقيًّا إلى حد ما عندما ينظر إلى ساشا. ربما يومًا ما سيكون لديهما كابينة خاصة بهما في قرية الأرضيين. جعلته الفكرة يضيق بشوق شديد لم يشعر به من قبل. هذه هي الحياة التي أرادها. كان هذا ما كان يقاتل من أجله.

قال ويلز وقد مد يده ليداعب خدها: «أجل. سأبقى».

ثم ابتسم خشية أن تكون قد شعرت بطريقةٍ ما بالرؤية التي تدور في رأسه، وقال مازحًا: «إن سجينكِ لن يذهب إلى أي مكان».

ابتسمت وقالت وهي تتدحرج إلى الجانب لتنزل من فوق السرير: «رائع. إذن فلن تعترض على الانتظار هنا قليلًا».

شاهدها ويلز وهي تلبس حذاءها. فسأل قائلًا: «إلى أين أنتِ ذاهبة؟».

- اتضح أنه لا يوجد الكثير من الطعام هنا كما كنا نظن. سأركض للأعلى فحسب، إلى القرية، لأحضر المزيد من المستودع.

قال وهو ينزل من السرير: «سآتي معكِ».

- بالطبع لا. إذا رآك أيٌّ من المستوطنين هناك، سيكونون قادرين على تعقبك للوصول إلى بيلامي مباشرةً. وعلاوةً على ذلك...

حملت ساقَي ويلز ورفعتهما على السرير مجددًا، وأردفت قائلة: «عليك أن تحصل على قسط من النوم. نحن بحاجة لأن يكون جنرالنا في أفضل حالاته».

- ما الذي تتحدثين عنه؟ أنتِ العقل المدبر الحقيقي لهذه العملية. ولكنك لن تذهبي وحدك، أليس كذلك؟

- سأكون أسرع وأكثر أمانًا إذا ذهبت بمفردي. أنت تعرف ذلك.

ثم ابتسمت وطبعت قبلة على خده وأضافت قائلة: «سأعود على الفور».

***

أمضى ويلز الصباح في فرز الأسلحة القديمة المتربة التي قد احتُفِظ بها بداخل مخزن في جبل العاصفة. لم يكن لدى الأرضيين سوى عدد قليل من المسدسات بين تلك الأسلحة، وقد وُزِّعَت بالفعل على المقاتلين الأفضل تدريبًا، ولكن كلما زاد عدد الأشخاص الذين يمكن تسليحهم، كان ذلك أفضل. كانت معظم السكاكين ثَلِمة وغير صالحة للاستخدام، ولكن كان بعضها يستحق التوزيع على الأرضيين عندما يحين الوقت.

في وقت الغداء، ارتمى بجسده المتألم على مقعد صلب وأخذ يمضغ ببطء حصته الصغيرة من ألياف اللحم المجفف. أين كانت ساشا؟ حدَّقَ إلى الكافتيريا، متوقعًا رؤية عينيها البراقتين وشعرها حالك السواد في كل مكان ينظر إليه. لكنها لم تكن هناك.

جلست كلارك وبيلامي معًا في الطرف البعيد من الطاولة. فنادى عليهما ويلز قائلًا: «مرحبًا، هل رأيتما ساشا؟».

هزَّا رأسيهما وتبادلا نظرة حائرة سريعة. ثم سألت كلارك وقد بدأت في النهوض على قدميها: «إلى أين ذهبت؟! سأذهب للبحث عنها».

فأسرع ويلز قائلًا: «لا عليكِ».

ووقف وسارع بالذهاب إلى الطاولة التالية، حيث كان ماكس يحملق في شيء بدا أشبه بمخطط. في أي يوم آخر، كان سيكون متحمسًا لرؤية تحفة كهذه أمام عينيه، لكن في هذه اللحظة، لم يكن هناك متسع سوى لفكرة واحدة في عقله.

- معذرة يا ماكس.. ألم تعد ساشا بعد؟

رفع ماكس رأسه قائلًا: «تعود من أين؟».

فغر ويلز فاهُ عند سماعه ذلك، ثم أغلقه مرة أخرى، غير متأكد مما يجب عليه قوله. كان مرتبكًا.. ألم يكن ماكس يعلم أن ساشا قد ذهبت لإحضار طعام من قريتهم؟ ألم تخبره قبل أن تغادر؟ دفع ماكس كرسيه للخلف وهبَّ واقفًا. وسأل قائلًا: «ويلز، إلى أين ذهبَتْ؟».

أجاب ويلز بصوت أجش هامس: «اعتقدتُ أنك تعرف. إنها... إنها خرجت إلى السطح. لتُحضِر المزيد من الطعام».

- خرجت إلى ماذا؟!

ضرب ماكس بقبضته على الطاولة، مما جعل عددًا من الأشخاص يجفلون. استدار ونادى على كل من في الغرفة قائلًا: «لقد غادرت ساشا جبل العاصفة. هل رآها أحد؟».

اتسعت عشرات من العيون، وهز الجميع رؤوسهم بالنفي وهم يغمغمون بالكلام.

تمتم ماكس قبل أن يلتفت إلى ويلز مرة أخرى قائلًا: «اللعنة. كان عليَّ أن أعرف أنها ستحاول إصلاح هذا بمفردها. لقد كنا بصدد إرسال مجموعة الليلة، بعد حلول الظلام. لكنها كانت قلقة من أن يجوع الناس قبل ذلك الوقت».

- آسف جدًّا يا ماكس. لم أدرك...

قال ماكس باقتضاب وقد بدا عليه بوضوح أنه حريص على إنهاء المحادثة: «إنه ليس خطأك».

نادى رجل من عند المدخل قائلًا: «سيدي؟ إن جميع الأشخاص موجودون هنا، لا بد أنها قد ذهبت بمفردها».

شحب وجه ماكس، ونظر في الأرض فجأةً بطريقة جعلت ويلز يشعر وكأنما ثمة سهم قد اخترق قلبه. ولكنه ما لبث أن استعاد رباطة جأشه وبدأ في إصدار الأوامر. كلَّفَ امرأة تُدعى جين بتولي زمام الأمور داخل المخبأ، بينما ذهب هو للأعلى من أجل البحث عن ساشا. سار بخطوات مسرعة نحو الباب. التفتت الرؤوس بينما كان يشق طريقه عبر الكافتيريا، وهبَّ بضعة أشخاص للحاق به. وقبل مغادرة ماكس لقاعة الطعام مباشرةً، عاد إلى ويلز وأمره قائلًا: «ابقَ هنا. الوضع ليس آمنًا في الخارج».

ألقى ويلز بنفسه على المقعد، وقد كان مذهولًا لدرجة منعته من التفكير للحظة. اقتربت كلارك وبيلامي، لكنه لم يرفع رأسه. قالت كلارك: «سنذهب لنرى ما يمكننا فعله للمساعدة».

أومأ ويلز برأسه، ومن ثم خرجا من الغرفة. وبعد لحظة، رفع ويلز رأسه وصُدِمَ عندما وجد نفسه وحيدًا في قاعة الطعام. وفجأةً، شعر أنه لا يستطيع الجلوس مكتوف الأيدي للحظة إضافية، ليس وساشا في خطر. كان ماكس قد أمره بالبقاء داخل جبل العاصفة ولكنه كان المستحيل أن يستطيع الجلوس هنا فحسب وانتظار عودة رجال ماكس. لم يهتم بما قاله أي أحد.. سيذهب للبحث عنها.

ركض ويلز عبر الممر الفارغ. كان بإمكانه سماع أصوات أشخاص عند زاوية الممر وجلبة أشخاص يُسَلِّحون أنفسهم بالأقواس والسهام والرماح. انسل ويلز إلى ممر آخر وبدأ يصعد راكضًا على الدرج الملتوي شديد الانحدار قبل أن يراه أحد.

بعد بضع دقائق، خرج إلى ضوء الشمس وأخذت عيناه ترمشان حتى تكيَّفتا على الضوء. كانت الغابة من حوله غارقة في الصمت.. صمت غير طبيعي. أمعن النظر في المسافات بين الأشجار، وهو شيء علَّمته ساشا أن يفعله. لم ير شيئًا سوى المزيد من الأغصان وأوراق الشجر. تقدم للأمام، نحو المستوطنة بأكبر قدر ممكن من الهدوء. كانت القرية ساكنة بشكل مشؤوم. لا دخان يتصاعد من المداخن، ولا أطفال يركضون في الساحات. توقف ويلز للتأكد من أمان الطريق قبل الذهاب لأبعد من ذلك. ومن حيث كان واقفًا، استطاع أن يرى أن المكان كان يبدو تمامًا مثلما تركه الأرضيون.. كما لو أنهم ببساطة قد تركوا متعلقاتهم واختفوا.

كان في منتصف الطريق المنحدِر عندما سمع صوتًا من الغابة على يمينه. تجمَّدَ في مكانه واشتد إيقاع ضربات قلبه. سمع الصوت مرة أخرى، وبصورة أعلى في هذه المرة. صوت مرتعش يتوسل قائلًا: «فليساعدني أحد.. رجاءً».

هزت رَجَّة من الخوف جسد ويلز بأكمله، أسوأ بكثير من أي شيء قد شعر به في أثناء كوابيسه الرهيبة. لقد كانت ساشا. غاص ويلز بين الأغصان في اتجاه صوتها. نادى قائلًا: «ساشا! هذا أنا. إنني قادم إليكِ!».

اندفع من بين الأشجار، وأخذ يتعثر في الكروم والجذور بينما كان يشق طريقه إلى عمق الغابة. لا يمكن لأيٍّ من التخيلات المرعبة التي كانت تطارده

طوال الليل أن تكون قد أعدَّته لما شعر به عندما وجدها. كانت ترقد على جانبها على الأرض، متكوِّمة ومغطاة بالدم.

صرخ ويلز -وقد شعر بالصوت يمزِّق حلقه كما السكين- قائلًا: «لا!».

ألقى بنفسه على الأرض بجانبها وأمسك بيدها. كان بطنها ملطخًا بالأحمر الداكن. رفع حافة قميصها ورأى جرحًا عميقًا في بطنها.

- ساشا.. أنا هنا. أنتِ بأمان الآن. سأعيدك إلى المنزل، حسنًا؟

لم تجبه. رفرف جفناها ومن ثم فقدت الوعي تمامًا. حملها بعناية. تدلى رأسها على الجانب، وأخذ يترجرج بينما كان يركض بها ويلز عائدًا إلى أعلى التل باتجاه المدخل الرئيسي لجبل العاصفة. تحرك بأسرع ما يمكن، لاهثًا ومتجاهلًا الغرزة المؤلمة في جنبه.. والمخاطرة باحتمالية التعرض لهجوم من رجال رودس، الذين بالتأكيد لا يزالون بالجوار. أراد أن يصرخ قائلًا: *تعالوا وخذوني. تعالوا وحاولوا أن تؤذوني حتى أستطيع أن أمزقكم إلى أشلاء.*

على بُعد عدة أمتار، سمع أحدهم ينادي اسمه. ظهرت من الغابة فرقة من الأرضيين وتجمعوا من حوله. لقد كانوا في طريقهم للبحث عن ساشا. قال لهم ويلز بصوت يائس ومنهك: «إنها على قيد الحياة. ولكننا بحاجة لإعادتها للداخل بسرعة».

شَكَّلَ الأرضيون دائرة من حوله، وركضوا بجانبه رافعين أسلحتهم. اقتربوا من الطبقة الصخرية التي أخفت الباب الأمامي الثقيل للمخبأ. فتحها أحدهم، وهرع ويلز إلى الداخل.

وقف ماكس على الجانب الآخر للباب. أضيء وجهه بالأمل عندما رأى ويلز للوهلة الأولى، ثم تجمَّد عندما وقعت عيناه على ابنته. همس ماكس وقد مدَّ يده ليتكئ على الحائط لتثبيت نفسه: «لا. لا يا ساشا».

ثم انحنى إلى الأمام ووضع يديه على جانبَي وجهها وعاد يقول: «ساشا، حبيبتي... لا...».

قال ويلز: «ستكون بخير. نحن فقط بحاجة لنقلها إلى كلارك».

أسرعت إحدى النساء الأرضيات إلى الأمام بينما ساعد ماكس ويلز في حمل ساشا إلى أسفل الدَّرَج. شعر وكأنه كان يتحرك داخل حلم أو أنه يراقب المشهد من أعلى وهو يحمل ساشا على طول الممر. بدا الضوء والصوت بعيدَين جدًّا، كما لو كانا يظهران في نهاية نفق طويل. لا يمكن لهذا أن يحدث. لا بد أن هذا كان أحد كوابيس ويلز. سيستيقظ منه في لحظةٍ ما، ليجد وجه ساشا فوقه، تبتسم له، وشعرها الطويل يدغدغه ليوقظه بينما تهمس بـ *صباح الخير* في أذنه.

قال ماكس لاهثًا بينما كانوا يركضون: «المشفى القديم عند الزاوية التالية مباشرة».

انعطفوا، ودفع ماكس الباب ليفتحه، ثم أمسك به حتى اندفع ويلز إلى الداخل ووضع ساشا فوق طاولة العمليات. وبينما ركض ماكس لتشغيل الأضواء، أمسك ويلز بيدها. كانت باردة. وفي قلق محموم، رفع جفنيها.. وهو شيء قد شاهد كلارك تفعله مئات المرات في الأسابيع القليلة الماضية. ارتفع بؤبؤا عينيها لأعلى داخل رأسها. وكانت أنفاسها ضحلة وخشنة.

توسل ويلز قائلًا: «ساشا. ساشا، أرجوكِ. ابقي معنا. ساشا.. هل تسمعينني؟».

أومأت إيماءة طفيفة وضعيفة جدًّا، وشعر ويلز بشيء داخل صدره ينفتح على مصراعيه، ويغمر جسده بالارتياح.

- آه، حمدًا لله.

ركض ماكس وأمسك باليد الأخرى وقال: «تماسكي فحسب. المساعدة قادمة. اصمدي يا ساشا».

قال ويلز وهو يستدير نحو الباب، وكأنما عيناه تتمتعان بالقدرة على جذب كلارك أسرع إلى هناك: «نحتاج لإبقائها في وعيها. استمِر في جعلها تتحدث».

سألها ماكس وهو يُبعد شعرها عن جبينها الشاحب المغطى بالعرق: «ما الذي حدث؟».

فتحت ساشا فمها لتتكلم، لكن صوتًا لم يخرج. انحنى ماكس ووضع أذنه بالقرب من شفتيها. وبعد لحظة، نظر إلى ويلز. وقال بمرارة: «قناصة».

حاولت ساشا التحدث مرة أخرى، ولكن هذه المرة كان بإمكانهما سماعها.
قالت بصوت مرتجف: «كنت في المستودع. لم أرهم وهم يدخلون».

اندفعت كلارك إلى الغرفة راكضة، وشعرها الأشقر يتطاير خلفها. وبعد لحظة، أتى بيلامي راكضًا وراءها. وصلت كلارك إلى ساشا في خطوتين، وأمسكت بمعصمها وتفقدت نبضها. لم تقل شيئًا، ولكن كان باستطاعة ويلز أن يقرأ الأمر في عينَي كلارك. عرف أن الأمر سيئ. رفعت كلارك قميص ساشا وكشفت عن جرح عميق في أمعائها.

قالت كلارك: «لقد تعرضت لإطلاق نار، وفقدت الكثير من الدم».

كزَّ ماكس على أسنانه لكنه لم يقل شيئًا. استدارت كلارك وبدأت في فتح الأدراج، والتفتيش في داخلها. أخرجت قنينة ومحقنة وملأتها بسرعة. قامت بحقن السائل الشفاف في ذراع ساشا. استرخى جسد ساشا بالكامل على الفور، وانتظم تنفسها. فحصت بطنها من كثب. وخفَّف ويلز قبضته عن يد ساشا. أما ماكس فوقف في صمت، مُطأطأ الرأس.

قالت كلارك ببطء وهي تلتفت نحو ماكس وويلز: «إنها مرتاحة الآن».

سأل ويلز قائلًا: «ما هي الخطوة التالية إذن؟ هل ستحاولين إخراج الرصاصة؟».

لم تقل كلارك شيئًا. حدَّقَت إليه فحسب، وعيناها مملوءتان بالدموع.

أصر ويلز في السؤال بحدة قائلًا: «هيا يا كلارك. ما الخطة؟ ما الذي تحتاجينه لعلاجها؟»

- ويلز...

مشَت إلى الجانب الآخر من الطاولة ووضعت يدها على ذراعه وأردفت قائلة: «لقد فقدت الكثير من الدم. أنا لا أستطيع فقط...».

انتفض ويلز مبتعدًا عن قبضة كلارك: «إذن احصلي على مزيدٍ من الدم. خذي دمي».

شمَّرَ كُمَّه ووضع مرفقه على الطاولة، وتابع قائلًا: «ما الذي تنتظرينه؟ اذهبي وأحضِري إبرة أو أيًّا كان ما تحتاجينه».

أغمضت كلارك عينيها للحظة ثم التفتت إلى ماكس. وقالت بصوت مرتعش: «من دون أجهزة الدعم الحيوي، لن تنجو ساشا بحياتها لأكثر من بضع دقائق إذا حاولت إجراء عملية جراحية لها. أعتقد أن الأمر... أفضل هكذا. إنها تستلقي في راحة الآن، وستتمكنان من قضاء بعض الوقت معًا قبل أن...».

حدَّقَ ماكس إليها، أو بالأحرى، حدَّق من خلالها، بعينين واسعتين وخاويتين، كما لو أن دماغه قد فُصِلَ عن الواقع لحمايته من الحقيقة المرعبة أمام عينيه. ولكن بعد ذلك، تغير تعبير وجهه، وعادت عيناه تنظران إلى كلارك وقال بصوت هادئ للغاية، لدرجة أن ويلز اعتقد أنه قد تخيل سماع ذلك ليس إلا: «مفهوم».

انحنى أمام وجه ساشا، وكان لا يزال ممسكًا بيدها وهو يمسِّد شعرها: «ساشا... أيمكنكِ سماعي؟ أنا أحبكِ كثيرًا. أكثر من أي شيء».

قالت ساشا بين أنفاسها الثقيلة وعيناها لا تزالان مغمضتين: «أنا... أحب... كَ. أنا... آسفة».

- ليس هناك ما تحتاجين الاعتذار بشأنه.

ثم تحشرج صوت ماكس إذ اختنق بالبكاء وهو يردف قائلًا: «يا فتاتي الشجاعة».

نادت ساشا بصوت مبحوح قائلة: «ويلز».

ركض إليها وأمسك بيدها الأخرى، مُشَبِّكًا أصابعه بأصابعها.

- أنا هنا. لن أذهب إلى أي مكان.

ظلوا هكذا، ومرت الدقائق. وقفت كلارك جانبًا، على أهبة الاستعداد في حال احتاجت ساشا إلى المزيد من المسكنات. وقف بيلامي خلفها مُطوِّقًا إياها بذراعيه. قبع ويلز على جانب ساشا الأيمن، ممسكًا بيدها ويُبعد شعرها بلطف عن جبهتها. وأمسك ماكس بيدها الأخرى وانحنى ليهمس في أذنها. سالت الدموع من عينيه على خديها. تباطأت أنفاس ساشا وأصبحت متقطعة. كان جسدها يتوقف عن العمل، وجميعهم وقفوا مكتوفي الأيدي، عاجزين عن منعه.

لو كان بإمكان ويلز أن يمد يده إلى صدره ويقتلع قلبه ليبدله بقلبها الذابل، لَما تردد. ذلك الألم لن يكون أسوأ مما يشعر به الآن. فمع كل نفس من أنفاسها الثقيلة المجهدة، انقبض صدر ويلز، حتى صار متأكدًا أنه كان على شفا أن يغمى عليه. ولكنه لم يفعل. بقي حيث كان فحسب، عيناه مثبتتان على ساشا، يتأمل كل تفصيلة من رموشها الطويلة المرتجفة إلى النمش الذي أحبه كثيرًا. النمش الذي اعتقد أنه سيكون جزءًا من حياته إلى الأبد، ثابتًا كما النجوم.

ربما لم يعرفها إلا منذ بضعة أسابيع فقط، لكن حياته كلها تغيرت في ذلك الوقت. عندما التقاها، كان ضائعًا وخائفًا، متظاهرًا بكونه مسيطرًا ومتحكمًا في زمام الأمور ولكنه في الحقيقة كان يشعر بأنه محتال. لقد آمنت به، ساعدته في أن يصبح القائد الذي لطالما كان عليه أن يكونه، وأصبحت بالنسبة إليه كمثال يحتذي به.. مثال أظهر له ما الذي يعنيه حقًّا أن يكون شجاعًا، ونبيلًا، وغير أناني.

همس قائلًا: «أُحبكِ».

وقَبَّلَ جبينها، وجفنيها، وأخيرًا شفتيها. تنهَّد، متمنيًا أكثر من أي شيء لو أن باستطاعته تمرير نَفَسه إلى داخل جسدها. كان على استعداد لتلقِّي ألف رصاصة عن طيب خاطر لو كان ذلك يعني فقط ألا تصاب ساشا بتلك الرصاصة الواحدة. لو كان ذلك يعني أن بإمكانه تجنيب ماكس هذا الألم. وعَلِم أنه لن يغفر لنفسه، أبدًا، أو للرجال الذين فعلوا ذلك بها.

شهقت ساشا شهقة واحدة وأخيرة، ثم توقف تنفسها. ابتعدت كلارك عن بيلامي وركضت لتبدأ في محاولة إنعاشها بينما راقبها ماكس وويلز في أسى وحُرقة صامتة.

وبعد أطول بضع دقائق في حياة ويلز، وضعت كلارك رأسها على صدر ساشا، وثبتته في هذا الوضع للحظة، ثم نظرت إلى أعلى، والدموع تنهمر على وجهها. لهث ويلز قائلًا: «لاااا!!».

لم يقدر على مواجهة وجه كلارك، ولا النظر إلى ماكس. لقد انتهى الأمر. وضع أحدهم -ربما كان بيلامي- ذراعه حول ظهره، لكن ويلز بالكاد شعر بها. كان كل ما يشعر به هو الثقل الذي يسحق صدره، إذ شعر وكأنما قفصه الصدري يكاد يتحطم. وبعد ذلك استحال كل شيء إلى سواد.

الفصل العشرون

جلاس

كان لوك يحترق من الحمى. باستطاعة جلاس معرفة هذا بمجرد النظر إليه. بدت عيناه أشبه بزجاجتين، وعلى الرغم من احمرار وجهه، كانت شفتاه جافتين وشاحبتين. اعتصرت دماغها في محاولة تذكر كل الأشياء التي اعتادت أمها فعلها في أثناء مرضها عندما كانت طفلة صغيرة. وضعت قطعة قماش مبللة على جبين لوك. وكذلك نزعت عنه الغطاء وخلعت قميصه، لتدع الهواء البارد القادم من النافذة يتدفق على جسده النائم. كانت تُجلسه كل ساعتين وتضع بين شفتيه كوبًا من الماء، وتحثه على الشرب. ولكن لم يكن بوسعها فعل أي شيء حيال الجرح الرهيب في ساقه.

لقد أصابه الرمح بجرحٍ عميق. كادت جلاس يغمى عليها عندما جرَّته إلى الداخل، ومددته على الأرض، ومزَّقت بنطاله لترى الجرح في ساقه. من بين الدم والأوساخ والوحل، فزعت لرؤية عظمة بيضاء.

خلال الساعة الأولى، عملت على محاولة وقف النزيف عن طريق شدٍّ جبيرة حول أعلى فخذه، ولكن لم ينجح أي شيء. راقبته في رعب وهو يزداد شحوبًا، والأرضية الخشبية وهي تصبح زلقة بالدماء.

قال وقد بدا بوضوح أنه يحاول إبقاء صوته هادئًا رغم أن عينيه كانتا مملوءتين بالخوف والألم: «أعتقد أنني بحاجة إلى كيِّه».

سألت جلاس وهي تلقي بضمادة ملطخة بالدم جانبًا وتضع مكانها شريطًا آخر من القماش: «ما الذي يعنيه ذلك؟».

- إذا وضعتِ حرارة كافية عليه، سيتوقف النزيف وتُمنع العدوى.

ثم أومأ برأسه نحو الجمر المتوهج في المدفأة، وقال: «هل يمكنكِ إضافة المزيد من الحطب وإشعال النار من جديد؟».

أسرعت جلاس وألقت ببعض القطع الصغيرة من الحطب في النار المحتضرة، حابسةً أنفاسها وهي تراقبها تشتعل.

قال لوك مشيرًا إلى القضيب الرفيع الذي وجداه على المدفأة في الليلة الأولى: «والآن أحضِري هذا القضيب. إذا وضعتِه مباشرةً في اللهب، فمن المفترض أن يكون ساخنًا بدرجة كافية ليفي بالغرض».

لم تقل جلاس أي شيء، أخذت تراقب المعدن فحسب، في رعب متزايد، وهو يتحول إلى اللون الأحمر. قالت بتردد: «هل أنت متأكد من هذا؟».

فأومأ لوك برأسه قائلًا: «أحضِريه إلى هنا. فقط احرصي على عدم لمسه».

سارت جلاس إلى لوك وجثت على ركبتيها ببطء بجانبه. أخذ نفسًا عميقًا وقال: «والآن، عند العد إلى ثلاثة، أريدكِ أن تضعيه على الجرح».

بدأت جلاس ترتجف، وشعرت كما لو أن الغرفة تدور من حولها.

- لوك، لا أستطيع. أنا آسفة.

جفل إذ شعر بموجة جديدة من الألم، ثم أجابها قائلًا: «لا بأس. فقط مرِّريه إليَّ».

همست جلاس وهي تمرر القضيب المعدني إلى لوك ليمسكه بيده الأخرى بقوة: «آه يا إلهي!».

كانت بشرته بشكل ما باردة ومغطاة بالعرق على حد سواء. قال وهو يكزُّ على أسنانه: «لا تنظري».

وبعد لحظة، صرخ صرخة مدوية بينما ملأ أذنيها أزيزٌ مغث، علاوةً على ظهور رائحة اللحم المحترق. تصبب العرق من جبهته، وبدت صرخته أنها لن تنتهي أبدًا، ولكنه لم يتراجع. ومن ثم، ومع نخرة أخيرة، ألقى بالقضيب جانبًا، حيث ارتطم بالأرضية وتدحرج بعيدًا.

لفترة وجيزة، بدا الأمر كما لو أن ذلك الإجراء الصارم قد نجح. توقف الجرح عن النزيف، وتمكن لوك من الحصول على بضع ساعات من الراحة. ولكن بحلول الصباح التالي، بدأت الحمى. الآن أصبحت ساقه كلها ساخنة، وحمراء، ومنتفخة. كانت العدوى تنتشر. ومن حين لآخر، كان لوك يستيقظ للحظة، مرتجفًا من شدة الألم، ثم يعود إلى فقدان الوعي. كان أملهما الوحيد هو العودة إلى المخيم والعثور على كلارك، لكن احتمالات حدوث ذلك كانت أضأل من احتمال تعافي لوك بمعجزة من السماء. فهو لا يستطيع الوقوف، فما بالك بالمشي لمدة يومين. وكان الأرضيون لا يزالون بالخارج يترصدون لهما. كان بإمكانها أن تشعر بوجودهم بنفس القوة التي تشعر بها بالحرارة المنبعثة من بشرة لوك.

لم تشعر جلاس قط بأنها وحيدة إلى هذه الدرجة، ولا حتى عندما كانت في الحبس. فهناك على الأقل كانت ترى زميلتها في الزنزانة أو الحراس، وكان ثمة شخص ما يُحضِر لها الطعام. ولكن هنا، بينما كان لوك فاقدًا للوعي مع التهديد المستمر بالتعرض إلى هجوم آخر عليهما، شعرت جلاس بالعزلة والذعر معًا. لم يكن هناك أي أحد لتطلب منه المساعدة. أبقت إحدى عينيها على لوك، والأخرى على الغابة المحيطة بالكابينة. أمعنت السمع لدرجة آلمت رأسها، في محاولة جاهدة لالتقاط أدنى صوت لقصف أي غصين أو أي شيء من شأنه أن يحذرها في حالة عودة الأرضيين مرة أخرى.

وقفت عند الباب الأمامي، تحدق إلى الأشجار من حول المنزل في قلق بحثًا عن أي شيء قد ينذر بالخطر. ضرب الهواء البارد وجهها، ساخرًا منها بتذكيرها بكل ما كانت تتمتع به هي ولوك معًا -الأشجار، وضوء القمر المنعكس على الماء- كل الجمال الذي سيصبح بلا معنى لو أُخِذَ لوك منها.

تقلَّب فوق الفَرشة التي اتخذاها بديلًا للسرير على الأرض خلفها. ركضت إلى الداخل وأمسكت بيده، وهي تمسح على جبينه الساخن قائلة: «لوك؟ لوك، هل تسمعني؟».

رفرف جفناه ولكنهما لم ينفتحا. حرك شفتيه ولكن صوتًا لم يخرج. ضمت جلاس يده وانحنت لتهمس في أذنه قائلة: «سيكون الأمر على ما يرام. ستكون بخير. سأجد حلًّا ما».

قال وهو يتقلَّب من جانب لآخر كما لو كان يحاول النهوض: «لقد تأخرتُ على دورية المناوبة».

وضعت جلاس يدها على كتفه قائلةً: «كلا، أنت لست كذلك. أنت بخير. ليس لديك ما تقلق بشأنه». هل اعتقد أنه قد عاد إلى السفينة؟

بالكاد تمكن لوك من الإيماء برأسه قبل أن يغمض عينيه مرة أخرى. وفي غضون ثوانٍ، كان قد راح في النوم. أنزلت جلاس يده برفق. ثم فحصت ساقه. انتشر الاحمرار على طول ساقه وصولًا إلى ركبته، بل وإلى وِركه أيضًا. لم تكن تعرف الكثير عن هذه العلامات، ولكن كان لدى جلاس ما يكفي من الحس لتعرف أنها إذا لم تحضر إلى لوك بعض المساعدة، سيموت. عليهما الذهاب. الآن!

جلست إلى طاولة المطبخ الخشبية وحاولت تصفية ذهنها، والتخلص من الخوف الذي ظل ينخر في أحشائها لأيام. فالخوف لن يُخرجهما من هنا. كان عليها أن تفكر في شيءٍ ما. لا بد أن يعودا إلى المخيم. تلك هي فرصتهما الوحيدة للحصول على المساعدة التي يحتاجها لوك. لكن يتعين على جلاس معرفة كيف عساها أن تنقل لوك، الذي كان بالكاد يستطيع المشي حتى بمساعدتها، وكيف عساهما أن يهربا من الأرضيين في الوقت نفسه. لقد بدا السير في الفضاء فجأة بسيطًا مقارنةً بهذا. كيف يمكنهما التحرك بسرعة كبيرة بما يكفي للهرب، بينما لوك في هذه الحالة؟

أخذت عيناها تجولان في الكابينة الصغيرة بحثًا عن استلهام لأي فكرة. بدأت قبضة الخوف المُشِلَّة في تحريرها ببطء، وبدأت تروس عقلها تدور. أجل، إذا تمكنت من نقله عبر النهر... ذلك من شأنه أن ينجح... ولكن كيف ستنقله إلى النهر؟ وقعت عيناها على آلة غريبة كانت هي ولوك قد حكَّا رأسيهما في حيرة عند رؤيتها لأول مرة جاءا فيها إلى هنا. كانت متكئة على الحائط بشكل عمودي في الزاوية، وراء مقشَّة وبعض أدوات التنظيف العتيقة. ذهبت إلى الزاوية وانتشلتها، ووضعتها على الأرض. كانت في مثل طولها، ومصنوعة من شرائح خشبية طويلة. إنها عبارة عن لوح كبير تقريبًا، ولكن أحد طرفيه كان منحنيًا للخلف وكان هناك حبل مربوط في ذلك الطرف.

لقد ذكرتها بشيءٍ ما قد قرأت عنه مرة في البرامج التعليمية. شيء ما اعتاد الأطفال ركوبه فوق الثلج على الأرض. اعتصرت دماغها لتذكر الكلمة. زالقة؟ زورق؟ صعدت جلاس على اللوح بقدم واحدة، لتختبر قوته. كان قديمًا، ولكنه متين. إذا استطاعت وضع لوك فوقه، فستتمكن من سحبه، ولكن سيتعين عليها إجراء بعض التعديلات.

وقفت، وجمعت بعض الأشياء من أنحاء الغرفة، ووضعتها على الأرض بجوار الـ... زلَّاجة! اسمها زلَّاجة! كانت متأكدة من ذلك. والآن هي بحاجة فقط لإنجاح الأمر. أخذت تجمع الأشياء وتعيد ترتيبها من جديد في أشكال مختلفة، وتختبرها، ثم تحاول مرة أخرى. هزت جلاس رأسها في كدر. فإذا أخبرها شخص ما قبل ستة أشهر -أو حتى ستة أسابيع- أنها ستكوِّن شيئًا غريبًا من الخردة التي وجدتها في منزل مهجور على كوكب الأرض لكي تنقل حبيبها المصاب بجرح قاتل عبر الغابة، كانت ستضحك في وجوههم وتسألهم عما إذا كانوا يشربون الخمور غير المشروعة التي يبيعونها في آركاديا. تراجعت خطوة للوراء، وتأملت عمل يديها. بدا أن من شأنه أن يفلح. كان لا بد له أن يفلح. ستستخدم الحبل لسحب لوك خلفها. وحتى لا يسقط من مكانه، قطَّعت بطانية إلى شرائح طويلة لتتمكن من لفها حول خصره وذراعيه وساقه السليمة وربطهم جميعًا في أعلى الزلَّاجة. بدا الأمر بدائيًّا جدًّا، ولكن ببعض من الحظ، ستتمكن من نقله إلى النهر. وكان هذا كل ما تحتاج إليه.

ذهبت جلاس إلى لوك وأيقظته برفق. همست في أذنه قائلة: «لوك. سأنقلك، حسنًا؟ نحن بحاجة للعودة إلى المخيم».

لم يرد. مررت جلاس يديها من تحت ذراعيه، وعقدت ذراعيها من فوق صدره، ومع شهقة عالية، سحبته على الأرض. جفلَ عند تحرك ساقه المصابة، ولكنه لم يستيقظ. شدته إلى فوق الزلَّاجة وربطت الملاءة من حوله. أمسكت بالحبل ولفته حول يديها، ثم وقفت. تقدمت بضع خطوات للأمام، وتحرك لوك على الأرضية خلفها. لقد نجح الأمر.

أحضرت مسدس لوك -رغم أنها لم تكن متأكدة من امتلاكها الجرأة الكافية لاستخدامه- واتجهت بخطوات متثاقلة نحو الباب. وفي الثانية الأخيرة، التفتت للوراء وعادت لإحضار مجموعة من أعواد الثقاب من الطاولة

في حالة احتياجها لإشعال النار في أثناء رحلتها. كان الثقل من خلفها أكبر من قدرتها، مما جعلها غير متوازنة، ولكن كان عليها أن تعتاده. ودون أن تلقي نظرة للوراء، خرجت من الكابينة، وجرَّت الزلَّاجة خلفها إلى الساحة الضيقة التي تحيط بالمنزل.

طراااخ! أدارت جلاس رأسها، بحثًا عن مصدر الصوت. **طراخ!** سمعت الصوت ثانيةً. حملقت في الغابة. وفي خضم الغسق الخافت، بدا كل شيء وكأنه عدو. فاستدارت واندفعت عائدة نحو الكابينة، ساحبةً لوك من خلفها. شعرت بوجود حركة عند طرف عينها وسمعت أزيزًا بجانب أذنها.

جاهدت لتحريك الزلَّاجة وسمعت لوك يتأوَّه في ألم. فتحت الباب واندفعت من خلاله بأسرع ما يمكن بينما رأت سهمًا يرشق في إطار الباب، ويهتز فوق رأسها مباشرةً. انزلقت الزلَّاجة للداخل وراءها، وألقت جلاس بالحبل وأغلقت الباب فورًا وبعنف، في نفس اللحظة التي ارتطم فيه سهمان آخران. اتكأت على الباب المغلق، وأمسكت بالمسدس بيدها التي قد تعرَّقَت فجأة. نظرت حولها في أرجاء الكابينة. هل يمكنها وضع حاجز على الباب؟ هل يمكنهم أن يقتحموا المكان من خلال إحدى النوافذ؟ أحكمت قفل الباب ورفعت مسدس لوك بشكل مبدئي وحاولت السيطرة على خوفها. إذا اقتحم الأرضيون الكابينة من خلال النافذة، فهل ستستطيع مقاتلتهم؟ هل ستستطيع إطلاق النار على شخص؟ وحتى لو فعلت ذلك، فمن الواضح أنه كان هناك أكثر من واحد منهم. ولن تستطيع فتاة واحدة لم تستعمل مسدسًا من قبل مواجهة مجموعة من القتلة الأرضيين.

من فوق الزلَّاجة، تأوَّه لوك. قالت: «سيكون الأمر على ما يرام. سأجد حلًّا ما».

كانت تعرف جيدًا أن هذا لم يكن إلا كذبًا. كيف يمكنهما الهروب من كابينة محاصَرة بالأرضيين الغاضبين. حدَّقَت من خلال زاوية إحدى النوافذ. شكَّلَ الضوء الرمادي ألاعيب مع الظلال، ولكن كان ثمة حركة في الخارج. رأت ظلال أشخاص يتحركون بين الأشجار، وأيديهم ممسكة بالأقواس والفؤوس.

اتكأت جلاس على الباب وأغمضت عينيها. هذه هي النهاية. هذه المرة، سيقضون على لوك نهائيًّا ويقتلونها أيضًا. انتظرت سماع صوت وقْع الأقدام، وتَحَطُّم النوافذ، والشعور بالباب وهو يتحطم من خلفها.

لم يأتِ صوت، سوى صوت الرياح، وصوت تيار النهر. لقد كانوا ينتظرون خروجها. هل كانوا في الخارج طوال الوقت، في انتظار ظهورها حتى يتمكنوا من التصويب عليهما دون أي عائق؟ لقد جعلوها محاصَرة. لم يكن ثمة مكان يمكنها الذهاب إليه، ولا ثمة شيء بوسعها فعله غير انتظارهم حتى يتعبوا من الانتظار ويأتوا ليكسروا الباب أو يحطموا النوافذ. تسارع عقلها بحثًا عن أي مخرج. وحتى لو استطاعت تشتيت انتباههم لفترة كافية لتبتعد عن الكابينة من دون أن يمتلئ جسدها بالسهام، ماذا ستفعل بعد ذلك؟

في ذعر وارتباك، حامت عيناها في الغرفة يائسة للعثور على شيء -أي شيء- يمكنها استخدامه كإلهاء. لا شيء. كانت على وشك أن تصرخ صرخة إحباط ويأس في اللحظة التي أدركت فيها أن ثمة شيئًا ما في يدها. لقد كانت قابضة عليها بقوة لدرجة كادت تُنسيها أنها معها. بسطت جلاس أصابعها، وهناك، وجدت أعواد الثقاب التي قد أخذتها وهي في طريقها للخروج من الباب، في كفها.

تشكلت في عقلها خطة حمقاء يائسة. إذا لم يكن باستطاعتها اجتيازهم إلى النهر، فستحتاج لإيجاد طريقة للهروب لا تتطلب الجري. وقبل أن تتمكن من التفكير في خطة أفضل، شرعت في التنفيذ.

زحفت جلاس على الأرض وجلست تحت النافذة بجانب الباب الأمامي. لفَّت شريطًا من ملاءة السرير الممزقة حول قطعة من الحطب وأشعلت عود ثقاب. أضرمت النارَ في الملاءة، وبعد ثوانٍ قليلة، أصبحت ممسكة بشعلة متوهجة.

وبينما كانت الشعلة تومض وتنمو، أخذت جلاس نَفَسًا عميقًا وعدَّت عدًّا تنازليًّا: «ثلاثة، اثنان، واحد...».

ثم قفزت ومع نظرة سريعة ألقت بالشعلة من الخلال النافذة المفتوحة، مستهدفةً كومة من الحطب الجاف كان لوك قد رصَّها مقابل جدار الكابينة قبل أن يصاب. ثم انبطحت على الأرضية مرة أخرى. ساد الصمت. وللحظة مؤلمة،

اعتقدت أن خطتها قد فشلت بالفعل. ثم سمعت صوتًا: صوت طقطقة حادة، متبوعة بأزيز خافت حيث أضرمت النيران في كومة الخشب. بدأت الكابينة تتوهج مع انتشار ألسنة اللهب في الأشجار باتجاه الغابة.. تمامًا كما كانت تأمل.

التفتت جلاس إلى لوك. لم يحرك ساكنًا. كان يرقد بجانب المدفأة، بأنفاسه الضعيفة، وجبينه المرتعد في حالة شبه واعية. إذا مات لوك، فستموت جلاس أيضًا. كانت تعرف تلك الحقيقة تمامًا كما كانت تعرف اسمها.

ارتفع صوت ألسنة اللهب أكثر فأكثر، وفي غضون بضع دقائق، بدأت رائحة الهواء في الكابينة تتغير. لعنت جلاس نفسها عندما أدركت الشيء الغبي الذي فعلته.. فربما كان المنزل مبنيًّا من الحجر، ولكن هذا لن يمنع الدخان من خنقهما إذا طوَّقت النيران المكان بأكمله. كان القليل من الدخان قد بدأ للتو في الاندفاع إلى الداخل عبر النافذة المفتوحة، وبدا مرئيًّا بوضوح في خضم ضوء النيران الوامض.

اقتربت جلاس من الباب أكثر، استعدادًا للخروج سريعًا. عندما بدأ الدخان يملأ الغرفة، سحبت البطانية عن لوك وغمرتها بآخر ما تبقى لهما من مياه. كان بإمكانها سماع أصوات من الخارج، تنادي بعضها بعضًا عبر الساحة.

جثت بجانب لوك وسحبت البطانية المبللة فوقهما. أصبح الهواء أدفأ واستطاعت رؤية اللون البرتقالي لألسنة اللهب يرفرف أمام النافذة من أسفل حافة البطانية. والآن، أصبحت الأصوات في الخارج تضحك وتهتف. دعهم يظنون أنهم قد فازوا. دعهم يظنون أنها قد ماتت بالفعل. ربما سيصابون بصدمة شديدة لمطاردتها هي ولوك عندما يبدآن هروبهما. انتقل لوك إلى الزلَّاجة، وهرب من بين شفتيه تأوُّهٌ خافتٌ.

قالت: «أنا آسفة. كان عليَّ أن أحضر لك المساعدة في وقتٍ أسرع. ما كان علينا البقاء طويلًا».

أصبح الهواء حارقًا الآن. وكادت جلاس تشعر ببشرتها الساخنة تذوب وتتقشر. تدفقت موجات كثيفة من الدخان عبر النافذة، مما صعَّبَ رؤية أي شيء، وصعَّبَ التنفس. ظلا متكومَين أسفل البطانية. حاولت جلاس تخمين كم سيتمكنان من البقاء على قيد الحياة أكثر من ذلك قبل أن يفوت الأوان. فلو انتظرا طويلًا، ستحوِّط النيران المنزل بأكمله، ولن تكون هناك طريقة

للهروب. سيختنقان إذا بقيا في الدخان. دفعت جلاس نفسها عن الأرض وقد أحسَّت بحرقة في عينيها وركضت إلى الباب. علمت أنه إما الآن وإما فلا. فتحت الباب وأطلَّت على الخارج. كان الظلام قد خيَّم، وألسنة اللهب الجامحة تتراقص وتلقي بظلالها وأضوائها البرتقالية على الساحة والأشجار.

أمسكت بحبل الزلَّاجة، وتحصنت تحت البطانية، وخرجت من الباب. لهثت عندما عبرت جحيم المنزل إلى هواء الليل البارد. تأوه لوك وهي تسحبه فوق الأرض الوعرة، في طريقها نحو النهر. ولعدة ثوانٍ طويلة، لم تكن تسمع إلا طقطقة النار من خلفها فحسب. سمعت الصيحات الأولى عندما وصلت إلى القارب وبدأت تدفعه في الماء. لم يكن ضوء النيران والدخان كافيَين لإخفاء هروبهما.

قالت وهي ترفعه: «لوك، عليك أن تساعدني. للحظة فقط».

أخذت عيناه ترمشان في محاولته لفتحهما، وشعرت بعضلاته تجاهد لتحاول الحركة. وقف على رجله السليمة، وأسندته هي من تحت ذراعه. سارا مُتَلَكِّئَين معًا نحو الأمام، وحاولت إبطاء نزوله حيث كان على وشك السقوط في القارب. قذفت بالزلَّاجة من بعده وبدأت في دفع القارب لأسفل المنحدر في الماء.

تطايرت السهام بالقرب منها، وهبطت أمامهما مباشرة. كان بإمكانها سماع أصوات الأقدام وهي تركض نزولًا المنحدر نحوهما عندما بدأت في دفع القارب بكل قوتها في اتجاه النهر. وفي الثانية الأخيرة، قفزت، وكادت تسقط بعيدًا عن القارب إذ إن الماء قد سحبه باتجاه مجرى النهر. أدارت رأسها للوراء، ورأت الظلال على الكابينة المشتعلة، تندفع لأسفل المنحدر باتجاهها. استلقت جلاس بجانب لوك بينما أمطرت المزيد من السهام على جانبَي القارب المعدني.

ازدادت سرعة القارب عندما سيطرت سرعة جريان مياه النهر على حركته. رفعت رأسها لأعلى واستطاعت رؤية أشخاص يركضون على طول الشاطئ، وقد بدوا كمجرد خيالات ظلِّية أمام توهج النيران وضوء القمر. بالكاد بدت أشكالهم كأشكال بشر.

أبقت رأسها منخفضًا بينما جرفهما النهر نحو منعطف، اصطدمت السهام الأخيرة في القارب وسقطت في الماء. وبعد بضع دقائق من التوتر وحبس

الأنفاس، نهضت جلاس جالسة، وأمسكت بالمجداف وبدأت في تحريكه في المياه، في محاولة لدفع القارب بقوة أكبر لزيادة سرعته عن سرعة التيار. وعندما بدا أخيرًا أنهما قد ابتعدا عن الأرضيين بمسافة كافية، مدت يدها وحاولت استخدام المجداف لسحب القارب مرة أخرى إلى الشاطئ، لكن قوتها لم تكن كافية. تسارع خفقان قلبها بينما استمر القارب في التحرك بسرعة على طول النهر. لم يكن لديها أي فكرة عما إذا كانا يسيران في الاتجاه الخاطئ أم لا. احتاجت لاستخدام بوصلة لوك. إذا كان محقًّا في أن عليهما التوجه شمال المخيم، فإنهما يحتاجان الآن إلى التوجه جنوبًا.

استغرق الأمر ما يقرب من نصف ساعة أخرى حتى ضاق النهر لدرجة تسمح للشجيرات الكثيفة في إبطائهما. وفي نهاية المطاف، تمكنت جلاس من القفز في الماء البارد وسحب القارب إلى الشاطئ. أخرجت البوصلة من حقيبتها ووضعتها على الأرض. بالطريقة التي علَّمَها لوك. ولحسن الحظ، لقد كانا يتجهان جنوبًا. أو على الأقل، في الاتجاه الجنوبي الشرقي. أملت ألا يكون من الصعب للغاية العودة إلى المسار الصحيح. ولو أن باستطاعتها بالفعل نقل لوك...

قالت: «مرة أخرى يا لوك. أحتاجك فقط أن تنهض وتمشي معي».

تأوَّه، ولكن عندما أخرجته من القارب تعاون معها، مما سمح لها بمساعدته على الوقوف. ترنح لبضع أقدام في المياه الضحلة قبل أن يسقط أخيرًا على الضفة.

وبعد أن تخفف القارب من وزنيهما، ارتفع قليلًا في الماء، وسحبه التيار السريع بعيدًا في ظلام الليل. وبسرعة وفي صمت، أعادت جلاس لوك إلى الزلَّاجة وأمسكت بالحبل مرة أخرى. قالت في نفسها وهي تدفع الزلَّاجة بكل قوتها وتنطلق في الجري: *تماسك فحسب يا لوك.*

تلاشت أصوات النهر عندما شقَّا طريقهما إلى أعماق الغابة، لكن جلاس كانت خائفة جدًّا من التوقف والنظر وراءهما. كان عليها الاستمرار في المضي قدمًا. عليها إيجاد المساعدة للوك، حتى لو كان ذلك آخر شيء ستفعله في حياتها.

الفصل الحادي والعشرون

ويلز

كان هذا خطأه، خطأه بالكامل.

ضرب ويلز بقبضته الجدار الصخري، بقوة. سال الدم على مفاصل أصابعه، إلا أنه لم يشعر بأي ألم جسدي. كان كل ما شعر به هو ثقل أخطائه الغبية، الأنانية التي تراكمت بعضها فوق بعض، لأعلى وأعلى، مهددة بالانهيار فوقه وسحقه تمامًا في أي لحظة.

لم يعتقد قط أنه من الممكن أن يشعر بإحساس أسوأ مما شعر به بعد القبض على كلارك أو بعد موت والدته. لكن هذه كانت أسوأ لحظة مرت على ويلز. أخذ يدور في تلك الغرفة الصغيرة باحثًا عن أي شيء آخر ليركله أو يضربه. لم يكن هناك سوى سريره الضيق. السرير الذي نامت فيه ساشا قبل ساعات فقط. والآن قد ماتت.

سقط ويلز على المرتبة واستلقى على ظهره. كان الألم في صدره قويًّا جدًّا وصلبًا، شعر وكأنه يستطيع أن يلتقطه ويمسكه بين يديه. غطى وجهه بذراعيه. لقد أراد فقط حجب الضوء، وإطفاء دماغه، ودفع كل شخص وكل شيء بعيدًا. أراد الفراغ. أراد أن ينجرف في صمت الفضاء العميق اللامتناهي. لو كان هناك على السفينة، لم يكن ليتردد قبل فتح باب حجرة الضغط والدفع بنفسه إلى الخلاء.

كان سيُنهي الأمر لو استطاع. كان سيُخرج نفسه من المعادلة إذا اعتقد أن ذلك سيساعد الآخرين. لكنه كان خَجِلًا جدًّا من ترك كل شيء وراءه، ليس بعدما أحدث كل هذه الفوضى. ولكن كيف سيستطيع تصحيح الأمور؟ لم تكن هناك طريقة لتسوية الأمور بين الأرضيين ورودس. لم تكن هناك طريقة لإعادة ساشا للحياة. لم تكن هناك طريقة لإصلاح قلب ماكس المكسور.

لو أنه فقط قد أوقف نفسه قبل أن يبدأ في فعل كل هذا. لو أنه فقط لم يزِد التسرب في حجرة الضغط، لما اضطرت سفن الإنزال إلى المغادرة بتلك السرعة وذلك الشكل المفاجئ. كان سيكون لديهم المزيد من الوقت لإعداد السفن، وربما كانوا ليتمكنوا من إنزال عدد أكبر من الأشخاص. ولكن بدلًا من ذلك، ظل كل من لم يستطع شق طريقه إلى إحدى سفن الإنزال يحتضر هناك بالأعلى بسبب نقص الأكسجين. لو لم يشن هجومًا وهميًّا لإخراج بيلامي من السجن، ربما لم يصبح رودس والآخرون خائفين جدًّا من الفصيل العدواني من الأرضيين. ربما لم يتصرفوا بهذه السرعة وهذا العنف في قتل ساشا. ولو لم يتورط مع ساشا من الأساس، فربما لكان بإمكانها أن تعيش حياة طويلة وهادئة من دونه. اعتقد ويلز أنه سيختنق تحت وطأة كل هذه الأفكار. صارت أنفاسه عبارة عن شهقات، وشعر بنفسه يتعرق من فرط الذعر. لم يكن هناك مكان للذهاب إليه، ولا شيء يمكن فعله، ولا شيء يستحق قوله. لقد كان عالقًا.

وحالما بدأ في التفكير في الركض نحو الباب والهروب من جبل العاصفة، سمع صوتًا مألوفًا يردد اسمه. فتح عينيه ورأى كلارك وقد أطَّرَها الضوء الآتي من الممر. سألت قائلة: «هل يمكنني الدخول؟».

هبَّ ويلز واقفًا، ثم تراجع للخلف واتكأ على الحائط، وقد دفن رأسه في كفيه. جلست جلاس على السرير المجاور له. جلسا هكذا في صمت لبضع دقائق.

قالت كلارك أخيرًا: «ويلز، أتمنى لو كان هناك شيء يمكنني قوله».

فقال ببساطة: «لا يوجد شيء».

وضعت يدها على ذراعه. جفل، وبدت كلارك لوهلة وكأنها على وشك الابتعاد، إلا أنها لم تفعل، بل زادت من قوة ضغطتها قائلة: «أعرف ذلك. لقد فقدتُ الكثير من الناس أيضًا. وأعرف أن الكلمات لا تُحدِث أي فرق».

لم تلتقِ عينا ويلز عينَي كلارك، لكنه كان سعيدًا لأنها كانت تعرف أكثر من أي شخص كيف تثرثر بقول أشياء حول كون ساشا في مكان أفضل الآن. لقد سئم من سماع ذلك عندما ماتت والدته. ولكن الآن على الأقل كان ثمة جزء منه يصدق ذلك. لقد تخيل والدته على الأرض، وعودة روحها لموطن البشرية الحقيقي بدلًا من الحكم عليها بقضاء الأبدية بين النجوم الباردة عديمة الشعور. لكن هذه المرة كان الأمر مختلفًا. لقد كانت ساشا بالفعل حيث تنتمي. والآن لم تعد في أي مكان، لقد نُفِيَت مبكرًا جدًّا من العالم الذي أحبته كثيرًا.

همست كلارك قائلة: «أنا آسفة حقًّا يا ويلز. ساشا كانت رائعة. كانت ذكية جدًّا وقوية... ونبيلة! مثلك تمامًا. لقد كنتما فريقًا ملهمًا».

- نبيلة مثلي؟!

بدا طعم الكلمة مُرًّا في فم ويلز. وما لبث أن أردف قائلًا: «كلارك، أنا قاتل».

- قاتل؟ لا يا ويلز. ما حدث لساشا لم يكن خطأك. أنت تعلم ذلك، صحيح؟

- كان خطئي بكل تأكيد. مئة بالمئة.

نهض ويلز من على السرير وبدأ يقطع الغرفة جيئةً وذهابًا مثل سجين يعد الساعات المتبقية على إعدامه. راقبته كلارك وعيناها مملوءتان بالارتباك والقلق، وقالت: «ما الذي تتحدث عنه؟».

- أنا السبب في حدوث كل هذا. أنا النذل الأناني الذي دائمًا ما يترك وراءه أثرًا للدمار أينما ذهب.

ثم رفع إصبعه نحو السماء وأردف: «جميع من في الأعلى كانوا سيصبحون على قيد الحياة اليوم لولاي أنا».

نهضت كلارك من على السرير وأخذت بضع خطوات مترددة تجاهه.

- ويلز، أنت مُنهَك. أعتقد أن عليك الاستلقاء لبضع دقائق. ستشعر بتحسن بعد حصولك على قسط من الراحة.

كانت محقة. لقد كان مُنهَكًا، ولكن هذا لم يكن بسبب مشاهدته للفتاة التي أحبها تموت أمام عينيه فحسب. كان عبء الاحتفاظ بسرِّه الفظيع هو ما استنفد حقًّا آخر ما يملكه من فتات القوة. عاد إلى السرير. وتبعته كلارك وقد طوقته بذراعها. لم يتبق لديه شيء ليخسره. لقد بات يحتقر نفسه بالفعل. ماذا سيهم لو جعل الآخرين يحتقرونه أيضًا؟

- هنالك شيء لم أخبركِ به يا كلارك.

توتر جسدها بأكمله، لكنها ظلت صامتة في انتظار أن يُكمِل كلامه.

- لقد كسرت حجرة الضغط على متن فينيكس.

- ماذا؟

لم ينظر إليها، لكنه كان قادرًا على سماع نبرتها الملأى بالارتباك وعدم التصديق.

- كان ثمة كسر بها بالفعل، ولكنني زدتُه سوءًا. حتى يتسرب الهواء بشكل أسرع. حتى تُرسَلي إلى الأرض قبل عيد ميلادكِ الثامن عشر. كانوا سيقتلونك. ولم أستطع ترك هذا يحدث. ليس بعد كل ما فعلته بكِ. لقد كنتُ السبب في أن تُحبَسي في المقام الأول.

ما زالت كلارك لم تنطق بشيء، لذلك واصل ويلز الحديث، وقد شعر بمزيج غريب ومُخَدِّر من الارتياح والرعب ينتشر في أطرافه وهو ينطق بالكلمات التي طالما كان يخشى قولها بصوتٍ عالٍ.

- أنا السبب الذي جعلهم يضطرون إلى ترك السفينة بهذه السرعة، وأنا السبب في جعل الكثير من الناس عالقين هناك وهم يختنقون. لقد فعلتُ هذا بهم.

كانت كلارك ما زالت لم تتحدث، لذا أخيرًا، أجبر ويلز نفسه على النظر إليها، متأهبًا لرؤية نظرة الرعب والازدراء في عينيها. ولكن بدلًا من ذلك، بدت فقط حزينة وخائفة، وقد جعلتها عيناها المتسعتان تبدو أصغر سنًّا، ومتأثرة للغاية.

- أنتَ فعلت ذلك... من أجلي؟

أومأ ويلز برأسه ببطء ثم قال: «اضطررتُ إلى ذلك. لقد سمعت أبي ورودس يتحدثان، فعرفت الخطة. كانا إما سيقتلانك وإما يرسلانك إلى الأرض، وما كنتُ لأسمح لهما باتخاذ الخيار الأول».

ولدهشته، عندما تحدثت، لم تكن هناك ضغينة في صوتها. وإنما حزن فحسب.

- لم أكن لأريدك أن تفعل هذا قط. كنت أُفضِّل أن أموت على تعريض حياة العديد من الناس للخطر.

وضع رأسه بين يديه واحترق خداه من الخجل وهو يقول: «أعرف. كان الأمر جنونيًّا وأنانيًّا. كنت أعلم أنني لن أستطيع التعايش مع نفسي ومسامحتها إذا متِّ، ولكنني لا أستطيع مسامحة نفسي الآن أيضًا».

ثم ضحك ضحكة قصيرة ومُرَّة وأردف قائلًا: «بالطبع، الآن أصبحتُ أدرك أن الشيء الصحيح الذي كان يجب عليَّ فعله هو فقط قتل نفسي. لو كنتُ قد ألقيتُ بنفسي من حجرة الضغط تلك، لكان ذلك من شأنه أن يوفر على الجميع الكثير من الألم والمعاناة».

خطت كلارك خطوة إلى الوراء لتستطيع النظر في وجهه، ونظرت إليه في فزع قائلة: «ويلز، لا تقل هذا. أجل، لقد ارتكبتَ خطأً... خطأً كبيرًا. لكن هذا لا ينفي كل الأشياء الرائعة التي فعلتها. فكر في كل الأشخاص الذين أنقذتهم. إذا لم تكن قد عبثت بحجرة الضغط، لكان سيُعدَم كل فرد منا بدلًا من إرساله إلى الأرض. ليس أنا فحسب. مولي، وأوكتافيا، وإريك، والكثير غيرهم. أنت السبب وراء نجاتنا جميعًا بمجرد وصولنا إلى هنا».

- بالكاد فعلتُ. أنتِ مَن أنقذتِ حياة الجميع. أما أنا فقد قطعت بعض الحطب ليس إلا.

- لقد حوَّلتَ كوكبًا بريًّا وخطرًا إلى موطن لنا. لقد جعلتنا نرى إمكاناتنا، وما يمكننا تحقيقه إذا عملنا معًا. لقد ألهمتنا يا ويلز. لقد أخرجت أفضل ما في الجميع.

كان هذا ما أحبه في ساشا، الطريقة التي أرادته أن يصبح بها شخصًا أفضل، قائدًا أفضل. وقد خذلها، ولم يكن هناك أي شيء تستطيع كلارك فعله لإقناعه بخلاف ذلك... لكن هذا لا يعني التوقف عن المحاولة. لقد كان يدين لها بأكثر من ذلك.

قال بهدوء: «أنا... أنا فقط لا أعرف ما الذي عليَّ فعله الآن».

- يمكنك أن تبدأ بمسامحة نفسك. حاوِل على الأقل.

لم يكن لدى ويلز أي فكرة عن كيفية فعل ذلك. لقد قضى حياته كلها موجودًا في المكان المناسب والوقت المناسب، يفعل ما قيل له، يفعل ما هو متوقع منه. دائمًا ما كان يتصرف وفقًا للمبادئ، ويتخذ القرار الصحيح، بغض النظر عن مشاعره. ولكن في أكثر اللحظات الحرجة على الإطلاق، تعثَّر، وعانى بسببه آلاف من الناس. ما فعله لا يُغتَفَر.

كانت كلارك تعرفه جيدًا. كان الأمر كما لو أنها تقول كل أفكاره بصوتٍ عالٍ.

- إنني أعرف أكثر من أي شخص آخر أنك لا تحب إظهار مشاعرك يا ويلز. ولكن في بعض الأحيان عليك فعل ذلك. عليك إطلاق سراح تلك المشاعر واستخدامها بالشكل الصحيح. أنت إنسان، ومشاعرك جزء من إنسانيتك. ستجعل منك قائدًا أفضل.

أخذ ويلز يد كلارك وأمسكها بإحكام. وقبل أن يتمكن من الرد، اندلعت ضجة في الممر. أسرع كلاهما بالخروج من الغرفة، وتبعا تتدفقًا متواصلًا من الناس يسيرون في الممر. وقف ماكس في مقدمة المساحة الكهفيَّة الواسعة التي أصبحت مركز عملياتهم. بدا وجهه بائسًا وكتفاه الهزيلتان منحنيتين. وبدا وكأنما ثمة شرر يخرج من عينيه وهو يعلن قائلًا: «لدينا زوار».

ثم أشار إلى شخصٍ ما يقف بعيدًا عن الأنظار. وبينما كان يتحدث، التفَّت مئات من الرؤوس لمعرفة مَن الذي دخل إلى القبو.

- لا تقلقوا.. لا أحد منهم مسلح. لقد تحققنا من ذلك.

أطلق ويلز وكلارك تنهيدة عالية عندما تعرفا على اثني عشر شخصًا أو نحو ذلك من المئة يدلفون إلى الداخل. وكان إريك وفيليكس يقودان المجموعة.

سأل ماكس قائلًا: «هل أرسلكم رودس إلى هنا؟».

حبس الجميع أنفاسهم في انتظار ردهم.

قال إريك وهو يهز رأسه نافيًا وبصوت ثابت وهادئ كعادته: «لا، لقد جئنا لننضم إليكم. لا يوجد أي شيء لنفعله مع رودس أو مع بقية المستوطنين بعد الآن».

نظر إليهم ماكس بريبةٍ، إن سنوات خبرته قد شحذت قدرته على تقييم الناس.

- لمَ ذلك؟

نظر إريك في عينيه دون تردد، وأجاب قائلًا: «لقد أحكموا سيطرتهم على كل شيء بالكامل. لم يعد ذلك الموطن الذي بنيناه. لا يوجد نقاش، ولا تعاون. يخبر رودس الجميع بما يجب عليهم فعله. ويتأكد الحراس من تنفيذهم لأوامره. إن الأمر أشبه بالعودة إلى السفينة. لقد أصبحت كابينة السجن التي بنوها لبيلامي ممتلئة بالفعل، وضرب الحراس امرأة ضربًا مبرحًا للغاية حتى إنني لستُ متأكدًا من أنها ستتمكن من المشي مرة أخرى».

ثم سكت للحظة وقد استدار لمواجهة الأرضيين، الذين كانوا بالفعل يحدقون إليه بنظرات غير مريحة، ثم تفحصت عيناه الحشد حتى وقعتا على ويلز، وحينها أردف قائلًا: «لقد كان كل شيء أفضل كثيرًا عندما كنا تحت قيادتك يا ويلز. كانت لديك مبادئ، مبادئ تستحق القتال من أجلها».

أرخى الحزن الذي استقر في صدر ويلز قبضته، وانفجر بداخله بصيصٌ خافت من الأمل.

تنحنح ماكس، واتجهت كل الأنظار نحوه، وما لبث أن قال: «أهلًا وسهلًا بكم للبقاء معنا، إذن. سنساعدكم على الاستقرار هنا في أسرع وقت. ولكن أخبروني أولًا، هل لديكم أي فكرة عما يخطط له رودس؟».

تقدم فيليكس خطوة للأمام وأجاب قائلًا: «أجل. ولهذا أتينا إلى هنا. لقد تطوعتُ للعمل مع الحراس، لذا سمعتُ مناقشاتهم. إنهم لا يصدقون أن هناك جماعتين منفصلتين من الأرضيين. يعتقدون أنك خَطِر، ولم نستطع إقناعهم بأنك لست كذلك. يعتقدون بأنكم جميعًا تعملون معًا».

تدخَّل إريك قائلًا: «إنهم يخططون لشن هجوم. هجوم كبير. وبحوزتهم أسلحة أكثر مما كنا ندرك في البداية. لقد اكتشفنا أنهم كانوا يخزنون البنادق والذخيرة في مخبأ سري في الغابة».

عَجَّت الغرفة بالهمسات والهمهمات المضطربة، جفل ماكس قليلًا، ولكن سرعان ما استعاد ثباته، وعاد بعض من الضوء إلى عينيه. ثم سأل الوافدين الجدد قائلًا: «هل أنتم على استعداد للقتال معنا؟».

أومأ إريك وفيليكس والآخرون بقوة. وشعر ويلز بالامتنان والفخر يتصاعدان داخل صدره.

- حسنٌ جدًّا إذن. أعتقد أننا قد نحظى بفرصة للنجاح الآن بعدما حصلنا على دعمكم.

ثم هز رأسه في أسى وأردف: «ربما قد بدأنا كل هذا لمساعدة أصدقائكم، ولكن من الواضح أن هذا النزاع كان حتميًّا. لقد كانت مجرد مسألة وقت قبل أن يستدرجنا رودس إلى قتال. من الأفضل أن نسرع في التصرف قبل أن...».

أخذ نفسًا عميقًا، ثم أردف: «قبل أن يؤذى المزيد من الأشخاص».

ركض بيلامي إلى إريك وسأله قائلًا: «ماذا عن أوكتافيا، هل جاءت معكم؟ هل هي بخير؟».

- إنها بخير، ولكنها لم تأتِ معنا. لقد كان قرارًا صعبًا، ولكنها شعرت بأن عليها البقاء مع الأطفال، خاصة الآن، بعدما ازدادت خطورة الأمور أكثر وأكثر.

ثم رقَّ وجه إيريك، وربت على كتف بيلامي.

قال ويلز: «لا تقلق. بمجرد أن ننكل برودس، سنكون قادرين على إحضارهم جميعًا إلى هنا. أوكتافيا والأطفال، وأي شخص آخر يرغب في الانضمام إلينا».

أومأ بيلامي برأسه، واشتد الأسى في عينيه قبل أن يتحول إلى عزيمة جامحة. كان باستطاعة ويلز القول إنه كان على أهبة الاستعداد للقتال. جميعهم كانوا كذلك.

انخرط ماكس في محادثة مع نوابه، وكان من الواضح أنهم قد بدؤوا بالفعل في مناقشة خطط المعركة. نظر إلى ويلز، الذي تجنب مبادلته النظرة. كان لا يزال غير قادر على النظر في عينَي ماكس. وبالتأكيد، كان آخر شيء يحتاجه ماكس هو تذكير بالفتى الذي تسبب في قتل ابنته. ولكن بعد ذلك، ولدهشته، نادى ماكس اسمه قائلًا: «ويلز، تعال إلى هنا. إننا بحاجة إليك».

الفصل الثاني والعشرون

كلارك

قضت كلارك كل دقيقة من وقت فراغها في حجرة الراديو، واليوم لم يختلف عن سابقه. فبعد اجتماعهم الاستراتيجي مع ماكس، افترقوا جميعًا من أجل الإعداد للمعركة. أخبرهم إريك بأن رودس كامن يُعد حراسه لبدء الهجوم قبل فجر صباح اليوم التالي. وهذا يعني أن لديهم ثماني ساعات من الآن.

لقد اتفقوا جميعًا على أنه من الأفضل انتظار وصول المستوطنين إلى جبل العاصفة. حيث سيكون للأرضيين الأفضلية. فإن لديهم مخبأً حصينًا، تحميه الكتل الصخرية من جميع الجهات. ولديهم أيضًا معرفة وثيقة بالمكان، وهو شيء ليس لدى رودس ورجاله. لقد أُرسِلت بالفعل مجموعة من الأرضيين إلى الغابة، لكي يتسلقوا الأشجار بحيث يكونون غير مرئيين لأي شخص يمشي على الأرض. وبمجرد مرور المستوطنين من تحتهم، سيقفز المقاتلون الأرضيون من أعلى الأشجار. وهكذا سيُحاصَر نائب المستشار ورجاله بين الأرضيين في الخارج وأولئك الذين ينتظرون الهجوم من داخل جبل العاصفة.

في أحسن الأحوال، كان يمكن وصف تلك الخطة بكونها هشَّة، ولكن كان هذا كل ما استطاعوا التوصل إليه. كان عليهم الاعتماد على عنصر المفاجأة.. وعلى الكثير من الحظ. وبينما كان الآخرون يسيرون في الممرات بقلق، في انتظار الإشارة ليأخذوا مواقعهم، كانت كلارك تعزي نفسها في حجرة الراديو.

كادت تشعر بوجود والديها هناك، ومنحها ذلك شعورًا بالراحة.. والأمل.

كما منحها الهدوء فرصة لمحاولة استيعاب كل ما قاله لها ويلز. لم تكن لتتخيل هذا قط، ولا حتى في أكثر أحلامها جموحًا أو أكثر كوابيسها إزعاجًا. لم تكن لتتخيل أن ويلز قادر على فعل شيء كهذا. لقد عرَّض حياة كل شخص على المستوطنة للخطر، فقط ليمنحها فرصة للعيش حتى عيد ميلادها الثامن عشر. اجتاحتها موجة من الغثيان، كادت تجعلها تجثو على ركبتيها. كل هؤلاء الناس -كل من عرفتهم في حياتها تقريبًا- قد ماتوا، بسببها. بسبب ما فعله ويلز من أجل إنقاذها. ولكن، يعلم الرب أنها لم تكن في وضع يسمح لها بالحكم عليه. فعندما اكتشفت أن والديها كانا يُجريان تجارب إشعاعية على الأطفال غير المُسَجَّلين في مركز الرعاية، لم تفعل شيئًا لمنعهما. عرفت أكثر من أي شخص آخر ما معنى أن يضع المرء الأشخاص الذين يحبهم قبل أي شيء آخر. لقد أمضت وقتًا كبيرًا من عمرها ترى العالم باللونين الأبيض والأسود، وتفرق بين الصواب والخطأ بنفس الثقة التي تفرق بها بين الخلايا النباتية والخلايا الحيوانية في أثناء اختبار علم الأحياء. إلا أن السنة الماضية كانت كدورة دراسية مكثفة ووحشية في النسبية الأخلاقية.

أخذت كلارك تعبث في المفاتيح والأزرار بينما كانت هذه الأفكار تدور في رأسها. وفجأةً، ملأ الغرفة صوت هسهسة عالية ومنتظمة، يتردد بين الجدران الحجرية. لقد جربت توليفة جديدة من الضغط على الأزرار والمفاتيح، وإذا بصوت الهسهسة يصير أعمق وتحول إلى نغمة. ومن ثم سمعت طنينًا عالي النبرة. تقدمت للأمام قليلًا في كرسيها. كان ذلك صوتًا لم تسمعه من قبل. وعلى مهل، حركت أحد المفاتيح لشعرة أبعد. انقطع الطنين، ولوهلة قصيرة، لم يعد هناك سوى صوت التشويش المنتظم. غرق قلب كلارك في خيبة الأمل.

ثم سمعت شيئًا في أعماق هذه الهسهسة. كان صوتًا خافتًا جدًّا، وكأنه ليس إلا همسًا في وسط الرياح. لم يكن قابلًا للتمييز، ومع ذلك فقد بدا مألوفًا إلى حد ما بطريقة غريبة في الوقت نفسه. أخذ الصوت يعلو كما لو كان يتجه نحوها. أمالت كلارك رأسها نحو السماعة، وهي تجاهد من أجل الاستماع. لم تكن واثقة مما سمعته. أيمكن أن يكون...؟ هزت رأسها. لربما كانت تتخيل أشياء فحسب. هل سيصيبها يأسها بالجنون؟ لكن الصوت أصبح أعلى وأوضح... وكان بكل تأكيد صوتًا بشريًّا! لم تكن تختلق هذا. سرت قشعريرة

عبر جلدها، وبدأت نبضات قلبها تضرب بقوة أكبر في صدرها. تعرفت كلارك على ذلك الصوت. لقد كان صوت أمها.

ارتفع الصوت إلى أقصى درجة. قالت أمها بنبرة شبه آلية، كما لو أنها قد نطقت بهذه الكلمات آلاف المرات من قبل: «تَفَقُّد اتصال الراديو، حوِّل. تَفَقُّد اتصال الراديو».

أغمضت كلارك عينيها وتركت صوت أمها يتغلغل بداخلها، ويملؤها بالمزيج الأروع على الإطلاق من الارتياح والفرحة، كان الأمر أشبه بسماع دقات القلب بعد إصابة المريض بالسكتة القلبية. ارتجفت يداها عندما وصلتا إلى الزر الذي ينقل صوتها عبر الموجات الهوائية.

نادت كلارك بصوت مرتجف قائلة: «أمي؟ هل.. هل هذه أنتِ؟».

ساد الصمت لبرهة طويلة، وحبست كلارك أنفاسها حتى بدأ صدرها يؤلمها.

- كلارك؟ كلارك!

لم يكن هناك شك، لقد كانت أمها. ثم سمعت كلارك صوت رجل ينادي في الخلفية. أبوها. كان هذا حقيقيًّا. إنهما على قيد الحياة.

سألت أمها عبر الترددات، بقدرين متساويَين من الدهشة وعدم التصديق: «كلارك، أين أنتِ؟ هل أنتِ على الأرض؟».

- أجل... أنا هنا. أنا...

شقَّ النحيب طريقه من حلقها إذ بدأت الدموع تنهمر على وجهها.

- كلارك، ما الخطب؟ هل أنتِ بخير؟

حاولت إخبار والدتها بأنها بخير، ولكن لم يخرج من فمها شيء إلا المزيد من البكاء. أطلقت كلارك سراح كل الدموع التي قد حبستها بداخلها طوال الأشهر الطويلة، الملأى بالوحدة التي قضتها في الحبس، عندما اعتقدت أنها أصبحت وحيدة بمعنى الكلمة في هذا الكون. لقد امتلأ قلبها بالفرحة، وكاد فرط سعادتها يكون موجِعًا، بيد أنها لم تستطع التوقف عن البكاء.

- كلارك، يا إلهي. ما الذي يحدث؟ أين أنتِ؟

مسحت أنفها بظهر يدها وحاولت أن تأخذ نَفَسًا. ثم أجابت قائلة: «أنا بخير. إنني فقط لا أصدق أنني أتحدث إليكما. لقد أخبروني بأنهم قد أعدموكما في الفضاء. لقد.. لقد اعتقدتُ أنكما متًّا!».

فكرت في جميع المحادثات التي كانت تتمنى إجراءها مع والديها على مدار العام والنصف الماضيَين، وتتخيل ما سيقولانه عندما تخبرهما عن تجربتها، وعن ويلز، والأهم من ذلك كله، عن عجائب الأرض. تذكرت كل ما فكرت فيه على مدار ثمانية عشر شهرًا، كل ما كانت تود قوله لهما، وكل صلاة وكل دعاء لم يُقابَل سوى بصمت خانق. واليوم، الآن، قد تبدد ذلك الصمت، وأزاح ثقلًا لم تكن مدركة أنه كان يقيد قلبها طوال تلك المدة.

قال أبوها بصوت قوي، ومطمئن: «كلارك، لا بأس. نحن هنا. نحن على قيد الحياة. أين أنتِ الآن؟».

ابتسمت ابتسامة عريضة وقالت وهي تمسح أنفها في كُمِّها: «أنا في جبل العاصفة. أين أنتما؟».

قالت أمها: «أوه، كلار...».

ولكن الكلمات قُطِعَت فجأةً وعاد الطنين مجددًا. صاحت كلارك قائلة: «لاااا! لا، لا، لا!».

مررت أصابعها بشكل محموم على المفاتيح والأزرار، ولكنها لم تتمكن من العثور على التردد الصحيح مرة أخرى. تحولت دموع فرحها إلى إحباط بينما كان القلق ينغمس في صدرها. لقد شعرت وكأنها قد فقدتهما مجددًا. صرخت وهي تضرب بيدها على لوحة التحكم قائلة: «اللعنة!».

كان عليها استعادة الإشارة، بأي شكل. ولكن قبل أن تُتاح لها الفرصة لتجربة أي شيء آخر. فُتِحَ الباب، وركض بعضٌ من رجال ماكس إلى داخل الحجرة.

قال أحدهم: «كلارك. إنهم هنا. فلنذهب».

فقالت في ذهول: «ولكن الوقت مبكر جدًّا. كيف وصلوا إلى هنا بهذه السرعة؟».

- لا نعرف، ولكننا بحاجة للانتقال إلى مواقعنا.

حام رأسها وهي تحاول استيعاب ما يعنيه ذلك. لقد كان رودس وحراسه يستعدون لمهاجمة جبل العاصفة.

- لكننا لسنا مستعدين...

قال الرجل: «علينا أن نكون مستعدين. لقد حان وقت التحرك».

هبَّت كلارك واقفة ومسحت الدموع عن وجهها، في امتنان لأن الجميع كانوا منشغلين جدًّا كي يسألوا عن سبب بكائها. ودون إلقاء نظرة إلى الوراء على الأضواء الوامضة والهسهسة اللامتناهية، ركضت إلى خارج الغرفة، مستعدةً لتسليح نفسها من أجل المعركة.



الفصل الثالث والعشرون

بيلامي

لم تعد كتف بيلامي تؤلمه. كان الأدرينالين المتدفق في جسده أفضل من أي مسكن للألم. قفز من قدم لأخرى وهز يديه اللتين كانتا تتوقان للحصول على سلاح. لم يستطع أن يقرر ما الذي سيكون أكثر إرضاءً.. أن يطلق أحد سهامه لترشق بشكل مثالي في حلق رودس أم أن يطعنه برمح في صدره.

كان الأرضيون يحتشدون في مركز قيادتهم. تسلَّح العديد من الكبار بالسكاكين والرماح والأقواس، بينما كان الآخرون يستعدون لقيادة الأطفال والمُسنين إلى عمق الحصن. مدَّ بيلامي يده ليأخذ قوسًا، وقد تجعد جبينه في تركيز بينما كان يختبر الوتر.

سألت كلارك في هدوء قائلة: «هل أنت متأكد من أن هذه فكرة جيدة؟ لقد أُطلِقت رصاصة عليك يا بيل. أمامك طريق طويل لتقطعه قبل أن تتعافى تمامًا».

فأجابها وقد بدأ ينقب بحثًا عن السهام: «وفري أنفاسكِ يا آنسة جريفين. إنكِ تعلمين أنني من المستحيل بأي حال من الأحوال أن أترك هؤلاء الناس يخاطرون بحياتهم من أجلي بينما أجلس أنا بالجوار من دون أن أحرك ساكنًا».

- توخَّ الحذر فحسب.

كان وجهه شاحبًا، وعيناه حمراوين. وفي خلال الدقائق القليلة التي أمضياها معًا، للاستعداد للقتال، أخبرته بأنها استطاعت التحدث إلى والديها. ولكن لم يكن هناك وقت للاحتفال بتلك المعجزة الصغيرة، فقد كان على كليهما تركيز انتباهه على المهمة الحالية التي كانا بصددها... وهي جعل نائب المستشار يندم على أن قدمه قد وطئت الأرض يومًا ما.

قال وهو يضع بعض الأسهم التي اجتازت فحصه جانبًا: «الحذر هو اسمي الأوسط».

فابتسمت قائلة: «أعتقد أنك قد قلت الشيء نفسه عن الخطر وعن النصر».

- هذا أنا. بيلامي الحَذَر الخَطَر الانتصار بليك.

- أشعر بالغيرة. ليس لدي ولو حتى اسم أوسط واحد.

فقال بيلامي وهو يلف ذراعه حول خصرها: «أوه، يمكنني التفكير في عدد من الأسماء قد يناسبك. دعينا نرى، ماذا عن كلارك «أنا أعرف كل شيء»... المتسلطة... الـ...».

رفعت بؤبؤَي عينيها لأعلى في ضجر وضربته في صدره مازحة. أما هو فابتسم ابتسامة خبيثة وضمها إليه، وانحنى قليلًا ليهمس في أذنها قائلًا: «العبقرية... الفاتنة... المثيرة جريفين».

- لست متأكدة من أن باب المكتب يسَع كل ذلك، ولكنه أعجبني.

سأل ويلز وهو يتقدم نحوهما قائلًا: «هل الجميع جاهز؟».

لقد تغير سلوكه بالكامل. فعلى الرغم من أنه كان يرتدي قميصًا باهتًا وملطخًا وبنطالًا ممزقًا ويكاد يكون قصيرًا جدًّا، فإنه كان يتصرف كما لو كان لا يزال مرتديًا زي الضابط. قبل بضعة أسابيع، ربما قد أثارت طريقة ويلز حفيظة بيلامي، ولكن الآن، شعر بالامتنان لأن أخاه كان كُفئًا لهذه الدرجة.

قال بيلامي محاولًا تحميس الجميع: «أنا أكثر من جاهز».

مدَّ يديه ليصافح قبضتَي فيليكس، الذي كان شاحب الوجه ويلتفت من جانب لآخر بعصبية.

ابتسم بيلامي ابتسامة شيطانية وقال لويلز: «لا أطيق الانتظار حتى أركل مؤخرات بعض حراس المستوطنة».

فقال فيليكس: «أتمنى لو كانت لدي تلك الثقة التي تتحدث بها».

قال بيلامي هَزِئًا: «هذه ليست ثقة، هذه غطرسة. هناك فرق كبير».

ولدهشة بيلامي، قال ويلز: «أيًّا ما تكون، إنها شيء جيد. سنحتاج إليها».

ومع إيماءة من ماكس، تقدم ويلز إلى مقدمة القاعة، التي سرعان ما سادها الصمت، رغم أن الجو كان مملوءًا بالتوتر.

بدأ ماكس بالحديث بنبرة صارمة قائلًا: «أيها الأصدقاء، لدينا أنباء تفيد بأن هناك نحو عشرين من المستوطنين يقتربون من جبل العاصفة. وفي غضون لحظات قليلة، سنذهب إلى مواقعنا المحددة ونستعد للقتال. لقد وصلوا بسرعة أكبر مما توقعنا. ولكن اطمئنوا، سنواجههم بكل ما أوتينا من قوة. وتذكروا: إن هدفنا ليس إلحاق الأذى، ولكن منعهم من ارتكاب أعمال عنف لا معنى لها ضد الآخرين. إذا احتجنا القوة لحماية أنفسنا، فليكن، لكن هذا ليس هدفنا».

ثم التفت ليومئ برأسه إلى ويلز، الذي تنحنح واستعد لمخاطبة الحشد قائلًا: «كما توقعنا، إنهم مسلحون بأسلحة نارية... معظمهم كذلك، لذا كونوا حذرين ولا تجازفوا بأي مخاطر لا داعي لها. ولكن على الرغم من أنهم قد يحملون أسلحة نارية، فإنهم ليسوا معصومين من الخطأ».

ثم مضى يشرح قليلًا حول الكيفية التي تدرب بها الحراس، والتنظيمات التي يستخدمونها، والتكتيكات التي كان من المرجح أن يطبقوها... وأدرك بيلامي كم كان من الجيد أن تكون لديهم معلومات داخلية، بفضل الأيام التي كان ويلز فيها ضابطًا.

قال ماكس: «إن الأمر الذي يجب أن نتذكره جيدًا هو أننا لا نقاتل فقط لحماية هؤلاء الشباب الذين لجؤوا إلينا لطلب المساعدة، وإنما نقاتل لحماية طريقتنا في الحياة. لقد حاولنا التفاهم مع جيراننا الجدد، ولكن قد أصبح من الواضح بشكل كبير أن السلام والتعاون ليسا من أولوياتهم. إذا لم نوقفهم عند حدهم الآن، فلا نعرف ما الذي سيحاولون فعله في المرة القادمة».

سكت لبرهة، وأخذ يجول بعينيه في أرجاء القاعة ثم أردف: «لقد فقدت ابنتي بالفعل... لا يمكنني تحمُّل فقدان أيٍّ منكم».

ثم أخذ نَفَسًا وتسللت القوة إلى صوته مجددًا وتابع قائلًا: «لقد كافح شعبنا في مواجهة مصاعب هائلة، ولكننا ثابرنا. ربما يكون الآخرون قد تركوا الأرض لتحترق، أما نحن فبقينا وكافحنا لإبقائها موطنًا لنا».

تعالت بعض الصيحات من الحشد، وابتسم ماكس قائلًا: «هذه أرضنا، وهذا كوكبنا، وقد حان الوقت الآن لنقرر مدى استعدادنا للمخاطرة من أجل حمايته».

ابتسم ويلز ومدَّ يده لمصافحة يد ماكس. صافحه ماكس وضمه إليه وصفق على ظهره.

سأل ويلز وقد عاد ينظر إلى الحشد مرة أخرى: «هل الجميع مستعد؟».

دوت صيحة المعركة في القاعة وهزت الجدران الحجرية إذ رفع الجميع قبضاتهم في الهواء ثم جمَّعوا رماحهم وسهامهم وسكاكينهم وتوجهوا نحو المخارج، وما لبثوا أن التزموا الصمت عندما تسللوا إلى الخارج واتخذوا مواقعهم في الغابة المظلمة التي تحيط بجبل العاصفة.

علَّقت كلارك حقيبة ملآنة باللوازم الطبية على كتفها ومدت يدها لتأخذ سكينًا طويلًا. سألها بيلامي وقد تحولت حماسته إلى خوف مفاجئ: «إلى أين أنتِ ذاهبة؟».

رفعت ذقنها وحدَّقت إليه بنظرة تملؤها العزيمة، ثم أجابت قائلة: «سيصاب أناس هناك بالخارج. إنهم بحاجة إليَّ».

فتح بيلامي فمه ليحتج، ولكنه ما لبث أن أغلقه حالما أدرك مدى أنانية ذلك. كانت كلارك على حق. فبصفتها الشخص الذي يتمتع بأكبر قدر من الخبرة الطبية، كان من المنطقي أن تذهب معهم. قال لها: «فقط كوني حذرة، حذرة للغاية، حسنًا؟».

أومأت برأسها.

- أتعدينني؟

- أعدك.

وضع بيلامي يده تحت ذقنها ورفع وجهها إلى وجهه، وقال: «كلارك، أيًّا كان ما سيحدث، أريدكِ فقط أن تعرفي...».

هزت رأسها وقاطعت كلماته بقبلة. ثم قالت: «لا. سنكون بخير».

فابتسم لها قائلًا: «لقد أصبحتِ بالفعل تتقنينَ أمر الغطرسة هذا».

- إن لدي أفضل مُعلم.

قبَّلها مرة أخرى، ثم أمسك بقوسه وبدأ في السير نحو الدَّرَج. ناداه ويلز وهو يركض نحوه قائلًا: «بيلامي. اسمع، أعلم أنك لن تحب هذا، ولكننا نعتقد أنه من الأفضل للجميع أن تبقى هنا بالداخل».

حشَّف بيلامي عينيه وقال: «ماذا؟ لا يمكن أن تكون جادًّا. من المستحيل أن أبقى هنا، مستحيل بحق الجحيم! إنني لا أخاف من رودس أو أيٍّ منهم. فقط دعهم يصيبونني مرة أخرى».

- تلك هي النقطة. أنت مستهدف إلى حد كبير. ستضع كل من حولك في خطر. أعرف أنك مقاتل ممتاز. أنت من الأفضل لدينا، ولكن الأمر لا يستحق المخاطرة.

حدق بيلامي إلى ويلز، محاولًا قمع الغضب والسخط اللذين أخذا يتصاعدان بداخله. في ماذا كان يفكر ويلز بحق الجحيم لكي يحاول إبقاءه خارج المعركة؟ كان الأمر كما لو أن مواعدة ابنة زعيم أرضي ميتة قد جعلته بشكل ما الرجل الثاني في القيادة بعد ماكس. ولكن كل الأفكار الدنيئة التي كانت تتشكل في دماغه ما لبثت أن اختفت سريعًا. كان ويلز محقًّا. فإن الأمر أكبر بكثير من بيلامي ورغبته في الانتقام. لقد كان بحاجة إلى فعل ما هو في صالح المجموعة، وفي هذه الحالة، كان ذلك يعني أن عليه الابتعاد قليلًا.

ابتسم لكلارك ابتسامة حزينة وهو يضع قوسه على الأرض، ثم التفت إلى ويلز وقد وضع يده على رأسه قائلًا: «كن حذرًا في الخارج يا رجل. ولقِّن رودس درسًا قاسيًا من أجلي».

فابتسم ويلز وعانقه قائلًا: «سأراكَ قريبًا».

ثم تراجع ويلز ونظر إلى كلارك قائلًا: «هل أنتِ جاهزة؟».

أومأت إليه برأسها، ثم التفتت إلى بيلامي. لف ذراعيه حول خصرها، وضمها إليه. أسندت خدها على صدره للحظة طويلة بينما كان يُقبِّل رأسها.

قال أخيرًا وهي تبتعد: «أحبكِ».

- وأنا أيضًا أحبكَ.

نادى بيلامي بعلو صوته وهو يراقبهما يشقان طريقهما نحو الدرج قائلًا: «اعتنِ بها يا ويلز».

فالتفت ويلز لينظر في عينيه وأومأ برأسه. ثم قال بيلامي، بنبرة ألطف إلى حدٍّ ما هذه المرة: «واعتني به يا كلارك كذلك. فلتعتنيا ببعضكما بعضًا».

وفي غضون لحظة، كانا قد ذهبا.

***

لم يكن بيلامي متأكدًا من عدد الأميال التي مشاها. لقد ظل يقطع القاعة جيئةً وذهابًا، إذ كان من المستحيل أن يستطيع الوقوف ساكنًا. كان عليه أن يواصل الحركة. ساد صمت مخيف بداخل المخبأ. مرت خمس عشرة دقيقة، ثم عشرون. لم يستطع بيلامي تحمُّل الأمر. تسلل إلى خارج القاعة. وركض صعودًا على الدَّرَج الحلزوني، وفتح الباب الأمامي لجبل العاصفة. وقف في ظلال الردهة، ينصت من أجل الاستماع إلى أي إشارة تفيد بأن المعركة على وشك أن تبدأ.

وأخيرًا، تردد صدى صافرة طويلة ومنخفضة عبر قمة الجبل، متبوعًا بثلاث صيحات قصيرة. كان رجال رودس قريبين. حبس بيلامي أنفاسه. وبعد ثوانٍ، دوت الطلقة الأولى، ثم أخرى، ثم عدد أكبر من أن يستطيع عدَّه. أضيئت سماء الليل بالطلقات النارية، وسمع أصوات الرماح والسهام التي تنهمر من الأشجار. تعالت صيحات وصرخات الألم كما لو كانت تخرج من الأرض نفسها. ومن ثم، وكأنهم قد تجسدوا من العدم، بدأ الجرحى من الرجال والنساء في الخروج متعثرين من الغابة، إلى الساحة التي تحيط بجبل العاصفة. كان بعضهم من المستوطنين، والبعض الآخر من الأرضيين. جميعهم كانوا مسربلين بالدماء ويتلوون من الألم. لقد كانت مجزرة لحظية، بشعة مثل كل المشاهد التي رآها بيلامي عند تحطم سفن الإنزال.

دون تفكير، اندفع بيلامي عبر الباب. انتزع هراوة من يد رجل أرضي منهار وبدأ يلوح بها بعنف في كل اتجاه. لقد تسبب في قدر كبير من الضرر هو الآخر حتى انقض عليه ثلاثة من الأرضيين، وأمسكوه من ذراعيه ورفعوه

حرفيًّا من على الأرض وأرجعوه إلى مدخل جبل العاصفة. صار بيلامي يركل محاولًا التحرر وهو يصرخ قائلًا: «دعوني أذهب. أريد القتال!».

حذرته إحدى النساء بعنف قائلة: «إنك بحاجة للبقاء بعيدًا عن الأنظار».

وفي لحظتها، شعر بيلامي بالندم... كيف ترك نفسه ينجرف بعيدًا مرة أخرى؟! توقف عن المقاومة وبدأ يركض نحو الباب. حوَّطه الأرضيون من أجل حمايته وركضوا معه. وعلى بُعد خطوات فقط من أمان جدران جبل العاصفة، صرخ رجل على يمين بيلامي وسقط على الأرض. تجمد بيلامي في مكانه ونظر إلى الأسفل في رعب. سال الدم من صدر الرجل، ولكنه رفع ذراعه وأشار إلى بيلامي ليواصل الحركة. فعل بيلامي ما قيل له، وقفز إلى الأمام بأقصى سرعته. أصبح على بُعد بضعة أقدام قليلة فقط. شعر أن المهاجمين يقتربون من الخلف، شعر كما لو أن أنفاسهم كانت حرفيًّا تلامس قفاه. دفع نفسه إلى الأمام بكل ما أوتِيَ من قوة، كانت رجلاه تحترقان، وقبضتاه ومرفقاه يخفقون في الهواء لأعلى وأسفل. ولكن قبل أن يتمكن من الوصول إلى المخبأ الآمن، ساد الصمت كل شيء فجأة.

صاح رجل من ورائه قائلًا: «بليك، توقف، وإلا سأطلق النار عليهم جميعًا».

توقف بيلامي. والتفت وهو يلهث لالتقاط أنفاسه ليرى مجموعة من المستوطنين الملطخين بالدم والكدمات يقتربون، وقد رفعوا بنادقهم ووجَّهوها نحوه مباشرةً. تقدم الأرضيان اللذين يحرسان بيلامي أمامه ورفعا رمحيهما. شد بيلامي قبضتيه ثم فتحهما. خفق قلبه بقوة، قوة هزت جسده بأكمله.

تقدم مستوطن في زي حارس أمام المجموعة. لقد كان بورنِت، الرجل الثاني في القيادة بعد رودس. أضاءت عيناه عندما رأى بيلامي. أمر بورنِت اثنين من الأرضيين كانا يقفان بينه وبين فريسته قائلًا: «تنحيا جانبًا».

ردَّ أحد الرجلين وهو ينقل هراوته من كتف للأخرى قائلًا: «هذا لن يحدث».

فزمجر بورنِت قائلًا: «ما الذي يعنيه هذا الفتى بالنسبة إليك؟ هل ستموت من أجل حمايته؟».

قال الرجل الأرضي بهدوء: «بل من أجل منع أمثالك من الأوغاد من غزو الأرض».

ثم التفت قليلًا ونادى بيلامي قائلًا: «ابتعِد من هنا!».

تراجع بيلامي ببطء نحو الباب. وتجمَّع المزيد من المستوطنين خلف بورنِت رافعين بنادقهم. فاستدار بيلامي ليركض. سمع صوت طلقتين قويتين، ثم صوت جسدين يسقطان على الأرض. شهق ولكنه تعثر إلى الأمام. وبينما كان يلف أصابعه حول مقبض باب المخبأ، ناداه صوت ما قائلًا: «أختك في حوزتنا».

تجمد بيلامي في مكانه. انقبض صدره، كما لو أن كلمات بورنِت قد شكَّلت حبل مشنقة حول رقبته. سأل بصوت مختنق وهو يستدير ببطء: «ما الذي تنوي فعله بها؟».

- بالنسبة إلى فتى مهووس بحماية أخته، لم يكن من السهل عليك تركها وراءك، صحيح؟

قال بيلامي ببطء، غير متأكد مما إذا كان يُحدِّث بورنِت أم يُحدِّث نفسه: «كان لديها حياة هناك. كانت قد بدأت تعرف ما معنى أن تكون سعيدة».

ابتسم بورنِت بتكلف ثم قال: «والآن أصبحتَ تعرف ما معنى أن تكون رهن الاعتقال».

اندفع غضب حارق عبر عروق بيلامي.

- إنها لم ترتكب أي خطأ.

- لا تقلق. نحن لم نؤذِها... حتى الآن. لكنني أقترح أن تأتي معي، بهدوء. وإلا فلن أكون قادرًا على فعل أي شيء لأضمن لك سلامة الآنسة بليك.

جفل بيلامي من التصور الذي تشكل في ذهنه. تخيَّل أوكتافيا مكبلة في كابينة السجن، تمامًا مثلما كان هو. وجهها هزيل وشاحب ومملوء بالدموع وهي تصرخ طلبًا للمساعدة، تصرخ من أجل الأخ الذي تركها وحدها مع العدو بعد أن أقسم بأن يحافظ على سلامتها.

سأل بيلامي في محاولةٍ للمماطلة لبعض الوقت ليتمكن من التفكير في خطوته التالية: «وكيف أتأكد من أنك تقول الحقيقة؟».

رفع بورنِت حاجبًا، ثم استدار وأطلق صافرة عالية. وبعد لحظات، سمع صوت وقْع أحذية وصرخة مكتومة. ظهر أربعة حراس من وراء الأشجار،

وكانوا يجرُّون شخصين بينهم. لوهلة عابرة، شعر بيلامي بالارتياح لرؤية أن أوكتافيا لم تكن أحدهما. ولكن ما لبث أن اجتاحته موجة جديدة من الرعب. لقد كانا كلارك وويلز.

كل واحدٍ منهما يحيط به اثنان من الحراس. كانت يداهما مقيدة بإحكام خلف ظهريهما، وقد كمَّم أحدهم فميهما. أخذت عينا كلارك تتحركان في جميع الاتجاهات بعنف، بنظرات مشتعلة بالخوف والغضب. أما ويلز فكان يفرك بحدة من جانب لآخر، في محاول يائسة للهروب من قبضة آسريه.

قال بورنِت: «إذن، ما أريد منك فعله هو أن تأتي معنا بهدوء. وإلا فستجبرنا على فعل شيء لا نريد فعله».

قال بيلامي في نفسه: *كما لو أنك لا ترغب في ذلك أيها الوغد السادي.*

ثبَّت عينيه على كلارك. ظلَّا ينظران إلى بعضهما بعضًا لبضع لحظات. كانت تهز رأسها بشكل طفيف، وكان يعرف ما تعنيه تمامًا. *لا تفعل ذلك. لا تستسلم من أجلنا.* ولكن الأوان قد فات. لقد ربح رودس وبورنِت. كان من المستحيل أن يضع بيلامي كلارك وويلز أمام المزيد من الخطر بأي حال من الأحوال. لقد خاطرا بالفعل بالكثير من أجله.

قال بيلامي وهو يلقي بقوسه ويبدأ بالمشي نحو بورنِت رافعًا يديه: «دعوهما يذهبان. سأفعل كل ما تريدونه».

اندفع رجال بورنِت للأمام وأمسكوا ببيلامي من مرفقيه، ثم سرعان ما كبَّلوا يديه.

قال بورنِت: «أعتقد أننا سنأخذكم جميعًا».

دفع الحراس بيلامي إلى جانب كلارك وويلز. كان باستطاعته أن يشعر بدفء جسد كلارك بجوار جسده، فحرَّك نفسه قليلًا حتى تلاصقت ذراعاهما. أعطى بورنِت إشارة لرجاله بالتحرك، فبدؤوا يدفعون بيلامي وكلارك وويلز نحو الطريق.

ساروا في صف واحد. كان بيلامي خلف كلارك وأمام ويلز. وعلى الرغم من صعوبة المشي ويداها مقيدتان، فإن كلارك سارت مرفوعة الرأس ومستقيمة الظهر. قال بيلامي بينه وبين نفسه وقد شعر بموجة من الإعجاب رغم قتامة

الظروف: *إنها لا تعرف الخوف*. والغريب هو أن بيلامي لم يكن خائفًا كذلك. لقد فعل الشيء الصحيح. لن يدع أحدًا يموت نيابةً عنه، وإن كان ذلك يعني أن ساعاته الأخيرة كانت تقترب بسرعة، فلتكن. فقد كان يفضل تلقِّي ألف رصاصة في تلك الليلة على أن يقضي يومًا آخر متسائلًا عمن سيعاني بسببه.

رفع رأسه لينظر إلى النجوم المتلألئة في البقع الظاهرة من السماء من بين أوراق الشجر. كل السنوات التي قد قضاها في الفضاء بدت وكأنها كانت حلمًا. لقد صار هنا موطنه الآن. إلى هنا أصبح ينتمي.

قال بورنِت من خلفه: «آمل أن تكون مستمتعًا بالمنظر. فمن المقرر إعدامك فجرًا».

وهنا سيموت.

الفصل الرابع والعشرون

جلاس

لم يعد شيء على الأرض يبدو جميلًا بعد الآن. لقد أصبح كل ميل من الأرض المكسوَّة بالأشجار هو مجرد ميل آخر عليها أن تقطعه من أجل إنقاذ لوك، الذي كانت حالته تتدهور مع مرور الوقت.

حدثت نفسها في كدر قائلة: *ربما كان علينا أن نستسلم للموت هناك بالأعلى فحسب، مع بقية المستوطنة. ربما ما كان علينا القدوم إلى هنا على الإطلاق.*

ولكن لا، لم تكن لتستسلم لموتهما بهذه الطريقة أيضًا: وحيدين ومذعورين. اختلج لوك في أثناء نومه. هبَّت جلاس واقفة، وساقاها ترتعشان تحتها. مررت يدها على خده الخشن غير المحلوق ولمست شفتيه. فكرة أنه كان يحتضر قد غمرت صدرها حزنًا. كيف يمكن للأرض أن تستمر في الوجود إذا رحل لوك؟ وماذا ستفعل هي؟ لا. لا يمكنها تركه يحتضر هنا في الغابة فحسب. لقد كانت مدينة له بأكثر من ذلك.

مع كل متر تقطعه، تصبح أكثر مهارة في التحرك بهذه الطريقة، ولكن كلما اشتد ألم عضلاتها وإجهاد عقلها، تزداد قلقًا أكثر فأكثر خوفًا من أن تكون سائرة في الاتجاه الخاطئ. أخبرتها البوصلة بأنها كانت تتجه جنوبًا، لكن لا شيء بدا مألوفًا. هل سبق ومرًّا من هذا الطريق من قبل أصلًا؟

بحلول الظهيرة، كانت غارقة بالعرق. آلمها ظهرها، وارتعشت أطرافها من شدة التعب. لم يكن لديها أي فكرة عن مدى بُعد المخيم. كان عليها أن ترتاح. توقفت جلاس، وتركت الحبل، ودفعت الزلَّاجة نحو الشجرة. وعندما تأوَّه لوك من الألم، جثت على ركبتيها إلى جانبه وهمست قائلة: «مرحبًا».

وطبعت قبلة على جبينه. استطاعت أن تشعر بشفتيها أن حرارته كانت لا تزال مرتفعة جدًّا. لقد مرت أيام وهو يعاني من الحمى على هذا الحال. اجتاحتها موجة من الشعور باليأس. هل ستستطيع فعل ذلك؟ كيف ستستطيع نقله لكل هذه المسافة بمفردها؟ لقد كانت بالكاد تقوى على رفعه، ناهيك برفعه وصد الحيوانات المفترسة العنيفة. إذا تعرضا للهجوم مرة أخرى، تعرف أنها ستكون الأخيرة.

وقفت جلاس ووضعت يديها على خصرها وأخذت تنظر إلى السماء. زفرت ببطء، في محاولة لخفض معدل ضربات قلبها. تستطيع فعل ذلك! عليها فعل ذلك. وبينما كانت تستجمع قواها، وقعت عيناها على جذع الشجرة خلف الزلَّاجة. على ارتفاع أقدام قليلة فوق رأسها، رأت شيئًا ما.. بقعة بدت أفتح مما حولها من اللحاء المتعرج الخشن. وقفت جلاس على طرفَي قدميها ورفعت رقبتها لتتمكن من الرؤية. حدَّقت بشدة ورفعت نفسها لأعلى بأقصى ما يمكنها. وعندما استوعبت أخيرًا ما كانت تنظر إليه، خرجت منها شهقة اندهاش ثم ضحكت بصوتٍ عالٍ في قلب الغابة، حيث لا يستطيع أحد سماعها سوى لوك الفاقد للوعي. ففي وسط منظر طبيعي ذي طابع بري وموحش يجعل المرء يشعر وكأنما أقدام البشر لم تطأ الأرض قط من قبل، كانت ثمة رسالة، حروف منحوتة في اللحاء بيد بشرية. كان هذا فحسب ما استطاعت قراءته: **ر ♡ س**

كان الأمر كما لو أن صوتًا قد جاء من الماضي ليهمس لها ويخبرها بأن كل شيء سيكون على ما يرام. لقد أحب «ر» و«س» بعضهما بعضًا، هنا تحت هذه الشجرة، حيث تكافح جلاس الآن من أجل الفتى الذي أحبته. في ظل ظروف أخرى، كانت ستتمكن هي ولوك من نحت الحرف الأول من اسميهما مثلهما تمامًا. ولكن مَن هما صاحبا هذين الحرفين، وكم مضى من الوقت منذ أن كانا يجلسان معًا هنا؟ هل كانا صغيرين أم كبيرين؟ حب أول، أم زوجان

قديمان؟ ربما كانا حبيبين من زمن ما قبل الكارثة، وعلى الأرجح أنهما لم ينجوَا. شخصان على الأرجح لم يعرفا مدى الرعب الذي كان ينتظر الجنس البشري. كل ما كانا يعرفانه أن حبهما كان يستحق أن يترك رمزًا للأجيال القادمة. لقد أثارت رؤية ذلك الشعار المنسي منذ أمد طويل شيئًا ما بداخل بصدر جلاس. لم يكن ليخطر على بال هذين الحبيبين قط أن فتاة من الفضاء ستعثر على نقشهما. هل كان سيهمهما ذلك؟ على الأغلب لا. كان حبهما هو كل ما يهمهما. لم يكن عليهما الاهتمام بأي شيء آخر. نظرت جلاس إلى لوك، الذي كان صدره يعلو ويهبط بإيقاع ثابت. بغض النظر عن مدى خوفها، وبغض النظر عما إذا ما سيتمكنان من العودة إلى المخيم أم لا، لقد كانا محظوظَين لكونهما على قيد الحياة في هذا الوقت، في هذا المكان. كانت هذه اللحظة هي كل ما يملكانه. إذا أرادا المزيد، فعليها أن تكافح من أجله.. من أجلهما.

قرفصت على الأرض، ورفعت الحبل على كتفها مرة أخرى، وقد شعرت بأن الطاقة قد دبَّت في جسدها من جديد. كان عليهما العودة إلى بر الأمان، من المستحيل أن تستسلم الآن. شقَّت طريقها عبر مجموعة كثيفة من الأشجار، ثم رأت شيئًا جعل معدتها تختلج. لقد رأت بُحيرة. هل يمكن أن تكون...؟ من المؤكد أن جميع البحيرات على الأرض بدت متشابهة إلى حد ما. ولكن فجأة، استطاعت رؤية بقايا السفن المحترقة من بعيد.

أطلقت جلاس صيحة عالية وكانت ستقفز عاليًا لولا عظامها التي تؤلمها. لقد شارفت على الوصول. لم يعد بينها وبين المخيم سوى أميال قليلة فحسب. ولكن عندما حدَّقت إلى المنحدر الحاد على الجانب الآخر من البحيرة، غرق قلبها في خيبة أمل. سيستغرق الأمر ساعات لسحب لوك من حول البحيرة وصعود المنحدر به وصولًا إلى المخيم. هل سيتمكن لوك من الصمود كل هذا الوقت؟ لو لا، فالأمل فقط أن يستسلم جسدها سريعًا للحزن الذي سيقتلها في نهاية المطاف. فقد كانت تفضل البقاء مع لوك، في هدوء الغابة إلى الأبد، على أن تقضي بقية حياتها بحِمل أثقل من الزلَّاجة... حِمل قلبها المكسور.

الفصل الخامس والعشرون

ويلز

تعثر ويلز في المخيم خلف كلارك وبيلامي. كانت يداه مخدرتين من الأصفاد التي قيدتهما وراء ظهره، وقد خدشت الأغصان والشناغيب وجهه في أثناء ما كانوا يشقون طريقهم عبر الغابة.

وقفوا خارج السجن. أزال أحد الحراس الأقمشة التي تكمم أفواههم. أخذ ويلز يحرك فكه ببطء وفتح فمه وأغلقه عدة مرات، محاولًا استعادة إحساسه به.

أمر الحارس قائلًا: «انتظروا هنا».

دلف إلى الداخل بينما ظل رجل آخر بجانب الباب يراقبهم. انتهز كلٌّ من ويلز وبيلامي وكلارك الفرصة للنظر حولهم. كان المخيم ممتدًّا أمام أعينهم، وكان بإمكان ويلز القول، في لمحة واحدة، إن المكان لم يكن هو نفسه الذي قد تركوه خلفهم قبل أيام قليلة فقط. وأخبرته نظرة واحدة على عينَي بيلامي وكلارك المحدقتين أنهما قد رأيا ذلك أيضًا.

على الرغم من أن الوقت لم يبدُ أنه قد تعدى الثامنة أو التاسعة مساءً، فإن المخيم كان هادئًا بشكل ينذر بالشؤم، باستثناء أصوات الخطى على الأرض الترابية وقعقعة الحطب. كان ثمة فَتَيان يحملان الحطب ويسيران باتجاه الحفرة وعلى وجهيهما تعابير توتر وألم. وبدا فتى آخر يحمل دلو ماء أنه كان على وشك البكاء. ورأى مجموعة من الكبار يجلسون في صمت بجانب النيران، ويلقون بنظرات متوترة على الغابة. لم ينطق أحد بكلمة. لم يضحك

أحد أو يحاول أن يمزح مع الآخرين. لم يبتسم أحد. كان الأمر كما لو أن كل الطاقة والمودة والصداقة -كل الحياة- قد امتُصَّت من الهواء.

هبَّ نسيم على الأشجار، وما لبث أن غَزَت رائحة كريهة أنف ويلز. قمع ويلز رغبته في التقيؤ، ورأى كلارك وبيلامي يفعلان الشيء نفسه. نظر ويلز حوله وخطا بضع خطوات نحو حافة الغابة. ومن المؤكد بما فيه الكفاية، أنه رأى كومة نتنة من جلود وعظام وأعضاء الحيوانات ملقاة على الأرض، مغطاة بالذباب ومتروكة لتتعفن ببطء. كانت مقرفة.. وغير آمنة. فتلك الرائحة لن تجذب الحيوانات المفترسة فحسب، ولكن البكتيريا التي تنمو في تلك الكومة ستكون كافية لإمراض جميع من في المخيم.

قال بيلامي بصوت أجش: «ما هذا بحق الجحيم؟».

في البداية، افترض ويلز أنه كان ينظر إلى تلك الكومة أيضًا، ولكن عندما أدار رأسه، رأى عينَي بيلامي مثبتتين على شيء آخر على مسافة بعيدة. مجموعة من المئة الأصليين كانوا منهمكين في العمل على كابينة جديدة، كان بإمكانه سماع همهماتهم المنخفضة وهم يكافحون لوضع جذع ضخم فوق قمة الجدار. وكان ثمة مجموعة من الكبار يقفون جانبًا، حاملين مشاعل لإضاءة الموقع، مما يشير إلى أنهم كانوا يخططون للعمل لوقت طويل في الليل.

لم يكن ذلك شيئًا غريبًا ولا جديرًا بالملاحظة في الحد ذاته. فمع تكدس الأعداد الكبيرة من الناس في المخيم، كان من المنطقي بناء مبانٍ جديدة بأسرع ما يمكن. ولكن عندما ظهر القمر من وراء سحابة، رأى ويلز أخيرًا ما جذب انتباه بيلامي. فعندما سطع ضوء القمر على النصف المكتمل من الكابينة عكس شيئًا معدنيًّا لامعًا على معاصم أصدقائهم.

شهق ويلز قائلًا وقد أخذت عيناه ترمشان بسرعة غير مصدق لما يراه: «لا».

لقد كان لكلٍّ منهم قيد معدني سميك ومحكم حول معصمه.

قالت كلارك بنبرة مرتبكة، كما لو كانت عقليتها العلمية لا تثق في الصورة التي تراها أمام عينيها: «هذا جنون».

عندما أُخِذوا من زنازينهم في مركز الاحتجاز، زُوِّد كل فرد من المئة بجهاز تتبُّع. ظاهريًّا، كان من المفترض أن تنقل تلك الأجهزة المؤشرات الحيوية

إلى المستوطنة، لإعلام المجلس بما إذا كانت الأرض صالحة للعيش بالفعل، أم أن الأشخاص موضع الاختبار -فئران تجاربهم- كانوا يستسلمون ببطء للتسمم الإشعاعي. ولكن في خلال الأيام الأولى من وجودهم على الأرض، أزال معظمهم الأساور أو أتلفها عمدًا بشكل غير قابل للإصلاح.

سأل ويلز قائلًا: «أتعتقدان أن رودس قد أحضر هذه الأصفاد معه إلى الأرض؟».

قالت كلارك: «لا بد أنه فعل. ولكن لماذا؟ لا يبدو أن لديه التقنية تلك هنا، لتتبُّع أيٍّ منهم».

أخذ بيلامي نَفَسًا وقال: «لست متأكدًا. ما الذي قد جلبه معه على تلك السفينة؟».

قالت كلارك وقد بدا عدم التصديق واضحًا في صوتها: «إذن... لقد أصبحوا سجناء مرة أخرى؟».

فقال بيلامي بمرارة: «هذا ما نحصل عليه مقابل «تعاوننا» و«تضحيتنا»».

وبعد لحظات قليلة، سُحِبَ كلٌّ من ويلز وبيلامي وكلارك بعنف في صف واحد، جنبًا إلى جنب، مع وجود حارس وراء كلٍّ منهم. كزَّ ويلز على أسنانه عندما اقترب نائب المستشار رودس، محاطًا باثنين من حراسه المسلحين.

- مرحبًا بعودتكم. آمل أن تكونوا قد استمتعتم بعطلتكم الصغيرة.

قال بيلامي ساخرًا: «أرى أنك كنت مشغولًا بتلبيس أصدقائي هذه المجموعة من الأساور التي أحضرتها معك».

التفت رودس وألقى نظرة استعراضية مبالغًا بها وراءه. توقف المراهقون الذين كانوا منهمكين في بناء الكابينة عما كانوا يفعلونه ووقفوا يحدقون إلى السجناء في رعب شديد. خفضت مولي مطرقتها وخطت بضع خطوات للأمام، محدقة إلى ويلز. وحتى مِن على بُعد المسافة، كان باستطاعته القول بأن الأمر قد تطلب منها أقصى درجة ممكنة من ضبط النفس لكيلا تهرع إليه. هزَّ رأسه قليلًا محذرًا إياها من فعل ذلك.

قال رودس: «آه، أجل. لا يزال لدي القليل منها بعد، ولكن يبدو أنه سيكون من الإهدار لو وضعتها في أيدي أشخاص لن يضطروا إلى ارتدائها لفترة طويلة».

فابتسم بيلامي إحدى ابتساماته المصطنعة المميزة قائلًا: «فعلًا؟ لأني سمعت بأن محاكمتي ستكون الحدث الاجتماعي الأكبر لهذا الموسم».

استنكر رودس قائلًا: «محاكمة؟ أخشى أنك مخطئ. لن تكون هناك محاكمة... لأيٍّ منكم. لقد تيقنت بالفعل من أن ثلاثتكم مذنبون. لقد حُدِّدَ بالفعل موعد إعدامكم فجر الغد».

ثم نظر إلى السماء بنظرات استعراضية وأردف: «ومع ذلك، يبدو أن هذا سيكون وقتًا طويلًا إلى حد ما، للانتظار. لو كان أيٌّ منكم في عجلة من أمره، فسأكون سعيدًا بتسريع الإجراءات».

تجمَّد قلب ويلز في صدره، كالحيوان الذي قد رأى قوس الصياد المشدود للتو. ما الذي كان يتحدث عنه رودس؟ إن كل ما فعله هو وكلارك هو الهروب من المخيم. لم يؤذيا أحدًا، ناهيك بفعل أي شيء يستحق الإعدام!

ولكن قبل أن يتمكن من قول أي شيء، صرخ بيلامي صرخة ممزوجة بالأنين وقال: «ماذا تقول بحق الجحيم؟ إنهما لم يفعلا أي شيء. أنا الشخص الذي تريده. أنا من يجب عليك قَتْلُه».

- لقد ساعدا وحرضا هاربًا. إن عقوبة ذلك واضحة تمامًا في عقيدة الجايا.

احتد بيلامي: «اللعنة على عقيدة الجايا. نحن على الأرض، في حال أنك لم تكن قد لاحظت ذلك».

- لا أرى سببًا للتخلي عن المبادئ التوجيهية التي سمحت للإنسانية بالازدهار على مدى قرون لمجرد أننا على الأرض.

لم يسبق لويلز أن شعر بهذا القدر من الاشمئزاز تجاه أي شخص، أو أي شيء، في حياته قط.

- ليس هذا ما كان سيقوله أبي، وأنت تعرف ذلك.

حشَّف رودس عينيه قائلًا: «إن أباك ليس هنا يا ويلز. وفي حال كنتَ مشغولًا للغاية بإغواء غيرك من المجرمين الصغار...».

رمق كلارك بنظرة، وأردف: «ليتعلموا منك بعض الدروس التعليمية في التربية المدنية، فإن ابن المستشار لا يدخل في التسلسل القيادي. أنا القائد هنا، وقد حكمت على ثلاثتكم بالإعدام رميًا بالرصاص عند بزوغ أول خيوط ضوء الفجر».

سمع ويلز كلارك تلهث بجانبه، ومن ثم تخدر جسده بأكمله. لقد انتظر أن يشعر بدفعة أخرى من الخوف أو الغضب، ولكنه لم يشعر بشيء. ربما كان هناك جزء منه يتوقع حدوث ذلك. ربما ثمة جزء منه يعرف أنه يستحق ذلك. وحتى لو لم يكن لدى رودس أي فكرة عما فعله ويلز هناك على متن السفينة، فإن ويلز هو السبب وراء جعل أصدقائهم، وجيرانهم، يموتون جميعًا ببطء بسبب نقص الأكسجين. بهذه الطريقة على الأقل، لن يضطر أبدًا إلى مواجهة ما ارتكبه. لن يضطر إلى النظر إلى أعلى كل ليلة، محاولة تَخيُّل السفينة التي ستمتلئ قريبًا بالجثث الهامدة.

أعاد ويلز للواقع صوت أوكتافيا وهي تصيح قائلة: «يا إلهي، بيلامي!».

كانت تجري نحوهم، ووجهها مُترَّب وغارق في الدموع. تقدم اثنان من الحراس أمامها، ليسدَّا طريقها ويمنعاها من المرور. حاولت الإفلات ولكن لم تستطع تجاوزهما. نادى بيلامي اسمها واندفع نحوها، لكن أحد الحراس ضربه بمؤخرة البندقية في ضلوعه فسقط على الأرض. نشجت أوكتافيا قائلة: «توقف عن ذلك. دعهم يذهبون، أرجوك».

قال بيلامي بصوته الأجش وهو يكافح لالتقاط أنفاسه: «لا بأس يا أوكتـ... أنا بخير».

- لا! لن أسمح لهم بفعل هذا بك.

بدأ أناسٌ آخرون يتجمعون حولهم. سارت ليلا للوقوف بجانب أوكتافيا، وللحظة، ظن ويلز أنها ستسحبها بعيدًا، ولكنها بدلًا من ذلك وضعت ذراعها حول الفتاة الأصغر ونظرت إلى الحراس بتحدٍّ. ومن ثم انضم إليها أنطونيو وديمتري، ثم تامسين وغيره من الآخرين. حتى جراهام! أتى للوقوف بجانبهم. وبعد فترة وجيزة، أصبح هناك ما يقرب من خمسين شخصًا محتشدين حول كابينة السجن.

أمر رودس قائلًا: «الجميع إلى الخلف!».

وعندما لم يتحرك أحد، أشار إلى الحراس الذين تقدموا متوعدين تجاه الحشد قائلًا: «لقد قلت تحركوا!».

لكن أحدًا لم يتراجع. ولا حتى عندما رفع الحراس بنادقهم على أكتافهم، التي كان نصفها مصوبًا نحو السجناء، ونصفها الآخر مصوبًا نحو الحشد. بدا التوتر على بعضٍ من المراهقين، ولكن معظمهم كانوا يحدقون إلى ويلز

وبيلامي وكلارك بنظرات تحمل مزيجًا من التمرد وشيئًا آخر. شيئًا أشبه بالأمل. فبغض النظر عن كيف سينتهي الأمر، كانوا بحاجة لرؤيته يتحمل الهزيمة كقائد حقيقي. سيتشرف ويلز بأن يضحي بنفسه لو كان ذلك يعني أنه لن يتأذى أي شخص آخر، وبالتأكيد لن يواجه الموت كالجبان. التفت ويلز مرة أخرى إلى عدوه البغيض رودس، وحدق إليه وهو مرفوع الرأس.

اقترب بيلامي من ويلز ووقف بجانبه كتفًا إلى كتف. كان بإمكان ويلز أن يعرف من خلال وضعية فكِّ بيلامي بأنه كان يفكر في الشيء نفسه. تحركت كلارك بجانب بيلامي، وحدق ثلاثتهما إلى نائب المستشار معًا. دفع ويلز بعيدًا عن ذهنه صورتهم وهم ممددون على الأرض غارقون في دمائهم، ويأخذون أنفاسهم الأخيرة معًا في وقت واحد. نظر كلٌّ من كلارك وبيلامي إليه. كانت عضلات بيلامي مشدودة، وجسده مشحونًا بالطاقة. لقد كان تجسيدًا للعزيمة والقوة لم يسبق لويلز أن رأى مثيلًا له من قبل. وكانت عينا كلارك فعليًّا متقدتين بالعاطفة. لقد بدا كلاهما مفعمًا بضراوة وتصميم إلى حد أذهله.

قال أحد الحراس: «حسنًا، هيا، تحركوا!».

أتى شخص ما من ورائه وربط عصابة على عينيه. وما لبث أن أتى حراس وأمسكوا بذراعَي ويلز وبدؤوا في سحبه بعيدًا. صاح ويلز وهو يحاول غرز قدميه في الأرض: «إلى أين تأخذونني؟».

وبما أن عينيه كانتا معصوبتين، حاول صب كل تركيزه على ما يمكنه سماعه، إلا أن أصوات الصيحات والفوضى لم تخبره بأي شيء مما يحدث مع كلارك وبيلامي. اشتبك ويلز مع آسريه محاولًا مقاومتهم، ولكن لم يكن ثمة شيء يستطيع فعله. كزَّ على أسنانه وحاول ألا يستسلم للذعر الذي يغمر جسده. على الأقل، كان آخر ما رآه هو وجها كلارك وبيلامي الشجاعين.. سيكون ذلك كافيًا لجعله يتحمل الساعات القليلة القادمة.

لقد علم ويلز أن تلك كانت المرة الأخيرة التي يرى فيها الأرض. وأنه بحلول الوقت الذي سيزيلون فيه العصابة عن عينيه، ستكون هناك رصاصة في دماغه.

الفصل السادس والعشرون

بيلامي

لم تكن هناك طريقة لمعرفة ما إذا كان رودس قد انتظر حتى الفجر ليرسل في طلبهم. فبسبب عصابة عينيه، لم يستطع بيلامي معرفة ما إذا كانت الشمس قد أشرقت أم لا. وعلى الرغم من رائحة الندى التي فاحت من العشب، خمَّن أن الجو كان لا يزال معتمًا. على ما يبدو، أنه لن يستطيع رؤية أي شروق جديد. وأنه بحلول الوقت الذي ستتحول فيه السماء إلى اللون الوردي، سيكون قد مات. ثلاثتهم سيموتون، جميعًا.

قضى بيلامي ليلة جحيمية مؤلمة، قضاها وهو يجهد أذنيه في محاولة سماع أي حس لكلارك، التي حُبِست في مكان آخر. لم يكن متأكدًا أيهما الأسوأ: سماعها وهي تصرخ ألمًا أو تبكي يأسًا، أم عدم سماع أي شيء عدا الصمت ليظل تساؤله يحوم في رأسه عما إذا كانت قد رحلت بالفعل أم لا؟

أصبح هذا الهدوء لا يحتمل، إذ امتلأ دماغ بيلامي بأصوات مرعبة من تلقاء نفسه: صوت كلارك وهي تجهش بالبكاء لشعورها بأن ساعاتها الأخيرة تنفد منها، وهي تعرف أنها لن تتمكن من رؤية والديها مرة أخرى. وصوت طلقة نارية تقطع الصمت، وتمزق قلب بيلامي.

ومع وجود حارسين على جانبيه، سار بيلامي إلى ما افترض أنه مركز ساحة المخيم، ثم قيده الحارسان في شجرة. كان ثمة جزء مخبول أو ربما منحرف صغير بداخله يكاد يضحك. فبعد كل الأخطاء التي ارتكبها في حياته ونجا منها بأعجوبة، وكل القواعد التي كسرها، كانت هذه هي الطريقة التي

سينتهي بها الأمر. كان عليه أن يخمن أنها ستكون نهاية دراماتيكية على أي حال، كإعدام علني على كوكب خطر. إنها ليست بنهاية عادية بكل تأكيد. لكن أسفه الوحيد أن أوكتافيا سترى ذلك. إنه لمن الصعب جدًّا التفكير في أنها ستضطر إلى المضي قدمًا في حياتها من دونه، لكنها أثبتت صلابتها في الأسابيع القليلة الماضية. كان يعرف في أعماقه أنها تستطيع الاعتناء بنفسها الآن. ولكن إجبارها على مشاهدة موته كان شيئًا قاسيًا جدًّا. كان بإمكان بيلامي سماع الحراس وهم يتحركون في أرجاء المخيم، يُخرجون الجميع -كبارًا وصغارًا- من كبائنهم ليشاهدوا ما كان رودس على الأرجح يعتبره الحدث الأهم على وجه الأرض منذ ثلاثمئة عام: اللحظة التي سيُعاد فيها النظام إلى هذا الكوكب البري الجامح.

كان الأمر وحشيًّا. لم يكن ينبغي لأحد أن يرى هذا، على الأقل أخته. يأمل فقط أن يجعل رأسُه غير المُنَكَّس أختَه فخورة به. أراد أن يريها كيف عليها أن تعيش، حتى بعد رحليه.

تمنى بيلامي لو أن باستطاعته أن يمد يده ويمسك بيد كلارك. لماذا لم يخرجوها حتى الآن؟ هل حدث شيء ما؟ أم أنها كانت مقيدة في شجرة مختلفة، تصارع الحبال شاعرة وكأن قلبها عالق في حلقها؟ لم يستطع تصديق أن هذه الفتاة الجميلة، الرائعة، الذكية كانت على وشك أن تُعدَم. كان من غير المعقول التفكير في أن فتاة مفعمة بالحياة، تلمع عيناها الخضراوان في كل مرة تقعان على نبتة جديدة، وتقضي أيامًا خالية من النوم من أجل رعاية مرضاها، كانت على وشك أن تُطفَأ كما الآلة.

لم يعد قادرًا على تمالك نفسه أكثر؛ صاح قائلًا: «كلارك! أين أنتِ؟».

كل ما كان بإمكانه سماعه هو الهمسات القلقة الآتية من الحشد. صرخ مجددًا: «كلاااارك!».

تردد صوته في جميع أرجاء الساحة، ولكنه لم يكن عاليًا بما يكفي للوصول إليها إذا كانت بالفعل قد...

أمر رودس -كما لو أن بيلامي كان طفلًا مُفرِطًا في حماسته وليس سجينًا محكومًا عليه بالإعدام وعلى بُعد لحظات من موته- قائلًا: «اهدأ يا سيد بليك.

لقد قررت أن أُظهِر بعض الرحمة لأصدقائك. لن يموت أيٌّ من الضابط جاها أو الآنسة جريفين اليوم».

اخترق بصيص من الأمل الفزَع الذي كان يتنامى في صدره، سامحًا له بأخذ أول نفَس حقيقي منذ إخراجه من الكابينة. قال بصوت أجش: «اثبت لي ذلك. دعني أراهما».

لا بد أن رودس قد أومأ برأسه، لأنه بعد لحظة واحدة، كان هناك شخص ما يزيل العصابة عن عينَي بيلامي. أخذ يرمش حتى اتضحت له الرؤية. وقف صف من الحراس أمامه على بُعد عشرة أمتار، وقد كان المخيم بأكمله محتشدًا خلفهم، ورأى ويلز، وأوكتافيا، وكلارك واقفين في مقدمتهم. إنهم لا يزالون على قيد الحياة. شعر بالارتياح يتدفق إلى جسده، وكاد ينهار على الأرض لولا الحبال التي كانت تنخر في جلده. كان هذا هو كل ما يهم. لم يعد يأبه بما سيحدث له ما داموا آمنين. لاحظ أن يدي كلٍّ من ويلز وكلارك لا تزال مقيدة، أما أوكتافيا فكانت تحاول التملص من الحراس الممسكين بها. صرخت قائلة: «بيلامي!».

نظر إلى عينيها وهز رأسه. تواصل معها بصمت وعلى وجهه ابتسامة حزينة، حدَّثها في خاطره قائلًا: *لا تفعلي*. لم يكن هناك شيء بإمكانها فعله. حدَّقت إلى وجهه، وامتلأت عيناها الزرقاوان بالذعر والدموع.

حرك شفتيه قائلًا: «أحبكِ. كل شيء سيكون على ما يرام».

وبين تنهداتها، تمكنت من إجبار نفسها على الابتسام وقالت: «أحبك. أحبك...».

ولكن سرعان ما تجعد وجهها من جديد، والتفتت بعيدًا. قال جراهام شيئًا للحارس، فأطلق ذراعَي أوكتافيا، سامحًا لجراهام بالإمساك بها بدلًا منه. من الواضح أنه كان لطيفًا معها. حتى إنه طوقها بذراعه، ليحميها من المشهد المرعب الذي كان على وشك الحدوث أمام عينيها.

صاح رودس قائلًا: «أيها الحراس، استعدوا!».

التفت بيلامي إلى كلارك، التي على عكس أخته، رفضت أن تشيح بنظرها بعيدًا، وظلت تحدق إلى بيلامي بشدة، وللحظة عابرة، شعر أن بقية العالم قد

تلاشى تمامًا. ولم يعد هناك سوى هو وكلارك، تمامًا كما كان الحال عندما حظيا بقبلتهما الأولى أو عندما عاشا تلك الليلة السحرية في الغابة حين شعر بيلامي أن الأرض كانت أقرب إلى السماء مما كانت عليه المستوطنة في أي وقت مضى.

كان باستطاعته أن يشعر بأنها تحدثه قائلة: *انظر إليَّ فحسب. انظر إليَّ فحسب، وسيكون كل شيء على ما يرام.*

كان العرق يتصبب على وجهه، لكنه لم يشح بنظره عنها. ولا حتى حين صوَّب الحراس بنادقهم، وبدأ قلبه يخفق بسرعة كبيرة، سرعة جعلته واثقًا من أن قلبه سينفجر قبل حتى أن يتلقى الرصاصة الأولى.

انظر إليَّ فحسب.

رفع ذقنه لأعلى، وشدَّ قبضتيه، وتنفس بعمق. سينتهي الأمر في أي ثانية من الآن. حاول إبطاء الوقت للحظة. حاول جعل أنفاسه أعمق، على أمل تهدئة إيقاع نبضاته. استنشق روائح المخيم والأرض: الرماد البارد، والتربة النَديَّة، وأوراق الشجر، والهواء.. الرائحة المنعشة، النقية، اللذيذة للهواء الذي كانوا يتنفسونه في هذه اللحظة بالتحديد. لقد حظي بفرصة للوجود هنا، وكان ذلك كافيًا.

انظر إليَّ فحسب.

دوى صوت العديد من الطلقات عبر الساحة، فجأةً وبصوتٍ عالٍ. أدرك بيلامي العديد من الأشياء في وقت واحد: أنه لم يشعر بأي ألم، لم يشعر بأي إصابة، وأن الصوت جاء من ورائهم لا من أمامهم. لم يكن رجال رودس هم من أطلقوا النار... وإنما ثمة أحد قد أطلق النار عليهم.

ومن ثم استطاع رؤيتهم.. مجموعة محتشدة من الأرضيين العدوانيين قد تفرقت في جميع أرجاء المخيم، ملوحين بالهراوات ورافعين البنادق مستعدين لإطلاق النار على المستوطنين. اندلعت في المكان بأكمله حالة من الفوضى. التهى الجميع على حين غرة، ولم يعد هناك أحد يراقبه. وباستثناء وجود الأصفاد ذات التقنية العالية حول معصميه، وجد أنه كان بإمكانه أن يركض حرًّا طليقًا. أخذ بيلامي يوزع نظراته الهَلِعة على ما يجري من حوله، آملًا في إيجاد أي فرصة للهرب. وجدها: رأى بورنِت، اليد اليمنى لرودس،

ميتًا وممددًا على الأرض بالجوار. لم يكن بيلامي شخصًا يفوت الفرص.. بالإضافة إلى أنه لم يكن هناك شيء بوسعه أن يفعله لمساعدة الرجل. نزل على ركبتيه وأدار ظهره للجثة، وأخذ يتحسس جيب بورنِت.

صاح قائلًا: «كلارك، ويلز... المفاتيح!».

أسرعا إليه. وقف ويلز وكلارك ظهرًا لظهر وفتح بيلامي أصفادها. وبعد أن تحرر هو وويلز من أصفادهما أيضًا، انطلقوا نحو كابينة المؤن، حيث كانوا يعرفون أنهم سيتمكنون من العثور على أسلحة.

وبمجرد أن سلَّحوا أنفسهم بأفضل ما في وسعهم -بيلامي بقوس وسهام، وويلز بفأس، وكلارك بحربة- توجهوا إلى الاشتباك، كانوا يتحركون مكونين دائرة، ظهورهم إلى بعضها بعضًا. لقد كانت معركة وحشية وقذرة. قاتل المئة والمستوطنون جنبًا إلى جنب في كل مكان من حولهم. بالكاد استطاع بيلامي أن يأخذ نفسًا واحدًا قبل أن يبدأ في التصويب والتسديد، مرارًا وتكرارًا. كان يشعر برضا شديد لرؤية سهامه تصيب أهدافها إذ صرخ عدد قليل من الأرضيين وانهاروا على الأرض عند حواف الساحة. بدأت ذراعا بيلامي تحترقان ألمًا من الجهد المبذول، بيد أنه كان مدفوعًا بطاقة منقطعة النظير، تكاد توصف بكونها بربرية.

صرخ إلى ويلز ليسمعه في وسط الضجيج قائلًا: «أأنت بخير؟».

فصاح ويلز وهو يضرب أحد الأرضيين على رأسه متسببًا في صوت كسر مغث: «بخير. وأنت؟».

وقبل أن يتمكن بيلامي من الإجابة، انقض عليه رجل أرضي ينظر إليه بوحشية. أطلق الرجل صوتًا عاليًا أشبه بالعواء بينما كان يؤرجح فأسًا عاليًا في الهواء، مصوبًا إياها نحو رأس بيلامي مباشرة. وفي اللحظة التي هبطت فيها الفأس تفاداها بيلامي فورًا. سمع أزيز الهواء وهي تهبط بجانب خده. زمجر الأرضي في إحباط. ومع دفعة جديدة من الطاقة، جثم بيلامي على الأرض متخذًا وضعية دفاعية، ثم ارتد واقفًا على مِشطَي قدميه، استعدادًا للجولة الثانية. رفع خصمه الفأس مرة أخرى وأخذ خطوتين مترنحتين إلى الأمام. نُفِشَ أنف بيلامي وتدفق الأدرينالين في عروقه وأجبر نفسه على الوقوف دون حراك وترك الرجل يقترب.

حدَّث نفسه قائلًا: *انتظر. انتظر فحسب.*

ولما أصبح الأرضي قريبًا بما يكفي للسماح لبيلامي بشم رائحة عرقه وكانت الفأس قد بدأت للتو في نزولها نحو رأس بيلامي ثانيةً، هوى بيلامي بنفسه على الأرض وتدحرج جانبًا. صرخ الأرضي في غضب.

انتظر بيلامي مجددًا في غير حراك، وترك عدوه ليتعب نفسه. وعندما اقترب الرجل، قرفص بيلامي مُطَأطِئًا، وقد ضم إحدى ركبتيه إلى صدره، وبكل قوته، ركل الرجلَ الأرضيَّ في جانب ركبته. التوَت رِجل الرجل تحته، وسقط على الأرض كما لو أصيب برصاصة.

وفجأةً، شعر بيلامي وكأن شيئًا ما بدا يزن ألف رطلٍ قد سقط على كتفيه، وكاد يطرحه أرضًا. ترنح قليلًا ثم استعاد توازنه وهو يشعر بيد قوية تخنق رقبته. وفي هياج، أخذ يلهث من أجل الهواء، ولكنه لم يستطع أن يأخذ نفسًا واحدًا. مدَّ بيلامي يده إلى الوراء ليدفع مهاجمه الجديد عنه. أمسك بحفنة من شعره. وسحبها بكل قوته، مقتلعًا بعضها من جذورها. خُففت قبضة يدَي الرجل قليلًا فقط. كان قلبه يخفق بقوة في صدره متألمًا من نقص الأكسجين. انتهز بيلامي فرصته: انحنى إلى الأمام ودفع الرجل على الأرض من فوق رأسه. تراجع بيلامي خطوة إلى الوراء، ومد يده نحو قوسه ونَظَمَ سهمًا، كل ذلك في حركة واحدة سلسة. وبمجرد أن بدأ الرجل يترنح على قدميه، ولمعت عيناه لمعة عدائية خبيثة، أطلق بيلامي السهم ليرشق في صدره.

لم ينتظر بيلامي ليرى نتيجة فعلته. لقد عاد بسرعة ليرى ما إذا كانت كلارك وويلز بخير. وفي خضم هذه اللحظة، كان ثلاثتهم قد تفرقوا بطريقة ما. وعندما التفت للنظر، اصطدم شخص ما بكتفه، وكاد يسقط أرضًا. أما بيلامي فأخذ يتراجع إلى الوراء، محاولًا استعادة توازنه، حتى داست قدمه على شيءٍ صلبٍ بعض الشيء وليِّنٍ بعض الشيء. لقد كان شخصًا. استدار وهو يصوب سهمه المشدود نحو الأرض. إنه نائب المستشار، رودس.

كان رودس على قيد الحياة، وواعيًا، ولكنه مصاب بجروح بالغة. الدم يسيل من مكان ما في رأسه، وقد كسا اللون الأحمر وجهه وقميصه. كان يتلوَّى من الألم، ويعاني من القيء والسعال الحاد. لم يستطع الكلام، لكنه

نظر إلى أعلى وحدَّق إلى بيلامي بنظرات متوسلة مثيرة للشفقة. لقد كان هذا الرجل قائدًا جبانًا، وخاسرًا جبانًا أيضًا.

استرخى جسد بيلامي بأكمله. وبطرف حذائه، دفع كتف نائب المستشار إلى الخلف حتى أصبح مستلقيًا على ظهره على الأرض. وضع بيلامي قدمه بقوة فوق صدر رودس، مثبِّتًا إياه بالأسفل. إنه لشعور ناشٍ أن يراه محاصرًا كالجرذ.

كان على بيلامي أن يختار: إما أن يقضي عليه سريعًا بسهم في قلبه مباشرة، وإما أن يترك هذا الوغد حتى يتعفن هنا في ساحة المعركة. لقد بدت إصاباته بالغة لدرجة كافية لقتله. ولن يجادل أي شخص بقول إن رودس كان يستحق نهاية أفضل. غمرت بيلامي موجة من الشعور بالقوة والرضا، ولكن شعورًا آخر قد أُوقِظَ بداخله أيضًا. لم يكن شعورًا معتادًا بالنسبة إليه، ولكنه أدركه على الفور: إنه الشفقة. حدَّق بيلامي إلى وجه رودس المتسخ والملطخ بالدم. كانت يداه متشابكتين، متوسِّلتين. اجتاحت بيلامي مشاعر متضاربة: رغبته في الانتقام، وإحساسه العميق بأنه لا يرغب في مشاهدة أي شخص آخر يموت مرة أخرى. لقد كان دماغه بالفعل مملوءًا بذكريات لن يقدر على محوها أبدًا. لكن رودس لا يستحق مكانًا بينهم.

تنهد بيلامي وأسقط ذراعيه على جانبيه، تاركًا السهم ليبتعد عن القوس. لم يستطع فعل ذلك. لم يستطع إطلاق السهم، ولم يستطع إدارة ظهره لرجل مهزوم وجريح، وتَرْكَه ليموت هنا. كان بكل تأكيد يأمل ألا يندم على هذا لاحقًا. انحنى بيلامي ومدَّ إحدى يديه. حدَّق رودس إليها للحظة، غير متأكد مما إذا كان بيلامي يتلاعب به أم لا.

زمجر بيلامي قائلًا: «تعال معي، قبل أن أُغيِّر رأيي».

مدَّ رودس يده المرتعشة، وانحنى بيلامي ليسحبه لأعلى، وحَمَلَه عائدًا إلى المخيم.

الفصل السابع والعشرون

ويلز

فقد ويلز أثر بيلامي في خضم الفوضى. لم يعد قادرًا على إحصاء عدد الأرضيين الذين نجح في صد هجومهم. تقرَّحت يداه من الإمساك بالفأس والضرب بها، وآلمته عضلاته من شدة الإجهاد. وجد نفسه يقف وحيدًا للحظة دون أن يدفعه أحد أو يشتبك معه.. لحظة استراحة في وسط بحر من المعاناة. في كل مكان من حوله، كان الناس يقاتلون دفاعًا عن حياتهم. بينما كان الآخرون راقدين على الأرض، إما قتلى أو جرحى. لم يستطع ويلز معرفة من صاحب اليد العليا، الأرضيون أم رفاقه، ولكنه كان يخشى أن يكون العدو.

لقد بدا المستوطنون والمئة وكأنهم يتلقون هزيمة مبرحة، مبرحة بحق. كان بحاجة للذهاب إلى مكان آخر لإلقاء نظرة أفضل. لم يبدُ أن أحدًا قد لاحظه وهو يتسلل مبتعدًا عن المعركة. قفز من فوق الجثث والأنقاض متجهًا إلى حافة الساحة. سار على بُعد أمتار قليلة في الغابة واستدار في اتجاه جانب المخيم، حيث كان يعلم أن الفرصة في أن يراه أحد ستكون أقل وأنه سيحصل على مجال أفضل للرؤية. كان لا يزال قادرًا على سماع صرخات وأنين الجرحى وهو يركض وسط أوراق الشجر الكثيفة. خرج ويلز من الغابة بجوار كابينة السجن. وسرعان ما تسلق المبنى حتى وصل إلى قمته، جلس هناك ومسح ساحة المعركة بعينيه. صُدِمَ لما رآه. فعندما كان في قلب المعركة، بدا الأمر وكأنه فوضى عارمة، أما من خلال ما يراه الآن، فقد بات من الواضح أن الأرضيين كانوا يتبعون استراتيجية هجومية محددة. لقد

دمروا كل العناصر الحيوية في المخيم تقريبًا: العديد من مخازن الطعام، كل الذخيرة الإضافية. ومع ذلك، فإن عنابر المبيت، وقاعة الطعام، والسجن بقيت سليمة. لم تكن هناك طريقة تمكنهم من تخمين أي المباني التي كان سيعتبر تدميرها أكثر ضررًا على المستوطنين. لا بد أنهم كانوا يعرفون وظيفة كل مبنى منذ البداية.

جاهد ويلز مفكرًا كيف استطاعوا معرفة ذلك. عن طريق التجسس، ربما، لكن المستوطنين كانوا يُمشِّطون الغابة التي تحيط بالمخيم بشكل دوري، ولم يسبق لهم أن أمسكوا بأي شخص. وفي تلك اللحظة، اندفعت مجموعة صغيرة من الأرضيين إلى وسط المخيم، رافعين بنادقهم المسروقة عاليًا. وشهق ويلز من الصدمة والرعب عندما رأى مَن يقودهم: كيندال.

لم تعد ترتدي ملابس المستوطنين، وفي لحظة مثيرة الاشمئزاز، تأكد ويلز من أسوأ شكوكه. لم يختطف الأرضيون كيندال، بل كانت واحدة منهم. ها قد اتضح كل شيء، وأصبح منطقيًا. لهجتها الفينيكسية المصطنعة. والطريقة التي بدت بها قصصها غير منطقية أبدًا، وإصرارها على ملاحقة ويلز دائمًا. لقد كانت تتجسس عليهم طوال الوقت. أراد ويلز أن يضرب نفسه لأنه لم يتصرف وفقًا لحدسه منذ البداية. كان يعلم في داخله بوجود خطب ما، ولكنه لم يفعل أي شيء حيال ذلك. لقد تراجع عندما طلب منه رودس التراجع. وهذا ما اعتمدت عليه هي. كانت كيندال تعلم أن وصول المزيد من السفن، والمزيد من الناس -الكبار- من شأنه إضعاف مجتمع المستوطنين، وليس تقويته. وهذا ما استطاعت استغلاله.

لقد كان حقًا قائدًا عديم الفائدة. في ماذا كان يفكر وهو يتظاهر بأنه لديه القدرة على الحفاظ على سلامة الآخرين؟ فبغض النظر عما فعله، أو إلى أين ذهب، لقد عانى الناس.

سمع ويلز صوت نبش في الكابينة تحته. لقد اقتحم الأرضيون السجن، وكان هو المستوطن الوحيد في هذا الجانب من المخيم. رفع فأسه فوق كتفه واستعد لمواجهتهم.

قد لا يكون القائد الذي يستحقه شعبه، لكنه كان لا يزال بإمكانه قتل بعض الأرضيين من أجلهم. قرر أن ينتظرهم حتى يخرجوا، ومن ثم يهاجمهم

من الأعلى. كَمَن ويلز بالأعلى مُقَرفِصًا، وحاول ألا يتحرك خوفًا من أن يصدر أي صوت.

رأى شخصين صغيرين يندفعان مسرعَين من الكابينة، إلى الظلال تحته، صبي وفتاة. تعرَّف ويلز على الصبي.. إنه ليو، واحد من الأطفال الذين كانت ترعاهم أوكتافيا. ما الذي كان يفعله بمفرده؟ لماذا لم يكلف رودس أحدًا برعاية الأطفال اليتامى بعدما أخذوا أوكتافيا قسرًا لتشهد إعدام أخيها؟ كانا يرتجفان، والدموع تنهمر على وجنتيهما.

همس ويلز بصوت مسموع قائلًا: «يا طفلان».

رفعا رأسيهما لينظرا إليه، وصرخ الولد صرخة خافتة من خوفه.

- لا تخافا.. إنه أنا. احترسا، سأنزل إليكما.

ثم قفز ويلز إلى الأرض بجانبهما. وسأل قائلًا: «هل أنتما وحدكما هنا؟».

هزت الفتاة رأسها نافية. التفت ويلز، خرج ستة من الأطفال الأكبر سنًّا من الكابينة، ومن بينهم مولي والأعضاء الأصغر من المئة. كانت وجوههم متسخة وملطخة بالدم، وأكتافهم متدلية من الخوف والإرهاق. وقفوا يحدقون إليه في صمت وترقب. ثم بدأت حفنة أخرى منهم في الخروج بهدوء من بين الأشجار خلف الكابينة، حيث كانوا يختبئون، ثم تبعتهم حفنة أخرى، حتى أصبح تقريبًا جميع أفراد المئة الأصليين يقفون أمامه.

نظر ويلز إلى وجه كلٍّ منهم، هؤلاء المراهقون الذين كانوا حتى أسابيع قليلة مضت مجرد مراهقين عاديين محتجزين بسبب بعض المخالفات الملفقة. لقد انتُزِعوا من عائلاتهم، وأُلقِيَ بهم في زنازين، ومن ثم نُسِيَ أمرهم. والآن هم على كوكب بعيد عن كل الأشخاص الذين عرفوهم يومًا وأحبوهم.. الأشخاص الذين هم على الأغلب قد ماتوا جميعًا الآن. كان كل ما لديهم هو بعضهم بعضًا. لم يفهم رودس ما يعنيه الانتماء إلى مجتمع. ولن يكون قادرًا أبدًا على تقدير ما خلقه المئة في خلال وقتهم القصير الذي قضوه على الأرض، الأسس التي وضعوها لمستقبل أفضل. إنهم ليسوا مثاليين -وعلم ويلز هذا أكثر من أي شخص آخر- ولكنهم كان لديهم ما يلزم لتحويل الكوكب إلى موطن حقيقي. ربما الآن لم يكن الوقت المناسب لكي يتوقف عن المحاولة. قد حان الوقت ليتقبل الأخطاء التي ارتكبها ليتعلم منها، والمضي

قدمًا. لن يتمكن أبدًا من التكفير عما فعله على المستوطنة، ولا الألم الذي تسبب فيه لماكس وساشا، ولكن هذا لا يعني أن عليه الاستسلام.

رويدًا رويدًا، تشكلت خطة في ذهن ويلز. لقد جعله كل الوقت الذي أمضاه في التحدث عن التكتيكات مع ماكس يتذكر كل ما تعلمه في دروس الاستراتيجيات خاصته. كانت خطتهم في جبل العاصفة خطة جيدة: مباغتة العدو من الخلف والاستفادة من موقفهم الهجومي. لكن الظروف مختلفة الآن، فقد كان رودس هو صاحب اليد العليا لما لديه من رهائن في المخيم. حسنًا، ليس هذه المرة. عرف ويلز ما يجب عليه فعله. إنه فقط لن يستطيع تنفيذه بمفرده. فبعد كل ما واجهه المئة، وكل ما عملوا من أجله، لن يسمح ويلز لكيندال ومن معها من المتواطئين الوحشيين بالإطاحة بهم. مستحيل.

صاح ويلز قائلًا: «أنصِتوا!».

التفتت إليه عشرات العيون، كلها تتوق إلى التوجيه ومعرفة ما العمل.

- أعلم أنكم مُتعَبون، وأعلم أنكم خائفون. أعلم أن عددهم يفوق عددنا، وأن لديهم أسلحة أكثر. لكننا لدينا بعضنا بعضًا.. ولن ندعهم يفوزون.

ظهر بيلامي في آخر الحشد. لقد بدا في غاية الإنهاك، ولكن ويلز كان سعيدًا لرؤيته بخير. أومأ كلاهما للآخر، ثم تابع ويلز خطابه وهو يشير بفأسه قائلًا: «إنهم يأتون إلينا من جهة الشمال، ويدفعوننا للوراء نحو حافة الغابة بهذه الطريقة. إنهم مشغولون برفاق رودس الآن».

ثم أشار إلى أحد الفتيان الأكبر سنًّا وقال: «أنت. ابقَ في الخلف لحراسة هؤلاء الأطفال الصغار. وسينتشر بقيتنا في الغابة ويتجهون نحو الشمال. يمكننا مهاجمتهم من الخلف. من منكم معي؟».

لثانية، ظل الجميع يحدِّق إليه فحسب. لم يكن ويلز متأكدًا مما يعنيه ذلك. ومن ثم، ارتفعت يد في الهواء، ثم أخرى، ثم دزينة أخرى. نفخوا صدورهم، ورفعوا رؤوسهم، وثبتوا أقدامهم بقوة على الأرض. ووقف بيلامي في الخلف، وعلى وجهه ابتسامة قاتمة.

صاح أحد من الحشد الصغير قائلًا: «لنفعل ذلك!».

تعالى هتاف حار، ولم يشعر ويلز، ولأول مرة منذ موت ساشا، بالذعر في مواجهة المسؤولية. شعر بالحماس.

- حسنًا. عند إشارتي. ثلاثة... اثنان... واحد.. هيا!

في البداية، بدت الخطة ناجحة: باغت المئةُ الأرضيين بالهجوم من الخلف، ودفعوهم نحو رجال رودس، الذين واصلوا الدفاع من الجهة المقابلة. ولكن سرعان ما فقد ويلز مسار ما يحدث من حوله إذ كان يكافح للبقاء على قيد الحياة. اقترب اثنان من الأرضيين من ويلز في آن واحد، كلٌّ منهما شاهرٌ رمحًا. تظاهر ويلز بأنه سيؤرجح فأسه إلى اليمين. وعندما أخذَ كلاهما ردة فعل وفقًا لهذا الاتجاه، استدار ويلز ولوَّح بفأسه من اليسار، كاسرًا رمح أحد الأرضيين إلى نصفين. تقدم الآخر خطوة إلى الأمام، فغرز ويلز نصل فأسه في عمق رمحه، فتشرذم على الأرض، وفرَّ الأرضيان المجردان من السلاح هاربَين.

سمح ويلز لنفسه بلحظة من الشعور بالرضا والتَّشَفِّي. ففي أثناء تدريبه كونه ضابطًا، كان قد عمل بجِد في دروس مهارات القتال على الأرض، وقد آتى كل ذلك ثماره الآن. ولكن بمجرد أن أشرق وجهه بابتسامة رضا، شعر بذراع تخنق رقبته. حاول ويلز ضرب خصمه بمرفقيه، لكنه لم يستطع. شدَّ الرجل ذراعه على رقبته، حتى أصبح من المستحيل على ويلز التنفس. لم يستطع حتى أن يلهث.. لم يكن هناك سبيل لدخول الهواء أو خروجه. بدأت رأتاه تحرقانه وشعر بالدوار.

أراد ويلز الصراخ قائلًا: *لا!!!* ولكنه لم يكن قادرًا على إصدار أي صوت. ليس هذا ما كان من المفترض أن يحدث. ليست هذه هي الطريقة التي كان من المفترض أن ينتهي بها الأمر. شدَّ الرجل الأرضي ذراعه أكثر. رأى ويلز ومضات من الضوء أمام عينيه، ثم بقعًا سوداء قبل أن يصبح كل شيء ضبابيًّا بالكامل.

وفجأةً، أُزيح الضغط من على رقبته، وسقط ويلز على الأرض لاهثًا. وللحظات طويلة، كل ما كان ويلز قادرًا على سماعه هو أزيز تنفسه بينما كانت رئتاه تتعرفان على الهواء، وتمتصانه بشراهة. نهض على ركبتيه ونظر جانبًا. رأى رجلًا أرضيًّا ضخمًا يرقد بجانبه، وكانت يده ممسكة بقصبة سهم

مغروز في ذراعه. استدار ويلز نحو الاتجاه الذي أتى منه السهم. رأى بيلامي يقف على بُعد أمتار قليلة، وعيناه متلألئتان. أومأ برأسه إلى ويلز، الذي ارتسمت على وجهه ابتسامة عريضة.

صاح ويلز قائلًا: «شكرًا!».

فرد بيلامي: «لا عليك».

التفت ويلز من جديد نحو المخيم. وللحظة، سيطر الذعر على جسده بأكمله. إذ إنه من حيث كان يقف لم يستطع رؤية ولا فرد واحد من المئة لا يزال يقاتل بالقرب منه. لعن بصوت خافت قائلًا: اللعنة».

ثم استجمع قطرات آخر ما تبقى من طاقته قبل أن ينطلق مسرعًا إلى ساحة المخيم، وبيلامي خلفه مباشرة. جعله ما رآه يتوقف على الفور. المئة ومن كانوا لا يزالون قادرين على الوقوف من المستوطنون مجتمعين معًا، وصدورهم تخفق وهم يلتقطون أنفاسهم. بدا أن الحراس القلائل المتبقين قد أسروا شخصًا مهمًا.. رجلًا أرضيًا ضخم الجثة بساق مصابة، وأبقوه تحت تهديد السلاح. وكان ثمة العديد من المستوطنين الآخرين يتحدثون بحدة مع مجموعة صغيرة من الأرضيين، يتفاوضون حول الشروط على ما يبدو، فيما سلَّمَ بقية الأرضيين أسلحتهم وتراجعوا ببطء. لم يستطع ويلز تصديق ذلك. لقد نجحت الخطة! كانوا يتفاوضون بشأن الاستسلام! تسابق هو وبيلامي إلى حيث يقف بقية المئة وقد دبَّت فيهما الطاقة من جديد. لقد كانوا مرهقين ومصابين بكل تأكيد، ولكنهم انتصروا. ومعًا، أخذوا يهتفون بعلو أصواتهم هتافًا يهز الأرجاء، هتافًا بدا وكأنه يصل إلى عنان السماء.

صرخ بيلامي في وسط الضجيج الاحتفالي قائلًا: «أحسنتم عملًا!».

فصاح إليه ويلز بابتسامة عريضة قائلًا: «وما فعلتَه أنت لم يكن سيئًا أيضًا.. بالنسبة إلى والدني».

رقصت المجموعة المحتشدة حول ساحة المخيم، وهم يتعانقون، حتى ارتفعت صرخة مدوِّية فوق كل هذا الضجيج. صرخ أحدهم قائلًا: «لقد عادوا!».

استدار ويلز وبيلامي ليجدا مجموعة من الغرباء يشقُّون طريقهم عبر الغابة إلى المخيم. أشهروا أسلحتهم وثبتوا في مكانهم. لكن شيئًا ما حول

هؤلاء الوافدين الجدد كان مختلفًا. درس ويلز ملابسهم، وسلوكهم، وتعابير وجوههم المرتبكة. لم يكن هؤلاء من الأرضيين. لقد كانوا... المزيد من المستوطنين؟ توقفت المجموعة على حافة الساحة. ثم تقدمت امرأة للأمام. قالت بصوت ضعيف وهي تتنفس بصعوبة: «لقد وجدناكم».

بدت مألوفة لويلز بطريقة غامضة. عصر دماغه محاولًا تذكرها، ثم عرفها بالفعل: لقد عملت في إدارة والده، في مكتبٍ بآخر القاعة. لا بد أنهم كانوا على متن سفينة إنزال أخرى.. واحدة من القلائل التي اكتشفوا أنها قد انحرفت عن مسارها.

سألت قائلة: «أرجوكم، هل لديكم أي شيء لنأكله؟».

لم يلاحظ ويلز في بادئ الأمر كيف بدت هزيلة هي والآخرون.

قال ويلز لجماعته: «لا بأس. إنهم من المستوطنة. فليحضر لهم شخص ما، من فضلكم، بعض الطعام والماء».

انطلق اثنان من الأطفال لتنفيذ الأمر.

تقدم ويلز خطوة للأمام، وقد شعر بوقع مئات من العيون على ظهره، وسأل قائلًا: «من أين أنتم قادمون؟».

- لقد هبطت سفينتنا على بُعد أميال كثيرة من هنا، على الجانب الآخر من البحيرة. لقد أمضينا بعض الوقت لاستجماع أفكارنا والتعافي من إصاباتنا. ثم استغرق الأمر منا عدة أيام للوصول إليكم. لقد اتبعنا الدخان المنبعث من نيران معسكركم.

- كم عددكم؟

- لقد فقدنا البعض. لكننا كنا مئة وخمسة عشر عندما بدأنا رحلتنا.

حدَّق ويلز إلى المجموعة الكبيرة المتجمعة خلفها. وكان لا يزال هناك المزيد من الناس يخرجون من الغابة.

- هل كنتم آخر سفينة انطلقت من المستوطنة؟

أومأت المرأة برأسها.

شعر ويلز بسؤال يتشكل على شفتيه، لكنه لم يكن واثقًا من أنه لديه الشجاعة الكافية لطرحه. لم يكن متأكدًا من أنه يريد حقًّا سماع الإجابة.

بدأ سؤاله قائلًا: «أبي...».

رقَّ وجه المرأة. كانت تعرف مَن هو، وعمن كان يسأل. قالت: «أنا في غاية الأسف...».

كانت كلماتها الرقيقة لا تزال موجِعة كطعنةٍ في الأحشاء. ترددت في إكمال إجابتها، وكأنها غير متأكدة من الكمِّ الذي كان عليها البوح به.

- كان لا يزال في غيبوبة عندما انطلقنا. لم يكن هناك المزيد من سفن الإنزال. وكان الأكسجين على وشك النفاد، والسفينة.. حسنًا، السفينة كانت... تنهار. لم يكن أمامها سوى خمس أو ست ساعات على الأكثر.

تصاعدت صرخة صامتة من الحزن والشعور بالذنب بداخل ويلز، ولكنه كتمها. فلو ترك نفسه يشعر بثقل خسارته كاملًا دفعة واحدة، فمن المؤكد أنه سيتفتت إلى قطع. بدأ جسده كله يرتجف. إن تَخيُّل صورة أبيه وهو يختنق ببطء جعل ويلز يلهث من أجل الهواء، كما لو كانت يدا الرجل الأرضي لا تزالان ملفوفتين حول رقبته. ترنح ويلز وكاد يفقد توازنه، ثم شعر بوجود شخصٍ ما إلى جانبه، مثبتًا إياه. إنه بيلامي.

قال بيلامي: «ويلز. يؤسفني ذلك حقًّا».

كان وجهه مملوءًا بالتعاطف وشيئًا آخر... الألم؟ أومأ له ويلز. وفي عزِّ حزنه، نسي أن بيلامي قد فقد أباه هو أيضًا.. لقد فقده قبل حتى أن يقابله، ولو لمرة واحدة. في الواقع، لقد فقد كل مستوطن موجود على هذا الكوكب شخصًا.. أشخاصًا كثرًا. كل أفراد العائلة والجيران والأصدقاء الذين تركوهم وراءهم قد لقوا حتفهم بالفعل، مُقدَّرًا لهم النوم إلى الأبد في سفينة عملاقة يسودها الصمت تدور حول الأرض. لقد تحولت المستوطنة إلى مقبرة.

قال ويلز وهو يجاهد للحفاظ على صوته وطيئًا: «أنا آسف لأنك لم تحظَ بأي فرصة للتعرف عليه».

رغم محاولته الاستعداد للأسوأ، فإنه لم يكن قادرًا قط على قبول حقيقة أنه لن يرى أباه ينزل من إحدى سفن الإنزال، ليرى على وجهه مزيجًا من الاندهاش والبهجة حينما يرى عجائب الأرض، ومقدار ما أنجزه ابنه. أنه لن

يجلس أبدًا مع ويلز حول نيران المخيم، ويستمع إلى الأحاديث السعيدة، ويخبر ويلز بأنه فخور به.

قال بيلامي: «وأنا آسف أيضًا».

ثم رمقه بنظرة طريفة وابتسم وهو يردف قائلًا: «ومع ذلك، أتعرف ماذا؟ أعتقد أنني قد تعرفت عليه نوعًا ما».

سأل ويلز وهو يعتصر دماغه في محاولة تذكر ما إذا كان أبوه قد تمكن من قضاء وقت حقيقي مع بيلامي في أي فرصة سابقة: «ما الذي تتحدث عنه؟».

- مما سمعته، فقد كان ذكيًّا بشكل لا يُصَدَّق ويعمل بجِدٍّ ويلتزم بشدة بمساعدة الآخرين... مثل شخص ما أعرفه.

حدَّقَ ويلز إليه للحظة ثم تنهد وقال: «لو كنتَ تتحدث عني، فإن لديك فكرة خاطئة، أنا لست مثل أبي».

- ليس هذا ما قالته لي كلارك. لقد قالت بأنك تتحلى بأفضل صفات أبيك -قوته، وشرفه- ولكنك تملك لطف أمك وحسَّ دعابتها.

سكت بيلامي لبرهة وقد بدا سَرِحًا بأفكاره، ثم أردف قائلًا: «لم أسمعك قط تقول شيئًا مضحكًا، ولكنني، بالطبع، سأصدق كلمة كلارك».

ولدهشته، ضحك ويلز ضحكة صغيرة قبل أن يصبح وجه بيلامي جادًّا مرة أخرى.

- اسمع، أعلم أنك عانيت بطرق لا أستطيع فهمها حقًّا. لا ينبغي لأحد أن يمر بأي شيء كهذا. لكنك لست وحدك، حسنًا؟ ليس فقط لديك مئة شخص يعتقدون بأنك بطل، وربما أكثر من ذلك في الواقع، ولكن على أي حال، سنحسب لاحقًا. ما أعنيه هو أنك ليس لديك فقط أصدقاء، بل لديك عائلة. أنا فخور لكونك أخي.

كان بيلامي مُحقًّا. إن ألم فقدان ساشا وأبيه وعدد لا يحصى من الأصدقاء في ساحة المعركة اليوم لن يزول أبدًا، ولكن الأرض كانت لا تزال موطنه، ولا تزال حيث ينتمي. بدا الحزن في قلبه وكأنه قد هدأ قليلًا عندما تعانق هو وبيلامي وربَّتَ كلاهما على ظهر الآخر. لقد أصبحت الأرض الآن حيث تعيش عائلته.

الفصل الثامن والعشرون

بيلامي

توقف بيلامي أمام باب كابينة المشفى. فعلى ما يبدو، أن نائب المستشار أراد التحدث إليه، لكن بيلامي لم يكن في حالة مزاجية تسمح له بإجراء محادثة. لقد كان منهكًا من معركة اليوم السابق وآثارها الوخيمة. لقد دفن هو وويلز بالفعل العديد من الأرضيين، ثم شرعا في جمع الأسلحة الملطخة بالدماء التي تركوها وراءهم. كان المخيم سيقيم مراسم تشييع ودفن للمستوطنين والأطفال الذين لقوا حتفهم، في وقت لاحق من ذلك اليوم. حمدًا لله، كانت أوكتافيا بخير، لكن الحظ لم يحالف جميع المئة.

بيد أنه على الرغم من الهجوم المروع والخسائر الفادحة للكثير من رفاقهم، فإن المزاج العام في المخيم كان لا يزال أكثر إشراقًا مما كان عليه عندما أُحضِر بيلامي وويلز وكلارك إليه قبل ليلتين. فقد أصبح الناس يضحكون مرة أخرى، وراح المستوطنون الجدد يطلبون المساعدة والنصيحة من المئة، دون خوف من إغضاب رودس. لقد أراد جزء من بيلامي أن يذهب للعثور على أوكتافيا، التي قد نظمت لعبة الغميضة للأطفال الصغار. كان من الصعب تركها بعيدة عن عينيه بعد كل ما مروا به للتو.

ولكن، بعد لحظة، سيطر عليه فضوله، ودلفَ إلى الداخل. كانت الكابينة ملأى بالمستوطنين والأطفال المصابين، إلا أن كفاءة كلارك المعهودة وعلاقتها الطيبة مع مرضاها حافظت على الحالة المزاجية العامة لطيفةً. وحمدًا لله، بدا أن معظم مرضاها سيُشفَون سريعًا. سار بيلامي إلى آخر الكابينة، حيث

ثُبِّتت ملاءة بيضاء طويلة في السقف وتدلَّت حتى الأرضية مثل الستارة، لمنح نائب المستشار قدرًا ضئيلًا من الخصوصية.

في رأسه، استعرض كل شيء يمكن لرودس أن يقوله له، وجَهَّزَ إجاباته. إذا هدده الرجل أو هدد أوكتافيا، فلا يمكن التنبؤ بما سيفعله به. ولن يكترث بكونه مصابًا وراقدًا بلا حول أو قوة في سرير المشفى.

أومأ بيلامي برأسه إلى الحارس المتمركز أمام الستار، ثم مرَّ وحدَّق إلى الرجل الراقد على السرير الواقع خلفه. بدا رودس متضائلًا. لم يكن الأمر يتعلق فقط بجسده المستنزف ولا الضمادات التي تغطي معظم ذراعيه وجذعه. لقد كان شيئًا ما في وجهه. لم يبدُ مهزومًا فحسب.. لقد بدا مُحَطَّمًا.

رفع رودس نفسه بمرفقه قليلًا ببعض المجهود. فكر بيلامي لوهلة في أن يمد يده للمساعدة ولكنه سرعان ما عدل عن الفكرة. لقد فعل ما يكفي لهذا القذر بالفعل.

- مرحبًا يا بيلامي.

سأل بيلامي قائلًا: «كيف تشعر؟».

كان سؤاله من باب العادة أكثر من كونه نابعًا من أي قلق حقيقي، فهذا ما يقوله المرء عادةً عند رؤية رجل مكسو بالضمادات.

- تقول كلارك والطبيب لاهيري بأنني سأتعافى تمامًا.

قال بيلامي وهو يتململ في وقفته: «عظيم».

هذا سخف. ما الذي كان يفعله هنا بحق الجحيم؟

- طلبت منك أن تأتي لأنني أردت أن أشكرك.

قال بيلامي وقد هز كتفه: «انسَ الأمر».

لقد أنقذ حياة رودس لسبب شخصي، وليس لأنه اعتقد أن هذا الرجل المجنون المتسلط يستحق أن يعيش. ولم يكن يرغب في إجراء حديث طويل من القلب إلى القلب.

سكت رودس وظل مُحدِّقًا إلى الفراغ وراء بيلامي للحظات. ثم قال: «كنت مترددًا في قبول فكرة أن المئة الأصليين -بما فيهم أنت- قد عرفوا عن العيش

على الأرض أكثر مما أعرف. ففي النهاية، لقد كنت أخطط لهذه الرحلة طوال حياتي، ولم تكونوا أنتم...».

وقد حدَّق رودس إلى بيلامي بنظرة قاسية، وأردف: «أكثر من مجرد مجموعة من الأحداث الجانحين. لقد كنتم أغبياء بما يكفي لتورطوا أنفسكم في المتاعب على المستوطنة، فلماذا عليَّ أن أفترض بأنكم قد أصبحتم أذكياء بما يكفي لتنجوا بحيواتكم هنا؟».

جفل بيلامي وقبض كفيه ولكنه حافظ على تعبير وجهه محايدًا. لقد سمع صوتَي كلارك وويلز في رأسه، يناشدانه بأن يظل هادئًا، بغض النظر عما يقوله رودس.

تابع رودس قائلًا: «ولكنكم كنتم كذلك. إنكم لم تنجحوا في النجاة بحيواتكم على الأرض فحسب، بل ازدهرتم وعَمَّرتُم فيها. وقد أدركتُ أن النجاة على الأرض لهو أمر صعب بما فيه الكفاية».

ثم نظر إلى الجروح الكثيرة التي تغطي جسده وأردف: «أن تعيش حقًّا.. حسنًا، هذا أمر يتطلب شيئًا أكثر من الذكاء. هذا شيء يتطلب الإرادة».

حدَّق بيلامي إلى نائب المستشار متسائلًا عما إذا كان قد سمعه بشكل صحيح. هل أشاد به رودس للتو هو وبقية المئة؟ أو ربما كانت إصابات رأسه أسوأ مما أدركت كلارك.

استطاع معرفة أن رودس كان ينتظره ليقول شيئًا. فقال بيلامي ببطء، داعيًا أن تأتي كلارك للاطمئنان على مريضها، أو أي شخص آخر، فهو حقًّا لم يكن يريد أن يمضي ثانية واحدة أخرى وحده مع نائب المستشار: «أنا سعيد لأنك ترى الأمور على هذا النحو».

- وبموجب ذلك فإنني أسامحك على جريمة الاختطاف والقتل غير المتعمد للمستشار جاها.

حاول بيلامي عدم إظهار نظرة الاحتقار على وجهه عندما أومأ برأسه. قال بيلامي: «شكرًا لك».

لقد افترض أن هذا هو كل شيء، مقابل إنقاذه لحياة رودس.

ومن ثم، تابع رودس كما لو كان يقرأ أفكاره قائلًا: «وهذا ليس كل شيء. فورًا سأؤسس مجلسًا استشاريًّا جديدًا. كان ويلز على حق. لا مكان لعقيدة الجايا على الأرض. نحن بحاجة إلى نظام جديد، نظام أفضل. سأقترح أن نرشح الناس هذا المساء. لعل...».

تجهَّمَ وجهه إذ انتابته موجة جديدة من الألم، وأردف: «لعل هذا يكون شيئًا، ربما تفكر في أن تكون جزءًا منه؟».

رمش بيلامي بعينيه عدة مرات، محاولًا استيعاب ما سمعه للتو. إذا لم يكن مخطئًا، وإذا لم يكن قد أكل عن طريق الخطأ ثمارًا تسبب هلوسات من الغابة، فإن نائب المستشار رودس، أكثر القادة الذين عرفتهم المستوطنة فسادًا على الإطلاق، قد عفا عنه للتو واقترح عليه دخول عالم السياسة. لم يستطع بيلامي تمالك نفسه، ضحك بعلو صوته.

- حقًّا؟

- حقًّا.

لم يستطع بيلامي الانتظار للذهاب وإخبار أوكتافيا حتى يضحكا على ذلك معًا. إلا إذا كانت تعتقد أن الأمر ليس مضحكًا. ربما قد تريده أوكتافيا أن ينضم إلى المجلس بالفعل. يا للجحيم! لقد حدثت أمور أكثر جنونًا خلال الأسابيع القليلة الماضية. لمَ لا يجرب بيلامي حظه في إدارة الأمور لفترة من الوقت؟ كان ثمة شخص واحد فقط يحتاج لاستشارته أولًا. وبابتسامة وإيماءة، ذهب ليعثر على كلارك.



الفصل التاسع والعشرون

جلاس

شعرت جلاس وكأنما كل عضلة من عضلاتها تحترق. لقد تقرَّحت كتفاها من الحبل. وارتعشت ساقاها وفخذاها من شدة الإنهاك، مهددين بالانهيار في أي لحظة.

وعندما رأت زاوية مبنى خشبي تبرز من بين الأشجار، تنفست الصعداء. لقد عادا بالفعل إلى المخيمِ. كان لوك قد تحرك مرة أو مرتين في أثناء رحلتهما من المنزل المهجور. وقد توقفت عدة مرات لإعطائه الماء والتأكد من أنه لا يزال على قيد الحياة، حابسةً أنفاسها في قلق كل مرة.

سارت بخطوات متعثرة بين الأشجار وصولًا إلى ساحة المخيم. اتضح أن الأمر كما كانت تخشى، اتضح أن أصوات الطلقات النارية والدخان الذي كان يلطخ السماء في وقت مبكر من هذا الصباح قادمان من هنا. لقد بدا المخيم بأكمله وكأنه ساحة حرب. رأت الحراب المكسورة، وأغلفة الطلقات النارية، والملابس الممزقة، وبركًا من الدماء منتشرة على الأرض. بدت بعض الكبائن مُدَمَّرة بالكامل، والبعض الآخر بدا كما لو أن شخصًا ما قد حاول إضرام النار به. كان ثمة مستوطنون ذوو وجوه مصدومة يتحركون في الأرجاء، ولكنها لم تتعرف على أي أحد منهم. كما لو أنها قد عادت إلى مكان مختلف كليًّا، انتابها الخوف. ماذا حدث لأصدقائها؟ وأين كان ويلز؟ ثم غمرها سماع صوت مألوف بموجة من الفرح.

نادت كلارك عبر مدخل كابينة المشفى قائلة: «جلاس؟ هل هذه أنتِ؟ أوه، لا.. هل هذا لوك؟».

ركضت كلارك إليهما. ثم أطلَّ ويلز برأسه من الباب واندفع خلفها. حررت جلاس نفسها من عبء الزلَّاجة. وجثت كلارك على ركبتيها وبدأت في فحص لوك.

صاح ويلز عندما وصل إليها وطوَّقها بذراعيه قائلًا: «جلاس! حمدًا لله أنك عدت. هل أنتِ بخير؟».

أومأت جلاس برأسها، ولكن ما لبثت أن غشيها كل الرعب والوحدة والإنهاك. الآن بعد أن أصبحا بأمان، سمحت لنفسها أخيرًا بأن تشعر بكل ما كانت تحبسه بداخلها لأيام. اغرورقت الدموع في عينيها وانهمرت على خديها. طوَّقها ويلز بذراعيه وضمها إليه بينما كانت تبكي.

سأل ويلز بعد هنيهة: «ماذا حدث له؟».

تنهنهت جلاس ومسحت وجهها بيديها، ثم أجابته قائلة: «لقد كنا في منزل مهجور في الغابة. بدا المكان آمنًا في بادئ الأمر. ولكن بعد ذلك...».

امتلأت عيناها بالدموع مرة أخرى حين تذكرت، وأردفت: «هاجمونا الأرضيون. ليسوا قوم ساشا، ولكن آخرين».

عبرت نظرة أليمة جدًّا وجه ويلز، لكن جلاس أدركت أنه ليس الوقت المناسب لتسأله عما حدث.

- خرج لوك لمطاردتهم، فضربوه برمح. فعلت كل ما بوسعي، لكن لم يكن لدي أي وسيلة لخياطة الجرح، وعندما حاولت إحضاره إلى هنا، هاجمونا مرة أخرى.

قال ويلز بصوت منخفض: «جلاس، أنا آسف جدًّا لأنك اضطررتِ إلى مواجهة كل ذلك بمفردك».

تمكنت جلاس من الابتسام بينما كانت تنهمر دموعها وقالت: «لا بأس. لقد نجحنا في العودة أحياء، أليس كذلك؟».

قالت كلارك بحزم: «دعونا نُدخِل لوك إلى الداخل».

حمل كلٌّ من كلارك وويلز لوك الذي كان لا يزال فوق الزلَّاجة، بسرعة ولكن برفق، واندفعا إلى داخل المشفى، وتبعتهم جلاس من كثب. وعندما دخلوا الغرفة المزدحمة، لم تستطع جلاس تصديق عدد الجرحى.

سألت في ذهول قائلة: «ما الذي حدث هنا؟».

فقال ويلز بتجهُّم: «الشيء نفسه الذي حدث معكما. ولكن أكبر فحسب».

رفعت جلاس حاجبيها، وكان ثمة مليون سؤال على شفتيها، ولكن لم تنطق بأيٍّ منها. بيد أنه كان باستطاعة ويلز قراءة أفكارها بالفعل. قال: «لا تقلقي. تتغير الأمور للأفضل هنا. إن رودس يفك قبضته الحديدية، أخيرًا. سننتخب مجلسًا استشاريًّا جديدًا الليلة».

عرج الرجل طويل القامة ذو الشعر الأشيب الذي قد رأته جلاس على فينيكس نحوهم. أومأ في اتجاهها، ثم تشاور في هدوء مع كلارك. تحدثا بنبرة حزينة، وفحصا ساق لوك من كثب واستمعا إلى نبضه وتنفسه. ملأت كلارك حقنة من قنينة زجاجية صغيرة وحقنت شيئًا ما في كتف لوك. ثم بدأت في تنظيف جرحه وخياطته. جفل في نومه ولكنه لم يفِق.

وقفت جلاس بلا حول ولا قوة. لقد صبَّت كل تركيزها على إعادته للمخيم لدرجة أنها لم تسمح لنفسها بالتفكير فيما قد يخبرونها به بمجرد وصولهما إلى هناك. اقتربت منها كلارك والرجل الأكبر سنًّا. حاولت قراءة وجهيهما بحثًا عن أي تلميح، لكن كلاهما كان خاليًا تمامًا من أي تعبير.

بدأت كلارك الكلام قائلة: «جلاس، دعيني أعرفكِ على الطبيب لاهيري. لقد تدربتُ تحت قيادته على المستوطنة. إنه طبيب ممتاز».

مدَّ الطبيب لاهيري يده وقال: «تشرفتُ بمعرفتكِ يا جلاس».

صافحته جلاس في فتور. كانت ممزقة بين حاجتها لمعرفة حالة لوك وأمنيتها اليائسة في عدم سماع أي أخبار سيئة. ابتلعت ريقها، وأجبرت نفسها على أن تظل هادئة، مهما كان ما سيقوله.

قال الطبيب لاهيري مبتسمًا: «أنتِ محظوظة جدًّا».

تنفست جلاس الصعداء، وأردفت: «سيكون بخير. لو لم تحضريه إلى هنا كما فعلتِ، لكان قد فقد ساقه. أو حتى الأسوأ من ذلك».

وضع الطبيب لاهيري يده على كتفها.

- لقد أنقذتِه يا جلاس. عليكِ أن تفخري بما فعلتِه من أجله.

قالت كلارك وهي تضمها إلى صدرها: «سيكون على ما يرام. لقد أعطيناه جرعة عالية من المضادات الحيوية، وسنتابع حالته بعناية. إنه فتى قوي. وهو محظوظ بوجودك معه».

قالت جلاس وهي تذرف الدموع: «أعتقد أن العكس هو الصحيح».

سألتها كلارك قائلة: «أتودين الجلوس معه، يمكنني أن أُحضِرَ لكِ بعض الطعام».

أومأت جلاس برأسها وانهارت على السرير بجانب لوك. استلقت ووضعت يدها على صدره، وشعرت بقلبه ينبض تحت راحة يدها. استمعت إلى أنفاسه الناعمة، وقد أصبحت الآن أكثر ثباتًا. على مدار تلك الأيام القليلة في منزل الغابة، اعتقدت أن كل ما تحتاجه من العالم هو لوك. لقد أحبت ملاذهما الصغير، وحياتهما السريَّة. حيث لا يمكن لأحد إزعاجهما، وحيث يمكنهما البقاء بمفردهما طوال اليوم. ولكن الآن، بعد أن كانت على وشك خسارته، وبعد أن اختبرت نفسها بطرق لم تكن تعرف حتى بأنها ممكنة، اختلف شعورها. فمع كل هؤلاء الأشخاص الذين عملوا جاهدين على راحتهما واهتموا بهما اهتمامًا كبيرًا، علمت جلاس أنها هي ولوك يحتاجان إلى ما هو أكثر من مجرد بعضهما بعضًا. إنهما بحاجة إلى مجتمعهما. وها قد أصبحا الآن في الديار.

الفصل الثلاثون

كلارك

ساروا في صمت. الصوت الوحيد الذي يمكن سماعه هو الأوراق التي تُسحَق تحت أحذيتهم وحفيف الريح على الأشجار. أوراق الأشجار كلها مشرقة باللون الأصفر النابض بالحياة، والبرتقالي المخملي، والأحمر الداكن. انبعثت أشعة ضوء الشمس إلى الأسفل من خلال الأشجار، مُحمِّمة كلارك وبيلامي وويلز في وهج ذهبي. صار الهواء أبرد بكثير مما كان عليه قبل أيام قليلة وباتت رائحته أغنى وأكثر عبقًا.

ارتعشت كلارك، متمنيةً لو أن معها سترة أخرى. كانوا قد خزَّنوا كل جلود الحيوانات التي اصطادها بيلامي وغيره من الصيادين، لكن ما جمَّعوه كان لا يزال قليلًا. سيتطلب الأمر وقتًا طويلًا حتى يكون لديهم من الفراء ما يكفي للجميع.

من دون أي كلمة، طوَّقها بيلامي بذراعه، وضمها إليه بينما واصلوا طريقهم عبر الغابة. كان ماكس قد أرسل كلمة مفادها أن جنازة ساشا ستقام غدًا، لذلك كانوا في طريقهم إلى جبل العاصفة. كان ويلز يسبقهما بقليل، لكن كلارك كانت تعلم أنه من الأفضل ألا تناديه. فمع كل الفوضى والإثارة التي سادت الأيام القليلة الماضية، بالكاد كان لويلز أي وقت لاستيعاب خسائره، ومن الواضح أنه كان ممتن لحصوله على فرصة ينفرد فيها بأفكاره لبعض الوقت. ومع ذلك فإن هذا لم يمنع قلبها من التألم لأجله حين رأته وهو يميل رأسه للخلف ويحدِّق إلى الأشجار، وكأنه يتوقع أن تنزل ساشا من إحداها في أي لحظة. أو ربما كان ينظر إلى الأوراق ذات الألوان الزاهية، محاولًا قبول حقيقة أنه لن يتمكن أبدًا من أن يعلق على جمالها لساشا، وأنه

لن يتمكن أبدًا من رؤية تلك الأوراق وهي تهوي لأسفل وتهبط على شعرها الأسود. كان هذا هو أسوأ جزء بشأن فقدان شخصٍ ما: إيجاد مكان لتخزين كل الأفكار والمشاعر التي كنت لتشاركها معه لو كان موجودًا. فعندما كانت تعتقد كلارك أن والديها قد ماتا، مرت عليها أوقات كانت متأكدة فيها من أن قلبها سينفجر من محاولة احتواء كل ذلك.

ومع ذلك، عند اقترابهم من جبل العاصفة، هرولت كلارك للحاق بويلز. وضعت يدها في يده. لم تكن هناك كلمات بوسع كلارك أن تقدمها للتخفيف من ألم ويلز. لقد أرادت فقط أن تذكره بأنه ليس عليه أن يمر بهذا وحده. لقد كانوا في ذلك معًا.

وصلوا إلى قرية الأرضيين قبل حلول الظلام بقليل. فتح ماكس الباب عند الطَّرقة الأولى، كما لو كان يعرف أنهم هم. كان بيته نظيفًا ومُرتَّبًا بشكل حزين. لقد أُزيلت جميع قطع غيار الآلات والأجهزة نصف المكتملة التي كانت متناثرة على طاولته واستُبدِلَت بعدد لا حصر له من أطباق الطعام.

قال ماكس مشيرًا نحو الطاولة: «أرجوكم، خذوا راحتكم».

لم يشعر أيٌّ منهم بالرغبة في تناول الطعام، ولكنهم جلسوا مع ماكس وأخبروه بما حدث منذ مغادرتهم لجبل العاصفة. لقد علم بالهجوم لكنه لم يكن لديه خبر بأن نائب المستشار قد دعا إلى إجراء انتخابات لمجلس جديد.

قال لبيلامي وقد ابتسم لأول مرة في ذلك المساء: «إذن، أأصبحت عضوًا في المجلس؟».

أومأ بيلامي برأسه، وقد احمرَّ وجهه قليلًا، في خجل وفخر: «أجل، صدقني، لقد تفاجأت مثلك عندما صوَّتوا لي، ولكن، مهلًا، أنا فقط أنفذ مطلب الناس».

قالت كلارك: «لقد انتُخِبَ ويلز أيضًا. في الواقع، لقد انتُخِبَ أولًا، قبل بيلامي».

ابتسمت لأحدهما تلو الآخر. بادلها بيلامي الابتسام. ولكن يلز لم يفعل.

قال ماكس وهو يضع يده على كتف ويلز: «أنا سعيد جدًّا لسماع ذلك. إن شعبكم محظوظ لامتلاكه مثل هذا القائد الشاب الرائع. أعرف أنك ستجعل والدك فخورًا بك يا ويلز. ستجعلنا جميعًا فخورين بك».

قال ويلز، وقد نظر في عينَي ماكس للمرة الأولى: «أشكرك».

وبينما كانوا يساعدون ماكس في تنظيف الأطباق القليلة التي استخدموها، أخبرهم بخطة الغد. قال: «من عاداتنا أن ندفن موتانا عند شروق الشمس.

نحن نؤمن بأن الفجر هو وقت التجدد. إن النهايات والبدايات لا تنفصل، مثل اللحظة التي تسبق بزوغ الفجر واللحظة التي تليه».

قالت كلارك بهدوء: «هذا جميل».

تابع ماكس قائلًا: «من بعد الكارثة، وجد أسلافنا أنفسهم مجبرين فجأة على قبول فكرة أن النور قد لا يتبع الظلام دائمًا. وأنه في يوم ما، قد لا تشرق الشمس حقًّا مرة أخرى. من هنا بدأ هذا التقليد. إنه امتنان، امتنان بحق، لأن الشمس قد أشرقت ليوم آخر».

قال ويلز بابتسامة لم تصل لعينيه تمامًا: «أراهن أن ساشا أحبت هذه الفكرة».

كانت كلارك تحدق إليه في الضوء الوامض للشموع، واعتقدت أن ثمة شيئًا ما في وجهه قد تغير. شيئًا ما قد أصبح أقسى ولكنه ازداد حكمة أيضًا.

سأل ويلز قائلًا: «ماكس، هل تمانع لو قضيت الليلة في بيت الشجرة؟».

- لا، على الإطلاق. لكن الجو سيكون باردًا جدًّا هناك.

- سأكون بخير. أراكم جميعًا في الصباح.

قالت كلارك وقد هبَّت واقفة: «سأتمشى معك. أريد الذهاب للتحقق من حجرة الراديو مرة أخرى، إن كان هذا ممكنًا».

أومأ ماكس برأسه قائلًا: «بالطبع».

بقي بيلامي هناك، بصحبة ماكس، وخرج كلٌّ من كلارك وويلز إلى الليل. سألته كلارك عندما اقتربا من بيت الشجرة قائلة: «أمتأكد من أنك ستكون بخير وحدك هنا طوال الليل؟».

رمقها ويلز بنظرة لم تستطع فهمها تمامًا، نظرة يمتزج فيها الحزن بالمتعة. ثم قال بهدوء: «لن أكون وحدي. ليس تمامًا».

لم تضطر كلارك إلى سؤاله عما كان يقصده. ربَّتت على ذراعه، ثم طبعت قبلة سريعة على خده وتركته مع ذكرياته.

***

سارت مسرعةً إلى مدخل جبل العاصفة واختفت بالداخل. ها قد عادت إلى المكان الذي أصبحت تألفه. عبثت بمفاتيح الراديو، بأصابعها التي كانت تعمل من تلقاء نفسها، من ذاكرتها العضلية. مررت أصابعها على كل

التوليفات التي كانت تحب تجريبها، بدءًا من تلك التي أفلحت في اليوم الذي سمعت فيه صوت أمها. كانت رغبتها في سماعه ثانيةً قد تحولت إلى رغبة جسدية.. إلى اشتهاء.

مرت ساعة من دون نتائج. لم تعد كلارك متأكدة بعد الآن ما إذا كانت الهسهسة وخشخشة الراديو في رأسها أم آتية من خلال السماعات. كان ظهرها يتألم من الانحناء على وحدة التحكم، وبدأ رأسها يخفق بصداع نابض. كان من المحتمل أن يأتي بيلامي للبحث عنها في أي لحظة. وقفت ومددت ذراعيها فوق رأسها، ثم انحنت من جانب إلى آخر وهي تُحرِّك معصميها. كانت تعلم بأن عليها إيقاف تشغيل الجهاز، ولكنها لم تكن مستعدة تمامًا لفعل ذلك.

حدَّثَت نفسها قائلة: *مرة واحدة أخرى. واحدة فقط.*

جلست مرة أخرى وبدأت في ضبط مفاتيح التحكم. صبَّت كل تركيزها على الاستماع إلى خشخشة الراديو لدرجة أنها لم تلحظ صوت وقْع الأقدام في الممر، حتى صارت خارج الباب مباشرة. كانت الخطى سريعة وثقيلة. *لا بد أن الوقت قد تأخر عما ظننت.*

استدارت كلارك في مقعدها ونظرت إلى خارج الباب. نادت قائلة: «بيلامي؟ أهذا أنت؟ ماكس؟».

ساد الصمت بالخارج إذ توقف أيٌّ من كان هناك عن الحركة مؤقتًا. نهضت كلارك عن كرسيها، وفجأةً، فُزِعَت لدرجة كادت تجعل شَعْر رأسها يقف حتى نهاية أطرافه. من المؤكد أن بيلامي كان يعرف أن هذا ليس وقتًا مناسبًا لمزحة كهذه، بعد كل ما مرَّا به. هل يمكن أن يكون الأرضيون العنيفون قد عادوا؟

دخل شخصان إلى الغرفة، أحدهما خلف الآخر مباشرةً. وقبل أن تستوعب كلارك ما الذي يحدث، وجدت نفسها مُطوَّقة بزوجين من الأذرع، وأخذت تبكي بدموع الفرح.

لم يكن بيلامي. كانا والديها.

***

في صباح اليوم التالي، وقفت كلارك وويلز وبيلامي جنبًا إلى جنب فوق منحدر يطل على النهر، يرتجفون في ظلمة الليل البارد. امتد أمامهم صف

وراء صف من الحجارة البارزة من الأرض، وقد كانت الأسماء المنقوشة عليها غير قابلة للقراءة في هذه الساعة المبكرة. وقف ماكس على رأس قبر فارغ، يحدق إلى قاعه في صمت. استراح جثمان ساشا بالجوار، ملفوفًا بإحكام في كفن بلون التراب الذي سيُدَثِّرها قريبًا.

كانت كلارك قد أمضت الليلة كلها في الحديث مع والديها، هذا إذا كان الحديث هو حقًّا الكلمة الصحيحة لوصف تدفق الكلمات، والبكاء، والضحك الذي استمر لساعات من بعد لمٍّ شملهم. كان والداها أنحف مما كانا عليه في المرة الأخيرة التي رأتهما فيها، وقد خالط الشيب لحية أبيها الجديدة بشكل كبير، ولكن بخلاف ذلك فقد بدوَا تمامًا كما عهدتهما.

وعندما تمكنت والدة كلارك أخيرًا من التوقف عن البكاء، أطلقت سيلًا من الأسئلة، أسئلة حول كل ما حدث في أثناء محاكمة كلارك، وفترة حبسها، ومن ثم رحلتها إلى الأرض. أما والدها فبالكاد تمكن من النطق بكلمة واحدة. كل ما كان يفعله هو التَّبَسُّم والتحديق إلى كلارك وهو ممسك بيدها وكأنه يخشى أن تختفي في الهواء في أي لحظة.

أخبرتهما كيف جُرَّت من زنزانتها، وعن هبوطهم العنيف على الأرض، وحدثتهما عن تاليا وبيلامي وساشا. وكلما أفضت كلارك بحكاياتها، شعرت بوزنها يزداد خفة. كان الأمر كما لو أنها كانت تحمل معها شوالَين من الذكريات لمدة تزيد على عام.. ذكريات عن كل ما حدث بالفعل وعن تخيلاتها لردود فعل والديها على كلٍّ منها. والآن، في كل مرة يبتسم فيها أبوها أو تشهق أمها متفاجئة، كان يُقتطع جزء من هذا الوزن. كانت كلارك متلهفة لسماع حكايات والديها عن الوقت الذي قضياه على الأرض، ولكن بحلول الوقت الذي انتهت فيه أمها من استجوابها، كان قد اقترب بزوغ الفجر.

قرروا أنه من الأفضل لوالديها البقاء في جبل العاصفة بدلًا من الظهور المفاجئ في جنازة ساشا. فعلى الرغم من أنهما كانا على علاقة جيدة مع الأرضيين، فإن ذكرى خيانة المستوطنين الأوائل كانت لا تزال لم تطِب بعد.

وبينما كانت واقفة بين بيلامي وويلز، شعرت كلارك بمزيج غريب من الغبطة والحزن. هذا هو حال الأمور على الأرض. تحدث أشياء كثيرة، وتقع أمور كثيرة، كثيرة لدرجة أن يستحيل للمرء استيعابها من دون أن تختلط بداخله المشاعر في كل مرة. التفتت كلارك إلى الجانب لتنظر إلى ويلز، متسائلةً عما إذا كان يشعر بالشيء نفسه، أم أن حزنه كان يسيطر عليه بالكامل.

كانت الشمس قد بزغت فوق خط الأفق، مرسلةً بكشَّافات برتقالية ووردية تتسابق في السماء، عندما كان ماكس يضع طفلته الوحيدة في مثواها الأخير. وبصوت مبحوح تغشاه الحسرة آلمَ قلب كلارك، شارك بعض ذكرياته المفضلة مع ساشا، التي أثار بعضها ضحكات خافتة بين الأرضيين المجتمعين، بينما ترك البعض الآخر أعينهم تتلألأ بالدموع.

وبينما كان يمسح دمعة من عينه، أشار ماكس إلى ويلز وسأله عما إذا كان يريد قول أي شيء. فأومأ برأسه، وترك يد كلارك، وتقدم إلى الأمام للتحدث.

قال ويلز: «إن ما يربطنا بالآخرين ليس شيئًا يتعلق بالجغرافيا أو المسافات».

رغم أن كلارك كانت تراه يرتجف، فإن صوته كان قويًّا وواضحًا.

- لقد نشأتُ أنا وساشا في عالمَين مختلفَين، وكان كلانا يتساءل ويحلم بما كان في العالم الآخر. شاهدتُ الأرض من الأعلى، ولم أكن أعرف على وجه اليقين ما إذا كان ثمة بشر قد نجوا بالأسفل أم لا. لم أكن أعرف ما إذا كانت أقدامنا ستطأ هذا الكوكب مرة أخرى أم لا، أو ما إذا كان ذلك سيحدث في أثناء حياتي. ونظرت هي إلى الأعلى.

أشار إلى النجوم الباهتة، التي بالكاد كانت لا تزال مرئية في زرقة السماء الداكنة، وأكمل: «وتساءلت عما إذا كان أي شخص هناك بالأعلى. هل نجا أحد من الرحلة الفضائية؟ هل تمكن الناس من البقاء على قيد الحياة هناك طوال هذه المئات من السنين؟ وبالنسبة إلى كلينا، بدا الحصول على إجابات لأسئلتنا أمرًا غير محتمل. لكن ملايين من القوى الضئيلة حركتنا تجاه بعضنا بعضًا، وحصلنا على إجاباتنا. لقد وجدنا بعضنا بعضًا، حتى ولو كان ذلك لمجرد لحظات».

أخذ ويلز نفسًا عميقًا وزفره ببطء، وأردف: «كانت ساشا هي إجابتي».

ارتجفت كلارك، ولكن هذه المرة لم يكن بسبب البرد. لقد صاغ ويلز كلماته ببراعة. إن كل شيء بشأن نزولهم على الأرض كان يبدو بعيد الاحتمال، ومثيرًا للدهشة. ومع ذلك فقد كانت هذه الأشهر بالنسبة إليها أكثر واقعية من كل السنوات التي أمضتها على المستوطنة. بالكاد كانت تتذكر كلارك كيف كان الصباح دون هواء نقي، وعشب ندي، وزقزقة العصافير. لم يعد بإمكانها تخيُّل العمل لساعات طويلة تحت مصابيح المركز الطبي الفلورية بدلًا من

مساعدة مرضاها على التعافي في ضوء الشمس، في البيئة التي صُمِّمَت أجسادهم من أجلها.

حاولت أن تتخيل كيف كان سيبدو مستقبلها لو لم يحدث أيٌّ من هذا على الإطلاق -لو لم تخبر ويلز عن تجارب والديها، لو لم يبلِّغ والده بشأنهما، لو لم يُحبَسا، لو لم يعبث ويلز بحجرة الضغط، لو لم يأتِ المئة إلى الأرض قط- لكن المشهد تلاشى في الظلام. هناك، ليس ثمة شيء سوى الماضي. هذه هي حياتها الآن.

شاهدت كلارك بعضًا من أصدقاء ساشا وهم يرفعون جثمانها ويضعونه برفق بباطن الأرض. همست بوداع صامت للفتاة التي ساعدت في جعل الأرض موطنًا لهم، والتي أعادت ويلز إلى الحياة عندما كان عالقًا في الظلمات. سيكون بخير، جال في خاطر كلارك، وهي تشاهده وهو ينضم إلى الأرضيين في إلقاء حفن من التراب في القبر. إذا كانت قد تعلمت أي شيء على الأرض، فهو أن ويلز كان أقوى مما يدرك. أنهم جميعًا كذلك.

أمسك بيلامي بيد كلارك، ثم انحنى وهمس قائلًا: «أعلينا الذهاب لرؤية والديكِ؟».

فالتفتت إليه وأمالت رأسها إلى الجانب وقالت مازحة: «ألا تعتقد أنه من المبكر قليلًا أن تقابل والديَّ؟ فبعد كل شيء، إننا نتواعد منذ أقل من شهر فحسب».

- إن الشهر الواحد في زمن الأرض يساوي عشر سنوات في الزمكان، أليس كذلك؟

أومأت كلارك برأسها وقالت: «أنت على حق. وأفترض أن هذا يعني أنني لا أستطيع أن أغضب منك إذا قررت الانفصال عني بعد بعضة أشهر، لأن هذه المدة ستعتبر بالفعل بضعة عقود».

لفَّ بيلامي ذراعه حول خصرها وجذبها إليه قائلًا: «أريد أن أمضي دهورًا معكِ يا كلارك جريفين».

وقفت على طرفَي قدميها وطبعت قبلة على خده، وقالت: «سعيدة لسماع ذلك، لأنه ليس ثمة رجعة الآن. نحن هنا إلى أبد الآبدين».

ولما قالت تلك الكلمات، غمرها إحساس غريب بالسلام والسكينة، مُخفِّفًا من آلام اليوم للحظات. كانت هذه حقيقة. فبعد قضاء ثلاثة قرون في محاولات يائسة للعودة إلى الأرض، نجحوا في ذلك. لقد عادوا أخيرًا للديار.

المئة
العودة

"سريعة الوتيرة أخَّاذة.. يبدو أن العديد من القضايا المثيرة قد ظهرت في مجتمع ما بعد نهاية العالم هذا".

- The Bookbag

"مظلمة وخاطفة.. مزيج من أمير الذباب وعبر الكون ومباريات الجوع".

- Booklist

"إن نَسْج كاس مورجان لعناصر الثقافة الشعبية (البوب) مع السياسة جعل لقراءة أعمالها جاذبية خاصة".

- School Library Journal

"سيقع عشاق مباريات الجوع في حب هذه السلسلة".

- Sun Journal



كاس مورجان

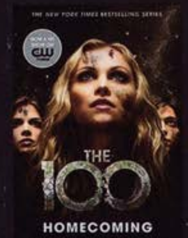
مؤلفة ومحـــــررة أمريكيـــــة، متخصصـــة في أدب الخيـــــال للشباب، وصاحبـــــة السلسلة الديستوبية الأكثـــــر مبيعًا في نيويـــورك تايمـــز "المئـــة"، المستوحى منها أحداث مسلسل تليفزيوني شهير بالاسم نفسه. كما صدرت لها سلسلة روائية ناجحة بعنوان "سنوات ضوئية"، ومؤخرًا سلسلة أخرى بعنـــوان "الغربـان". حصلت كاس على درجة البكالوريوس من جامعة براون، ودرجة الماجستير من جامعة أوكسفورد، في مجال الأدب الفيكتوري، وتعيش حاليًّا في بروكلين، نيويورك.



البشرية تعود للديار.

بعد أسابيع من الهبوط على الأرض، تمكن المئة من خلق شعور بالنظام وسط بيئة برية وفوضوية. ولكن توازنهم الهَشّ ينهار مع وصول سفن إنزال جديدة من الفضاء.

هؤلاء الوافدون الجدد هم الأوفر حظًّا -إذ أوشك الأكسجين في المستوطنة على النفاد- ولكن بعد وصولهم بأمان إلى الأرض، يتضح لجلاس أن خزائن حظها تكاد تنفد. تقود كلارك فريق إنقاذ إلى موقع تحطم سفن الإنزال، على استعداد لمعالجة الجرحى، ولكنها غير قادرة على التوقف عن التفكير في والديها، اللذين ربما لا يزالان على قيد الحياة. وفي هذه الأثناء، يسعى ويلز جاهدًا للحفاظ على سلطته على الرغم من وجود نائب المستشار وحراسه المسلحين.



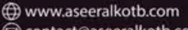
أما بيلامي، فعليه أن يقرر ما إذا كان سيختار مواجهة الجرائم التي يعتقد أنه قد تركها وراءه أم الهروب منها.

لقد حان الوقت لكي يتحد المئة ويناضلوا من أجل الحرية التي عثروا عليها على الأرض، أو أن يخاطروا بفقدان كل شيء -وكل شخص- يحبونه.

telegram @soramnqraa

تصميم الغلاف: محمود هشام



9 789779 922317

www.aseeralkotb.com
contact@aseeralkotb.com
aseeralkqtb
aseeralkotb
aseeralkotb